

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مَجَلَّةُ تَأْصِيلِ الْعُلُومِ

جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم



مجلة تأسيس العلوم

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى :

U T S R Q P

Z Y X W

الأنعام ٣٨

مجلة تأصيل العلوم

المشرف العام

د. محمود مهدي الشريف خالد

رئيس هيئة التحرير

د. محمد عبد الرحمن أبو الحسن

مدير التحرير

أ. عائش علي عودة

أمين التحرير

د. عبد الباقي عبد الفتاح محمد

التدقيق اللغوي

د. محمد المبارك السماني الطيب

التصميم والإخراج الفني

أ. شهاب يونس آدم

هيئة التحرير

١/ د. برير سعد الدين السماني ٢/ د. محمد أحمد محمد أبار

٣/ د. عبد القادر محمد خير الفادني ٤/ د. منى محمد عوض

٥/ د. رقية عبد الله الطيب

الهيئة الاستشارية

١/ أ.د. علي العوض عبد الله ٢/ أ.د. الزبير بشير طه

٣/ أ.د. إبراهيم أحمد عمر ٤/ أ.د. يوسف الخليفة أبوبكر

٥/ أ.د. إسماعيل حسن حسين ٦/ أ.د. أحمد خالد بابكر

٧/ أ.د. عبد الله الزبير عبد الرحمن ٨/ أ.د. علي الطاهر شرف الدين

٩/ أ.د. محمد الحسن بريمة ١٠/ أ.د. عبد الله محمد النعيم

١١/ د. محمد حسب الله محمد علي ١٢/ د. طارق عبد السلام حسب الله

قواعد النشر في المجلة

- ١- تنشر المجلة البحوث والدراسات التي تتوافر فيها الأصالة والمنهجية السليمة في مجالات المعرفة المختلفة.
- ٢- أن يخدم البحث قضايا التأصيل العلمي وفقاً للمنهجية الإسلامية.
- ٣- تنشر المجلة البحوث و الدراسات التي لم يسبق نشرها.
- ٤- يجب ألا يكون أي من البحوث أو الدراسات المقدمة جزءاً من رسالة دكتوراه أو ماجستير.

إجراءات النشر

- ١- يقدم الباحث كلما أمكن نسخة من البحث أو الدراسة مطبوعة على برنامج WORD مع مراعاة التالي:
- ٢- يكتب البحث أو الدراسة باللغة العربية باستخدام خط (Simplified Arabic (SA بحجم ١٦، وبهامش ٢سم علوي وسفلي وأيسر، و ٣سم أيمن.
- ٣- لا يزيد عدد صفحات البحث أو الدراسة عن ٤٥ صفحة ولا تقل عن ١٥ بما في ذلك الأشكال والمراجع والملاحق.
- ٤- يقدم الباحث ملخصاً لبحثه ، على أن لا يزيد الملخص عن ٢٠٠ كلمة.
- ٥- يتم توثيق واثبات المراجع وفقاً للمنهج العلمي.
- ٦- ترسل البحوث إلي رئيس تحرير المجلة وله حق الفحص الأولي للبحث أو الدراسة وتقرير صلاحيته للتحكيم أو استبعاده.
- ٧ - تخضع البحوث والدراسات المقدمة للنشر للتحكيم العلمي ويبلغ صاحب البحث أو الدراسة بنتيجة التحكيم خلال مدة أقصاها ثلاثة اشهر.
- ٨ - تخضع البحوث والدراسات المقدمة للنشر للتحكيم العلمي من قبل محكمين اثنين على الأقل من المتخصصين يختارهما رئيس التحرير من قائمة المحكمين التي تعتمدها هيئة إصدار المجلة ويجوز لرئيس التحرير اختيار محكم مرجح في حالة رفض البحث أو الدراسة من قبل أحد المحكمين.
- ٩- تخضع أولويات نشر البحوث والدراسات وترتيبها لاعتبارات فنية بحتة، ولا ترد لأصحابها.
- ١٠ - تؤول حقوق نشر البحوث والدراسات كاملة للمجلة.
- ١١- يمنح كل باحث ثلاث نسخ من عدد المجلة المنشور فيها بحثه.

محتويات العدد

✓ الجذور العقدية لقضية فلسطين

د. علي الحاج علي موسى.....(٣٠-٦)

✓ النصر الغالي في تفسير سورة الأنفال

د. يوسف محمد النور حامد.....(٥٤-٣١)

✓ العمل بخبر الواحد إذا خالف القياس عند الأصوليين

د. مبارك المصري النظيف محمد.....(٨٣-٥٥)

✓ أحكام الحسبة في الفقه الإسلامي

د. عبده عبد الله حسن داوود.....(١٢٩-٨٤)

✓ القيم الإنسانية والمضامين التربوية المستفادة من خطبة حجة الوداع

د. حامد محمد آدم.....(١٦١-١٣٠)

✓ الأثر القرآني في شعر التيجاني يوسف بشير

د. محمد عبد الله سليمان.....(١٩٩-١٦٢)

✓ المبالغة والتكثير في سورة البقرة

د. محمد الإمام إبراهيم الإمام.....(٢٣٠-٢٠٠)

الجزور العقديّة لقضية فلسطين

المقدمة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وعلى رسولنا محمد (ﷺ) الرحمة المهداة
أطيب الصلوات وأزكى التسليمات .

ثم أما بعد :

لقد ظلت القضية الفلسطينية قضية المسلمين المحورية ، كما أن مقاومة المشروع
الصهيوني أصبحت تمثل قمة الأولويات عند الدعاة الراشدين .

وقد تلاعبت بهذه القضية سياسات الدول الكبرى ، واستغلّتها معظم الأنظمة
الحاكمة في سوق المزايدات والإدعاءات ، كما أنها محصلة مخططات ظالمة من
أعداء الإسلام ومكائد استعمارية .

بيد أن المؤمنين بحتمية الحل الإسلامي لكافة القضايا يتبنونها من منظور
عقدي . فيرونها قضية اعتداء على أرواح زكية أزھقت ظلماً ، ففي العقيدة
الإسلامية إن الإنسان المسلم أثن شيء ، وأن زوال الدنيا بما فيها أهون عند الله من
قتله .

ثم هي في حقيقتها اعتداءات على مقدسات أوجدت الوجدان المسلم في كل
أنحاء المعمورة ، فالمسجد الأقصى هو الذي تشرف باستقبال الرسول الخاتم محمد
(ﷺ) في أحلك ساعات الدعوة الإسلامية ، وهو أولى القبليتين وثالث الحرمين
الشريفيين ، إضافة إلى الأماكن المباركة لخليل الرحمن إبراهيم عليه السلام ،
وتربة فلسطين هي التي تحوي جموعاً كثيرة من شهداء الإسلام ، ثم إنها قضية
اغتصاب لأراضٍ دون وجه حق ، وتشريد للمواطنين وضياعاً لحقوقهم الشرعية في
العيش والتملك ، كل ذلك قد شكّل مظالم تعاونت فيها كل قوى الشر والاستكبار ،
من الصهيونية الماكرة والنصرانية الحاكمة والعملاء والخونة المأجورين ، مما جعل
ردّ الحقوق السلبية وموالاته أخوة العقيدة فريضة شرعية وجهاد مقدس يرتجي

ثوابه في يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأولى معالم إنارة الطريق إلى ذلك هو الطرح العقدي لهذه القضية لمعرفة جذورها العقدية وإبعادها عن المساومات والمزايدات التي لم تكسبها إلا ضياعاً بعد ضياع.

أهمية البحث :

هذا البحث تكمن أهميته في أن أجيالاً من المسلمين قد علقت آمالاً عراضاً على زعاماتٍ خلب بريق مبادئها الزائفة أنظارها ، فكانت محصلة - نضال - نحو (١٠٣) مائة وثلاثة عاماً منذ مؤتمر بازل - مروراً بوعده بلفور - وقرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين ، تجرع مرارة الهزائم المتكررة وحالة الإحباط والتآكل الداخلي في كيان المسلمين .

وهذه الأجيال المغلوب على أمرها في حاجة ماسة لرفع روحها المعنوية بإرجاع قضيتها المصيرية لمسارها الحقيقي ، شحذ الطاقات الكامنة التي تثمر الجهاد والاستشهاد ، ومما حفز المرء على البحث في هذا الموضوع ما يراه ويسمعه كل غيور على أعراض آمنة صباح مساء ، من ظلم يخجل التاريخ عن تسجيله ، وخذلان لإخوة العقيدة في أرض الله فلسطين ، ويكون الإعداء لمن أسهم بما استطاع لإنارة طريق عودة أستاذية المسلمين لهذا العالم ، وإلا فـ) من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم (.

وسأنتهج بإذن الله المنهج التحليلي مع الاستقراء لأحداث الواقع المعيش .

خطة البحث:

وفي رسم الخطة أنتهج الباحث تقسيمه إلى أربعة مباحث بين المقدمة والخاتمة على النحو التالي :

المبحث الأول خلفية الصراع حول فلسطين .

• المطلب الأول : فلسطين في الوجدان الإسلامي .

• المطلب الثاني : خلفية العداء الصهيوني للمسلمين .

المبحث الثاني : المكائد ضد فلسطين المسلمة :

• المطلب الأول : مكائد بريطانيا .

- المطلب الثاني : مكائد أمريكا .
- المبحث الثالث : الجذور العقديّة للمشروع الصهيوني .
- المطلب الأول : نصوص التوراة والتلمود .
- المطلب الثاني : التعاليم النصرانية .
- المبحث الرابع : روافد دعم دولة إسرائيل .
- المطلب الأول : بروتوكولات حكماء صهيون .
- المطلب الثاني : الماسونية .
- المطلب الثالث : نظرية السامية .
- الخاتمة : وتشتمل على النتائج والتوصيات .
- والله تعالى وحده هو المسئول ليهب التوفيق ، ويجعله خالصاً من قلب موصول به ولسان رطب بذكره ، ونافعاً للبلاد ومسعداً للعباد .



المبحث الأول

خلفية الصراع حول فلسطين .

المطلب الأول : فلسطين في الوجدان الإسلامي .

إن فلسطين بقعة إسلامية مباركة ذات تاريخ عريق ، تشرفت بعدد كبير من الأنبياء والمرسلين ، عليهم وعلى نبينا أطيب الصلوات وأزكى التسليمات ، وقد بارك الله في القدس فجعلها القبلة الأولى صلى إليها المسلمون ، وأسرى بنبيه (ﷺ) إليها وعرج به من مسجدها (الأقصى) إلى السموات العلى ، وجعل هذا الأقصى تشد إليه الرحال .

وتعادل الصلاة فيه بخمسمائة صلاة فيما سواه ، إلا المسجد الحرام والمسجد النبوي ، والمسجد الأقصى هو ثاني مسجد وضع في الأرض بعد بناء المسجد الحرام بمكة أربعين سنة .

وقد ظلت فلسطين إسلامية منذ عام ١٥ هجرية الذي يوافق عام ٦٣٦م فقد جاء خليفة المسلمين عمر بن الخطاب بنفسه ليستلم مفاتيح القدس من بطريقها (صفرانيوس) وكتب عهده للنصارى المسماة (العهدة العمرية) التي من شروطها إخراج اليهود من المدينة ، وقد أحتل الصليبيون فلسطين لمدة ثمان وثمانين سنة(١)راجع كتاب :الأرض المباركة -فلسطين أرض الأنبياء وموطن العلماء ومثوى الشهداء-الندوة العالمية للشباب الإسلامي /المنطقة الشرقية/ص٩٠ . (٢) ثم حررها منهم المسلمون بقيادة صلاح الدين الأيوبي في معركة (حطين) عام ٥٨٣هـ الموافق له ١١٨١م ، وفي العام ٩٢٢هـ له ١٥١٦م انتصر السلطان سليم الأول على حكم المماليك بعد معركة (مرج دابق) . (٣) فأصبحت فلسطين جزءاً من الدولة العثمانية ، واستمرت هكذا لمدة أربعة قرون حتى وقت إلغاء الخلافة الإسلامية العثمانية عام ١٩٢٤م ، فظلت تحت الانتداب البريطاني إلى أن وقعت النكبة باحتلالها الصهيوني عام ١٩٤٨م .

وقد استقطب المسجد الأقصى كثيراً من علماء الإسلام ، حتى أصبح مركز إشعاع روحي على مر الدهور والأزمان ، كما أن كثيراً من المشاهير الذين نحتوا في ذاكرة التاريخ كانوا من فلسطين كأمثال الشافعي وابن حجر العسقلاني وابن قدامى المقدسي وابن مفلح وغيرهم كثير .

والمسجد الأقصى لا يخص الفلسطينيين وحدهم ولا العرب وحدهم بل يخص كل المسلمين أين ما كانوا وأين ما وجدوا وليس هنالك استقرار للدولة الصهيونية عليه إلا أن تصبح من مخلفات التاريخ كما أصبحت دولة الصليبيين قبلها ، وذلك على الأيدي المتوضئة من جيل النصر المنشود بإذن الله تعالى .

المطلب الثاني : خلفية العداة الصهيونية للمسلمين

إن الصراع مع الصهيونية ولادة اليهودية المحرفة هو امتداد لسلسلة المواجهات بين الحق والباطل ، وبين الخير والشر ، كما في الآية (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) (٤) وفي الآية (لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً) (٥)

فقد كان اليهود منذ مجيء الرسالة الخاتمة يمثلون الابتلاء وعوامل فتنة المسلمين رغم أن الرسول الكريم (٣) لم يدخر وسعاً في معاملتهم المعاملة الرقيقة الرقيقة ولكنهم ناصبوا المسلمين العداة بعدما أنكروا الرسالة والرسول ، مع أنهم كانوا على معرفة وثيقة بها كما سجل ذلك القرآن الكريم كما في الآية: (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) (٤) ، ثم إنهم خانوا المعاهدات ، بل حاولوا قتل الرسول (٣) وناصروا المشركين على العصابة المؤمنة في المدينة ، وعملوا جاهدين على تفريق الصف المسلم ، وبذلك أيئسوا الرسول (٣) في إيمانهم كما أكد ذلك القرآن الكريم حيث قال : (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم) (٥) ، ولقد أذن الله لرسوله (٣) بمناجرتهم في مواقع منها : غزوة بني قينقاع وبني قريظة وبني النضير ، وذلك جزاء نقضهم للمواثيق وتحالفهم مع المشركين ثم ما قاموا به من تأليب القبائل على المؤمنين كما حدث في غزوة الأحزاب ، وقد حكى القرآن هذا الجزاء بقوله: (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله فإن الله شديد العقاب) (٦) وقد أجلاهم الرسول (٣) من المدينة ، ثم أجلاهم الصحابة بعد ذلك من جزيرة العرب كلها . وبعد فتح بيت المقدس في عهد عمر بن الخطاب طلب النصارى منه إلا يسكانهم أحد من اليهود في المدينة المقدسة (القدس) .

وإزاء عجز اليهود عن العودة إلى فلسطين فقد ساعدوا الصليبيين في الحروب الصليبية في القرون الوسطى التي امتدت لقرنين ، بالمؤن والسلاح والمال فاحتلوا بيت المقدس زمن الفاطميين .

ولمّا كان تحرير بيت المقدس من أيدي الصليبيين حلمًا يداعب المسلمين وأملًا تهبوا إليه قلوبهم فقد قيض الله (صلاح الدين الأيوبي) حاكمًا عليهم فأخلص التوجه ووحّد الصف المسلم حتى أتم الله له تحرير الأقصى من أيدي الفرنجة . وقد ظهرت الحركة اليهودية في القرن السابع عشر الميلادي في يهود الدوئمة في عهد الدولة العثمانية بزعامة (سبتاي زيفي)(٩)هم فئة من يهود الأندلس لجأوا للدولة العثمانية وتظاهروا باعتناق الإسلام وقد اندسوا في حزب الإتحاد والرقى في أواخر عهد الدولة العثمانية ، وأداروا الجزء الأكبر من انقلاب تركيا الفناء الذي ألقى الخلافة العثمانية الإسلامية . الذي أوهم الدولة العثمانية بأنه قد دخل في الدين الإسلامي ويدعو له في أوساط اليهود(١٠)راجع كتاب :يهود الدوئمة لمصطفى طوران ، وكتاب :يهود الدوئمة لمحمد على قطب وكتاب :الخطر المحيط بالإسلام لجواد رفعت أتلخان ، ولكن في حقيقته كأنه قد أعلن لليهود إنه سيستعيد فلسطين ويعيد مجد صهيون حلم اليهود ، وعندما وقعت على اليهود المذابح في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي فكروا في إيجاد وطن قومي يحتمون بجنسيته ويكون ملاذًا لهم فكانت فلسطين أسمى أهدافهم لما يدعون فيها من صلات تاريخية ترجع إلى آلاف السنين ، فالتمسوا شراء بعض أراضيها من السلطان العثماني عبد الحميد الذي رفض هذا الطلب بشدة مؤثراً قطع يده ولا اقتطاع شبرٍ من أرض فلسطين .

وبقيام الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م) تغيرت أوضاع كثيرة في العالم فانهزمت تركيا التي ورثتها بريطانيا وحليفاتها بموجب معاهدة (سايكس بيكو) عام ١٩١٦م ، وآلت فلسطين إلى بريطانيا فعاود اليهود الطلب من بريطانيا فقابلتهم بالتأييد والعطف الشامل الذي أغراهم بحث الخطى لتحقيق هذا الهدف .

وبقيام إسرائيل على أشلاء الشعب المسلم ، وبتجميع اليهود من كل آفاق الدنيا لإقامة وطن لهم على أنقاض وطن شعبه يشرد ويقتل ويستصرخ ما يسمى بالضمير العالمي الذي لا يجيب ، فقد انفتح في هذا العصر باب الصراع الطويل بين حضارتين لا مجال فيه لأنصاف الحلول والتسويات المبتورة التي أثبت الواقع المعاش عدم جدواها ، فلا بد من خوض المعركة بإيمان وثبات .

المبحث الثاني

المكائد ضد فلسطين المسلمة

المطلب الأول : مكائد بريطانيا

لقد اتسمت السياسة البريطانية تجاه قضية فلسطين بالخداع والمناورة ونكث العهد ، بيد أن فلسطين ضحية لمكيدتها ، والأدلة على ذلك أوضح من ضوء الشمس في رابعة النهار ولنذكر في هذا المطلب أشهرها التي من بينها .

أولاً : قبل الحرب العالمية الأولى أعطت عهداً ومواريثاً للشريف حسين وذلك لكسب ووقوف الثورة العربية بجانبها ضد دولة الخلافة في تركيا ، وفي نفس الوقت تقاسمت المنطقة مع فرنسا بموجب معاهدة (سايكس بيكو) عام ١٩١٦م

ثانياً : بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى بهزيمة تركيا تمسكت بريطانيا بفلسطين بمعاذير متنوعة .

ثالثاً : في عام ١٩١٧م جاء وعد اللورد (بلفور) وزير خارجيتها للزعيم الصهيوني (البارون روتشيلد) الذي جاء فيه : إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وسنبذل جهدنا لتسهيل تحقيق هذه الغاية " أهـ .

رابعاً : أوهمت العرب بأن الوطن القومي لا يعني قيام حكومة يهودية ، بل إن الأمر لا يعدو أن يكون وطناً روحياً لليهود لإظهار مواهبهم الثقافية ، وممارسة حريتهم الدينية ، وهكذا مثل الفاتيكان للنصارى . أو مكة للمسلمين ، وقد تضمن هذا الإدعاء ما يعرف بالكتاب الأبيض الذي أصدره المستر (باسفيلد) وزير المستعمرات البريطانية عام ١٩٣٠م

خامساً : واجهت الانتفاضات الوطنية بأساليب مأكرة أفرغتها من محتواها لتميع المواقف ريثما يخطط للقضاء عليها .

سادساً : عندما عمت التظاهرات الفلسطينية اعتراضاً على الهجرة اليهودية المتواصلة وبناء المستوطنات وإعلان بريطانيا رسمياً الانتداب على فلسطين ورغبتها في إنشاء

الوطن اليهودي ، أصدرت ما يسمى بالكتاب الأبيض عام ١٩٢٢م في محاولة تبريد الأجواء مرتفعة الحرارة .

سابعاً : عندما قامت ثورة البراق الإسلامية^(١١) عام ١٩٣٠م وقد تأججت العواطف الإسلامية مهددة للوجودين - البريطاني والصهيوني - أصدرت كتاباً أبيضاً التزمت فيه بالمحافظة على حقوق غير اليهود ووعدت بتأسيس مجلس تشريعي ، ولكن الصهاينة رفضوا ، ذلك فتراجعت عن وعودها ، وسمي كتابها (بالكتاب الأسود)^(١٢)

ثامناً : في عام ١٩٣٧م وبعد الثورة الفلسطينية الواسعة ضد بريطانيا أصدرت كتاباً أبيضاً اقترحت فيه إنشاء دولة عربية وأخرى يهودية في فلسطين ، ولم تف للعرب بشيء .

تاسعاً : في عام ١٩٣٩م أصدرت كتاباً أبيضاً أعلنت فيه عن عزمها تأسيس دولة مستقلة في فلسطين في مدى عشر سنوات ترتبط بها بمعاهدة وستسمح لليهود بالهجرة بمعدل عشرة آلاف كل عام على مدى خمسة أعوام ، مع وضع حد لإمتلاك اليهود لأراضٍ جديدة . ولكن الأمر لم يكن سوى تهديئة للأوضاع وعود كاذبة .

عاشرأ : عيّنت المندوب السامي في فلسطين يهودياً^(١٣) ، كما عيّنت اليهودي (نورمان بنتو يتش) النائب العام للحكومة ، وفوضته في سن القوانين ، وكذلك معظم الموظفين كانوا يهوداً ، ثم فتحت باب الهجرة (المشروعة) للرجال الأشداء حتى تضاعفت أعداد اليهود ، وكانت تتعلل أمام زعماء العرب بعجزها عن وقف تيار التهريب كما تدعي ، بينما تفلح في منع أي عربي من دخول فلسطين .

حادي عشر : تنازلت لليهود عن الأملاك الأميرية ، والأراضي (البور) ، كما أنها سنّت قوانين تكفل انتقال الأراضي العربية لليهود ، وذلك عن طريق فرض الضرائب الباهظة على الفلاحين العرب .

ثاني عشر : في ظل تحذيراتها للعرب ، زاد اليهود من نشاطهم ووضعوا إستراتيجية ما بعد الحرب العالمية الثانية ، التي ذكرها (بن جور يون)^(١٤) بقوله: (إذا كانت الحرب العالمية الأولى قد جاءت بوعد (بلفور) فالحرب الثانية ستأتي بالدولة اليهودية^(١٥) أهـ

ثالث عشر : قدمت مشروع قرار تقسيم فلسطين إلى قسمين :

٥٦% لليهود ، ٤٤% للعرب ، للأمم المتحدة التي أصدرته كقرار في ٢٩/٩/١٩٤٧ م ،
وخداعاً للمسلمين امتنعت عن التصويت .



المطلب الثاني : مكائد أمريكا :

لقد أصبحت أمريكا هي الحامية لدولة إسرائيل بدافع ديني منسوب للتوراة ، حيث هناك اعتقاد لدى معظم القادة المنتميين إلى حركة (الأصولية الإنجيلية) بأن شرط عودة المسيح الثاني هو استيلاء اليهود على القدس(١٦)انظر:محمد السماك /الأصولية الإنجيلية/ ص٣٦ . فأمریکا بذلك تحارب الإسلام في الأساس ، كما أن هنالك رصيد من الأحقاد التاريخية على الإسلام تغذيه إسرائيل ، وينصح كثير من المفكرين الأمريكيين بأن تواصل أمريكا الاحتفاظ بإسرائيل كدرع وقائي أمام تزايد التعصب الإسلامي المناهض لها ، كما يدعي زعماء إسرائيل بأن العالم يجهل الخطر الكبير الذي يهدده ، والمتمثل في الأصولية الإسلامية التي هي أكثر خطورة من سلاح الدمار الشامل ، وإن مهمة إسرائيل مستقبلاً هي حماية قيم الغرب في وجه الصحوة الإسلامية ، مما يكسبها طابع المواجهة بين حضارتين النصرانية واليهودية من جانب ، وبين الإسلام من الجانب الآخر^(١٧) وإن ما تقوم به أمريكا من زعزعة لأوضاع الدول الإسلامية ومحاولاتها المتكررة لما يسمى بترتيب أوضاع المنطقة ، يرى كثير من الباحثين أن الهدف من ذلك يتلخص في الآتي :

١- أمن الدولة الصهيونية .

٢- رفاهية هذه الدولة المغتصبة لحقوق المسلمين .

٣- وتفوقها عسكرياً على كل دول المنطقة .

وعلى ذلك تكون القاعدة : أينما تكن إسرائيل تكن أمريكا^(١٨) ، بل ظلت تستغل نفوذها في هيئة الأمم المتحدة دوماً ضد المسلمين ، ومناصرة ومبررة لأي موقف صهيوني ، ضاربة بأي علاقة مع العرب أو أي عرف أو أخلاق عرض الحائط ، لدرجة أن أحد مندوبي الإتحاد الأوربي في الأمم المتحدة صرّح قائلاً :

(الواقع أن إسرائيل هي العضو الدائم السادس في مجلس الأمن ، فالفيتو الأمريكي يستخدم لصالحها أكثر من أي شيء آخر)^(١٩) .

ولا يخفى على ذي بصر وبصيرة أن مواقف أمريكا زادت من تعقيدات القضية الفلسطينية في كل المراحل - خاصة عندما توهم العرب بأن بيدها ما يسمى بـ(مفاتيح عملية السلام) وندلل على ذلك بالآتي :

أولاً : في فترة الهدنة - من عام ٤٩ إلى ١٩٦٧م ، كانت التساؤلات على الساحة هي :

- هل يعترف العرب بإسرائيل ؟
- هل يصرون على عودة مئات الآلاف من اللاجئين الذين خرجوا من فلسطين في عام ٤٨-١٩٤٩م ؟
- أم يصرون على انسحاب إسرائيل إلى اتفاقية الأمم المتحدة للتقسيم عام ١٩٤٧م .
- وأين هي قرارات الأمم المتحدة المنفذة على أرض الواقع ؟

ثانياً : اندلعت حرب الأيام الست في ٥ / يونيو / ١٩٦٧م التي كانت صدمة للعرب واهتزازاً لهيبة زعماء القومية العربية ، والتي جعلت الأنظمة العربية تنظر لمصالحها منفردة ، وانتهت الحرب بالسيطرة الصهيونية على كل القدس - الشرقية ، وغزة والتي تعج بمعسكرات اللاجئين ، فاحتلت كل فلسطين التي وضعت تحت الانتداب البريطاني عام ١٩٢١م ، إضافة لصحراء سيناء والضفة الغربية لنهر الأردن ، ومرتفعات الجولان ، وجعلت أكثر من مليوني فلسطيني تحت سيطرة الاحتلال الصهيوني .

ثالثاً : بعد حرب ٦٧ انحصر اهتمام زعماء العرب في الآتي :

- عودة الأراضي المحتلة في ١٩٦٧م
- تحقيق قدر من العدالة للفلسطينيين .
- رابعاً : بعد انتهاء حرب ٦٧ أفصح أمريكا على لسان رئيسها (ليندون جونسون) أن من حق إسرائيل أن تحصل على ما هو أكثر من العودة إلى ترتيبات الهدنة القديمة .
- يسترد العرب معظم ما فقدوه عام ٦٧ ، وقد صار أساساً لقرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ الذي تضرب به إسرائيل عرض الحائط - رغم ميله لها وإجحافه بحق المسلمين ، وفي السنوات التي تلت سنة ١٩٦٧ إلى ١٩٩٢ أنجذب ستة رؤساء لأمريكا^(٢٠) فأسهموا في تعقيدات النزاع باتفاق مواقضهم على الآتي :^(٢١)

- أن لا يطلب من إسرائيل التخلي عن الأراضي التي أحتلها عام ١٩٦٧م دون مقابل^(٢٢)
- القدس الشرقية تعد محتلة قانونياً - ويتعين تسوية وضعها مستقبلاً.
- المستوطنات الواقعة وراء خطوط الهدنة غير مشروعة بموجب القانون الدولي^(٢٣) .
- الاعتراض على إقامة دولة فلسطينية مستقلة تمام الاستقلال .
- ضمان التفوق العسكري لإسرائيلي .
- هنالك موافقة ضمنية لامتلاك إسرائيل للأسلحة النووية . (٢٤) .

المبحث الثالث : الجذور العقيدية للمشروع الصهيوني :

المطلب الأول : نصوص التوراة والتلمود

يفتخر اليهود بيهوديتهم ، وكل ما يفعلونه من استباحة للحرمت ، أو احتلالهم لأرض فلسطين يصفون على كل ذلك صبغة دينية ترتبط بالعقيدة اليهودية من خلال طرح شعارات مدعاة من التوراة المحرفة - مثل :

١- شعب الله المختار .

٢- الأرض الموعودة .

٣- يهود السامرة .

٤- أرضك يا إسرائيل من النيل إلى الفرات .

وينتظر اليهود مسيحاً يخلصهم من الخضوع للأمميين على شرط ألا يكون في صورة قديس كما ظهر عيسى ابن مريم كي يخلصهم من الخطايا الخلقية ، ولذلك أنكروه ، بل على شرط أن يكون في صورة ملك من نسل داؤود يعيد الملك إلى بني إسرائيل ويخضع الممالك كلها إلى اليهود ، وهذا لن يأتي إلا بالقضاء على السلطة في كل الأقطار الأممية ، لأن السلطة على شعوب العالم من اختصاص اليهود حسب وعد الله وتقديره ، فهذا هو العدو الذي يؤصل لعدوانه على المسلمين بالسلب والنهب معتقداً بسيطرة جنس على أجناس الأرض جميعاً ، وينشئ الأجيال على أنهم - وحدهم - (شعب الله المختار) ، وإن الله قد سخر لهم هذا العالم ، واجتباهم دون سائر الشعوب لحكمه والسيطرة عليه .

وبهذا الاعتقاد يؤجج زعماء اليهود في صدور النشء معاني التضحية والاستماتة كما إنهم يذكرونهم بالمذابح الوحشية التي وقعت على أسلافهم في عهد الطغيان ، وإن الله قد أراد لهم الراحة من هذا العناء حيث وهبهم أرض (إسرائيل) ^(٢٥) كما يعتبرون (سيناء) مقدسة إذ هي الأرض التي تاه فيها أسلافهم أربعين عاماً ، وكذلك هي الأرض التي ناجى فيها موسى ربه ، وشهدت نزول الألواح والوصايا ، وهي الأرض التي حمتهم من طغيان الضراعة . هذا من بعض ما يدعون ، وعندما يظفر المسيح اليهودي بالسلطة على العالم يستعيد كل الأمم ، وعندئذ فحسب يصبح أبناء إسرائيل وحدهم الأغنياء وهذه تعاليم التلمود ^(٢٦) وهذه العقيدة اليهودية تغذيها فتاوى

"الحاخامات" التي تتحول في فلسطين إلى سياسات للإبادة والاعتقالات للفلسطينيين العزل الذين صورهم الإعلام الموجه من قبل الصهيونية العالمية كأنهم دخلاء على فلسطين ، أو كأنهم هم الذين تسببوا في محرقة اليهود على يد النازية كما يتبجح بذلك من يدعم إسرائيل ، ويرى أن منكرها مجرم يعاقبه القانون .

إذن منطلق العمل البربري الإجرامي عند اليهود يبدأ من نصوص محرفة وضعوها في التوراة ، وكذلك تأويلات وتفسيرات للتوراة المحرفة وضعها الحاخامات وساقوها في سفر يعرف بـ (التلمود) الذي من ضمن ما فيه : (إذا انتصر اليهود في موقعة وجب عليه استئصال أعدائهم عن بكرة أبيهم ، ومن يخالف ذلك قد خالف الشريعة اليهودية وعصى الله) ^(٢٧) أهـ .

إن إسرائيل حققت لليهود أحلام تلمودهم الذي اخترعوه بعدما أشربهم كثيراً من الأحقاد ، ونقل لهم حاخاماتهم كثيراً من الوصايا الزائفة من التوراة المحرفة وكتاب تعليمهم الحقود ^(٢٨)

المطلب الثاني : التعاليم النصرانية :

ونشير في هذا المطلب إلى أن موقف النصارى من قيام كيان صهيوني في فلسطين ، بالذات عند أتباع الكنيسة الكاثوليكية كان الرفض إلى عهد قريب ، وذلك من منطلق لاهوتي ، وتذكر بعض الدراسات المهمة بذلك ^(٢٩) أن الزعيم الصهيوني "هرتزل" عندما زار بابا الفاتيكان (بييرس العاشر) في عام ١٩٠٣م طالباً تأييده للمشروع الصهيوني الاستيطاني في فلسطين رفض ذلك بحجة أن القدس مقدسة عندهم لعلاقتها بحياة السيد المسيح ، ولا يطاق استقرار اليهود فيها ، وكان مما قاله : (اليهود لا يعترفون بمخلصنا ونحن لا نعترف باليهود) .

ولكن بدأت رياح التغيير في الموقف النصراني تجاه اليهود في الحركة "البروتستانتية" التي تنظر لليهود باعتبارهم شعب مميز ، وإن عودتهم إلى القدس شرط لتحقيق المجد الثاني للمسيح ، وأن مساعدتهم لتحقيق هذه الغاية أمر يريده الله ، لأنه يعجل بمجيء المسيح الذي يحمل معه الخلاص والسلام ، وقد كان لها مواقف مشجعة لليهود على اعتبار أن فلسطين وطناً قومياً لهم ، ومن بين هذا الدعم المعنوي إعطاؤهم نسخة من الكتاب المقدس تظهر فيها علامات تشير على عودة اليهود إلى فلسطين ، وهذه النسخة ما تزال معروضة إلى الجانب ضريح " هرتزل " في القدس ^(٣٠)

وبعد قيام الكيان الصهيوني اتفقت الكنيستان الكاثوليكية والبروتستانتية - على إعادة النظر في موقفيهما اللاهوتي من اليهود ، كما بدأ سباق التنازلات بينهما لمصلحة الصهيونية .

ونود في هذا المطب مزيداً لإيضاح الموقف النصراني أن ننقل ما نشرته مجلة المجتمع الكويتية^(٣١) عن اجتماع نحو ستين نصراني صهيوني من اثنتي عشرة دولة ولمدة ثلاثة أيام في مدينة بازل بسويسرا للإعراب عن مساندتهم لإسرائيل بناء على مبادرة من السفارة المسيحية الدولية التي مقرها القدس.

- ولماذا مدينة بازل ؟ لأن أول مؤتمر صهيوني خطط فيه لقيام إسرائيل عقد بها (عام ١٨٩٧م بقيادة " ثيودور هرتزل " .

- وأخيراً هاهو وجه سويسرا قد انكشف عنه قناع الحياد لمعارضتها المآذن التي ترفع بذكر اسم الله.

- وفي (عام ١٩٦١م) ، أصدر مجلس الكنائس - بروتستانتية وأرثوذكسية - الذي انعقد في نيودلهي بالهند - بياناً جاء فيه : العداة للسامية خطيئة ضد الله ، وضد الإنسان علينا في التعليم المسيحي ألا نلقي أحداث التاريخة التي أدت إلى صلب المسيح على عاتق اليهود ، فالمسئولية تقع على إنسانيتنا المشتركة وليست محصورة في جماعة معينة أو قوم^(٣٢) أهـ وحتى يتسم التعاون بين النصراني واليهود بالمحبة فقد تأسفت الكنيسة لبغض اليهود واضطهادهم ، ولكل مظاهر مقاومة السامية التي استهدفت اليهود في أزمنة كثيرة ، مؤصلة لذلك من محبة الإنجيل ، كما تمت تبرئتهم من دم المسيح وحذف الصلوات التي تضمنت إدانتهم .

ففي (عام ١٩٧٣م) صدر عن اللجنة الأسقفية الفرنسية الكاثوليكية ما يلي :

(لا يستطيع الضمير العالمي أن يرفض للشعب اليهودي الذي عرف تقلبات عديدة عبر تاريخه ، الحق في وجود سياسي بين الأمم والوسائل اللازمة لذلك^(٣٣) أهـ .

وفي شهر مارس عام ١٩٨٢ م أصدر الفاتيكان الوثيقة التالية :

إن تاريخ إسرائيل هو تاريخ متواصل ، وإن انتشار إسرائيل في الأرض شهادة تاريخية بطولية لثقتها بالرب ، وهي تحتفظ دائماً في قلبها بذكرى أرض الأحرار ،

وأن وجود الدولة الإسرائيلية أمر تاريخي وهو علامة لتفسير في اتجاه واضح للرب^(٣٤) أهـ .

إذن الفاتيكان اليوم معترف رسمياً بالوجود الصهيوني في فلسطين ، وقد تنازل ضمناً عن مطالبته السابقة بتدويل القدس . أما البروتستانت قد صبغوا الوجود الصهيوني بالصبغة الدينية النصرانية ، وبتفسيرهم للاهوتية الجديدة التي تدعي أنه استمرار لدولة إسرائيل القديمة . ومن البروتستانتية انبثقت حركة فكرية تشبعت بالأفكار الصهيونية أطلقت على نفسها اسم "الأصولية الإنجيلية" تعتقد بالنبوءات الإنجيلية التي تجعل من استيلاء اليهود على القدس وإعادة بناء الهيكل مكان المسجد الأقصى شرطاً لازماً لعودة المسيح^(٣٥) ، ويتركز معظم أتباع الأصولية الإنجيلية في أمريكا وبعض الدول الأوروبية الغربية ، كما أن معظم قادتها خاصة في أمريكا ينتمون إلى هذه الحركة ، ولعل هذا ما يفسر الدعم اللامحدود لإسرائيل إضافة لانتمائهم إلى الماسونية .

وتأكيداً لذلك نورد المذكرة المرفوعة من المنتدى الأمريكي للتعاون المسيحي اليهودي في ١١ / نوفمبر / ١٩٨٢م إلى الرئيس الأمريكي (رونالد ريجان) والتي جاء فيها : (إن الله أعطى أرض إسرائيل للشعب اليهودي وإن الكتاب المقدس يرسم حدود دولة إسرائيل وهي تتجاوز حدود الدولة الحاضرة .. حق إسرائيل في يهوذا والسامرة يستند إلى التاريخ الكتابي والمعاصر على حد سواء)^(٣٦) أهـ .

وفي الواقع نرى أن الاستجابة كانت فورية ، إذ اتسمت كل فترة رئاسة هذا الرئيس^(٣٧) (ريجان) بالتأييد المادي والمعنوي والعسكري لإسرائيل مع هضم كل الحقوق الفلسطينية رغم محاولات تمييع القضية بالمعاهدات والوعود الكاذبة^(٣٨) .

المبحث الرابع :

روافد دعم دولة إسرائيل :

المطلب الأول : بروتوكولات حكماء صهيون :

والمقصود بهذه البروتوكولات القرارات ومضابط جلسات تشكل البرنامج المضلل لتحقيق أهداف التلمود الرامية لانحطاط الأمم الأخرى توطئة لقيام مملكة بني صهيون الكبرى . وهذه البروتوكولات وعددها (٢٤) تمثل أجرم خطة لتدمير العالم ثم السيطرة عليه ليحكمه ملك من نسل داؤود ، وقد وضعها أعتى حكماء الصهيونية وعددهم (٣٠٠) كانوا يمثلون (٥٠) جمعية يهودية اجتمعوا في مدينة بازل بسويسرا (عام ١٨٩٧م) برئاسة زعيمهم "هرتزل" ^(٣٩) .

ويذكر الباحثون أن زعماء اليهود قد عقدوا في الفترة ما بين (عام ١٨٩٧) إلى (١٩٥١) ثلاثة وعشرين مؤتمراً كان آخرها مؤتمر القدس بتاريخ (١٤ / ٨ / ١٩٥١م) لبحث في الظاهر مسألة الهجرة إلى إسرائيل وحدودها ^(٤٠) . وقد نفذ اليهود هذه البروتوكولات بدقة ، وما لم ينفذ يخططون له بدهاء ومكر، وكان لها نتائج خطيرة خاصة على المسلمين من أبرزها إسقاط الخلافة الإسلامية التي أعاقت مرور اليهود إلى فلسطين - أرض معادهم - كما يدعون وتتلخص هذه البروتوكولات في إفساد حياة غير اليهود وتدمير الأخلاق وإفساد السياسة والاقتصاد والتآمر على الحكومات . وتتلخص الوسائل إلى ذلك في الآتي ^(٤١) :

١- تفسيح العالم وتدويخ الشعوب في متاهات الفكر ، والمذاهب ، والخلافات ، والمنازعات .

٢- تلويث سمعة كل من يعارضهم .

٣- التآمر العنيف على معارضيهم .

٤- القتل غدراً وغيلة بواسطة العملاء والجواسيس .

وبعد سريان السم اليهودي في النصرانية فقد أيقن اليهود أن الخطر الأكبر على مخططاتهم الحاقدة هو الإسلام الذي لم يقصروا أبداً في تدميره وإبادة معتنقيه .

المطلب الثاني : الماسونية

وهي المنظمات السرية التي أنشأها اليهود لتحقيق مصالحهم ، وتنفيذ مخططاتهم من خلالها ، وإعادة بناء مملكة يهوذا والسيطرة على العالم .

ويعني اسمها : البناءون الأحرار^(٤٢) فهي حركة خفية قام بها حاخامات اليهود تهدف إلى إقامة مملكة صهيون العالمية بواسطتها يتم الاستيلاء على عقول الزعماء الذين تستخدمهم كمعاول هدم في كيان الشعوب غير اليهودية ، وقد لعبت دوراً خطيراً في هزيمة العرب (عام ١٩٤٨م) (٤٣).

الماسونية ثلاثة مراحل :

- ١- ابتدائية رمزية .
- ٢- متوسطة ملوكية .
- ٣- كونية ، وتضم حكماء صهيون ، وقد أصبح الفوز برئاسة أمريكا حتى الآن وقفاً على المتمتع بدرجة العقد الملوكي .

ومن أهداف الماسونية ما يلي :

- ١- محاربة الأديان .
- ٢- وضع النظريات التي تمزق الشعوب (٤٤)
- ٣- قتل الانتماء الوطني .
- ٤- اختراق المؤسسات الدينية من الداخل .

وتنتشر الماسونية في الناس مبدأ فصل الدين عن الدولة في الوقت الذي يقيم فيه اليهود دولتهم على الدين كما يدعون .

ومن أهم مقومات الماسونية ما يلي :

- ١- إتحاد مصالحهم محلياً وعالمياً .
- ٢- اشتراك اليهود في المفاخر والمآسي .
- ٣- وحدة غرضهم باستغلال العالم لمصلحتهم .

- ٤- وحدة الدم فيعيشون منعزلين حيثما كانوا .
- ٥- اضطرارهم للتعصب للمحافظة على أنفسهم من الأمم التي تنبذهم - فهم أقلية مقارنة بغيرهم .
- ٦- إحساسهم المشترك بالنعمة على العالم لكثرة اضطهادهم .
- ٧- استغلال أسوأ الوسائل لإشاعة الرذيلة^(٤٥) .

وقد ذكر عبد الفتاح عبد الحميد تقرير السلطات المصرية (عام ١٩٦٤م) حيث لاحظت أن جميع أدوات النادي الماسوني بمصر تحمل النجمة الإسرائيلية كما ضبطت أعلام تمثل أسباط إسرائيل الاثني عشر، وأن جميع ما بالدار يتسم بالطابع البريطاني الإسرائيلي(٤٦) .

المطلب الثالث : نظرية السامية :

المقصود بالسامية الشعب اليهودي هكذا كما يدعي اليهود إذ ترجع هذه الكلمة إلى سام بن نوح عليه السلام ، وهذا المصطلح قد ظهر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر حسب متابعات الباحث " أنور الجندي " وكان وراؤه الصهيونية التي تدعي أنه من ضمن نصوص التوراة ، وبتوسع نطاق هذه المقولة الزائفة أقام عليها الكتّاب الموالون للصهيونية " علم الأجناس " إذن هو صناعة يهودية ليكون لهم به دوراً أكثر وضوحاً من دور العرب أصحاب الشأن الحقيقي ، وأن يجعلوا منه منطلقاً لمعارضة خصومهم باسم معاداة السامية ، لاسيما في هذا العصر فقد سنت القوانين في كثير من الدول الأوروبية إضافة إلى أمريكا لمعاقبة من يظهر أي عداة للسامية ، بل قد تقرر دراسة اللغات السامية في كثير من كليات الآداب في البلاد الإسلامية بإشراف المستشرقين لتحقيق الأهداف التالية :

- ١- نشر فكر السامية التي نسبت إليها كل أمجاد التاريخ العربي القديم وسلبه من أصحابه الحقيقيين بإضافته إلى مصدر غامض مستمد من التوراة - المحرفة - التي كتبها اليهود بأيديهم .
- ٢- محاولة التشكيك في رحلة نبي الله إبراهيم خليل الرحمن إلى الحجاز وإقامة ابنه إسماعيل وزوجته هاجر في مكة .
- ٣- محاولة اعتبار التوراة - المحرفة - مرجعاً للبحث العلمي .

٤- محاولة إيجاد تصور زائف بأثر اليهود في الجزيرة العربية .

٥- محاولة إيجاد ترابط بين العرب واليهود والقول بأنهما أبناء عمومة .

٦- إعلاء شأن إسحاق على إسماعيل بهدف إخراج أبناء إسماعيل من حقوق الوعد الذي تلقاه إبراهيم عليه السلام من ربه وقصر الوعد على أبناء إسحاق ، تحت أسطورة شعب الله المختار، كل ذلك تمهيداً للفكرة الصهيونية الهادفة إلى إيجاد وطن قومي وسيادة اليهود على العالم (٤٧).

الخاتمة :

وفي ختام هذا البحث توصل الباحث إلى النتائج والتوصيات التالية :

أولاً :النتائج

- ١- إن لما تقوم به إسرائيل جذور عقدية في زعمها اليهودي وذلك لإقامة هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى .
- ٢- إن من يساند إسرائيل من حكام الغرب ينطلقون من معتقدات دينية كما يزعمون ، كما لهم أهداف سياسية في زرع إسرائيل في قلب العالم الإسلامي .
- ٣- الدور الذي تقوم به جمعيات الماسونية ولتبرير قيام دولة إسرائيل .
- ٤- التأثير على المنظمات العالمية من قبل اللوبي الصهيوني .
- ٥- التحكم في الإعلام والاقتصاد.
- ٦- تحييد العقيدة الإسلامية في الصراع مع إسرائيل .
- ٧- وصم المجاهدين بالإرهاب وامتداح غيرهم بالمعتدين .
- ٨- عمل الاتفاقيات الفردية مع الدول المجاورة .
- ٩- الاستفادة من حالة تفرق المسلمين وتآكلهم الداخلي .
- ١٠- الصهيونية توحد يهود العالم تحت شعار : حائط المبكى ومملكة داؤود .
- ١١- معظم ما تقوم به إسرائيل هو تنفيذ لبروتوكولات حكماء صهيون التي خرج بها المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة " بازل بسويسرا " (عام ١٨٩٧م) برئاسة (ثيودور هرتزل) مؤلف كتاب الدولة اليهودية .

ثانياً : التوصيات :

- ١- تصحيح مسيرة القضية الفلسطينية باعتبارها قضية العقيدة الإسلامية في مواجهة اليهود ، وحلها يكمن في كون العقيدة هي المواجهة في كل الميادين

- ٢- رفع الروح المعنوية للشعوب المسلمة بحتمية انتصار الحق على الباطل .
 - ٣- بيان سنة الله في التغيير : (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)
 - ٤- تربية الأفراد على التجرد من الأهواء ومن كل ما يحول بينهم ومعية الله تعالى .
 - ٥- تنشئة الأجيال على أن وطن المسلم ما ذكر فيه اسم الله ، وأن فلسطين وطنها تمنحها ولاءها وتغذيه بأعلى ما عندها ، ولا تكل ولا تمل من العمل على إزالة الظلم الذي حاق بأهلها .
 - ٦- أن أمثل طريقة لإيجاد جيل النصر المنشود هو غرس العقيدة في النفوس
 - ٧- العمل على تقارب المسلمين ووحدهم .
 - ٨- تأكيد موالاة المسلمين بعضهم لبعض .
 - ٩- إحياء لغة الحوار الهادف بين المسلمين والدعوة إلى اجتماعهم على ما اتفقوا عليه وإعذار بعضهم لبعض فيما اختلفوا فيه .
 - ١٠- إعلان الجهاد لتحرير فلسطين.
- هذا وبالله التوفيق

الهوامش :

- ١- راجع كتاب :الأرض المباركة /فلسطين أرض الأنبياء وموطن العلماء ومثوى الشهداء -الندوة العالمية للشباب الإسلامي /المنطقة الشرقية ص٩
- ٢- أي فترة المن (٤٩٣) على (٥٨٣) - التي توافقت (١٠٩٩) إلى (١١٨٧م).
- ٣- الأرض المباركة - فلسطين أرض الأنبياء ومواطن العلماء ومثوى الشهداء - الندوة العالمية للشباب الإسلامي - المنطقة الشرقية - ص(٩).
- ٤- سورة العنكبوت الآية رقم (٢)
- ٥- سورة آل عمران الآية رقم (١٨٦).
- ٦- البقرة الآية (١٤٦)
- ٧- البقرة (١٤٥)
- ٨- سورة الحشرة الآية رقم (٤)
- ٩-انظر : د. محمد عثمان صالح /خلفية صراع أهل الأديان حول فلسطين ولبنان ص(٤٣) سلسلة الدراسات الفكرية هيئة علماء السودان رقم (٣٥) (يونيو ٢٠٠٨م).
- ١٠-البراق مكان بالمسجد الأقصى ربط فيه البراق عندما أسرى برسول الله (ﷺ) وقد اعتدى على هذا المكان اليهود (عام ١٩٣٠) فاهتز الوجدان المسلم واستفزت العاطفة الدينية فقامت ثورة عارمة فرقها مكاييد بريطانيا الظالمة .
- ١١-أنظر جعفر عبد الرازق الإسلاميون والقضية الفلسطينية (ص٦١-٦٢) منظمة الإعلام الإسلامي (١٤٠٩ - ١٩٨٩م)
- ١٢-هو:السير هربرت صمويل .
- ١٣-أول رئيس لإسرائيل (عام ١٩٤٨م)
- ١٤-جعفر عبد الرزاق : الإسلاميون والقضية الفلسطينية ص(٦٢) (مصدر سابق) .
- ١٥- مجلة الدعوة المصرية ص١٨ العدد /٢٧/ يناير ١٩٩٤ م .
- ١٦- انظر د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي . الانتفاضة والتتار الجدد من (٦- ٧ ط أولى ٢٠٠٣ م .
- ١٧- المصدر السابق ص(١٤) .
- ١٨- هم : جونسون - نيكسون - فورد - كارتر - ريجان - بوش الأب

- ١٩- انظر : وليم ب - كوانت - عملية السلام - الدبلوماسية الأمريكية والنزاع العربية الإسرائيلي منذ (١٩٦٧م) - (ص ١٨ - ١٩) مركز الأهرام للترجمة والنشر ط أولى - (١٩٩٤ م)
- ٢٠- فأصبحت الصيغة هي الأرض قبل السلام وقد تمثلت في قرارهم الأم المتحدة (٢٤٢) - الصادر في (٢٢ / نوفمبر / ١٩٦٧م) والذي أصبح المرجعية الأساسية لما يسمى لصنع السلام .
- ٢١- ولكن إدارة ريجان في عام ٨١ قلبت الموقف وأعلنتها مشروعاً .
- ٢٢- المصدر السابق ص(٢٠) .
- ٢٣- انظر كامل الشريف - الأخوان المسلمون في حرب فلسطين ص٢٠٠ مكتبة المنار ، ط الثالثة ١٤٠٤ - ١٩٨٤ م .
- ٢٤- عبد الله عاصي - صراعنا مع إسرائيل دراسة شاملة عن مطابع الصهيونية في البلاد العربية - ص١٢ - ط أولى ١٩٦٩ - بيروت .
- ٢٥- انظر د. عبد الستار فتح الله سعيد - معركة الوجود بين القرآن والتلمود ص٧ - ط الثانية - ١٤٠٢ / مكتبة المنار .
- ٢٦- مثل كتاب : النبوة والسياسة الإنجيليون العسكريون الطريق إلى الحرب النووية - للكاتب الأمريكي غريس هاكسيل - ترجمة محمد السماك .
- ٢٧- المصدر السابق ص٨
- ٢٨- نفس المصدر ص٩
- ٢٩- في عددها رقم ٢٣٢ بتاريخ ١٠ - سبتمبر / ١٩٨٥ م ص٣٥ .
- ٣٠- نقلاً عن تقرير الجمعية العامة الثالثة لمجلس الكنائس العالمي : المنعقد بنيودلهي .
- ٣١- غريس هاكسيل - النبوة والسياسة - ص١٢ - مصدر سابق .
- ٣٢- نقلاً عن مجلة رسالة الجهاد - العدد ٦٦ - مايو ١٩٨٨ م ص٣٤ .
- ٣٣- انظر - غريس هاكسيل - النبوة والسياسة - ص ٣٣
- ٣٤- من عريضة مرفوعة إلى الرئيس الأمريكي ريجان وإلى أعضاء الكونجرس . من قبل المنتدى الأمريكي للتعاون المسيحي الذي يدعي تمثيل ٤٠ مليوناً من المسيحيين والمنعقد في أميركا في ١١ نوفمبر - ١٩٨٢م

- ٣٥- انظر: وليم / ب/ كونت الدبلوماسية الأمريكية والنزاع العربي الإسرائيلي / ص٣١٧ / ٣٨٥ .
- ٣٦- انظر : عبد الفتاح عبد الحميد / نظرة على طريق حكماء صهيون / ص / ٧ / دار الأنصار / بدون تاريخ .
- ٣٧- انظر : مقدمة ترجمة بروتوكولات حكماء صهيون لمحمد الخشاب ص ٢٤ - مؤسسة حورس الدولية .
- ٣٨- انظر: د. عبد الستار فتح الله سعيد معركة الوجود بين القرآن والتلمود ص ٥٥ مصدر سابق .
- ٣٩- انظر: د . صابر طعيمة / الماسونية ذلك العالم المجهول / ص٢٠ .
- ٤٠- فتحي يكن / العالم الإسلامي والمكائد الدولية خلال القرن الرابع عشر الهجري ص٧٤ - الشركة المتحدة للتوزيع - بيروت ١٩٨١م
- ٤١- كالتنظيرية الشيوعية التي وضعها كارل ماركس حفيد الحاخام اليهودي مردخاي ماركس .
- ٤٢- انظر:عبد الله النجار/أسرار الصهيونية /ص ١٨ .
- ٤٣- محمد خليفة التونسي - الخطر اليهودي ص٧٠ .
- ٤٤- انظر أنور الجندي - نظرية السامية مؤامرة على الحنيفية الإبراهيمية - ص١٢ - دار الاعتصام - القاهرة - سلسلة في دائرة الضوء - رقم ١٣ بدون تاريخ .
- ٤٥- انظر :عبد الحميد عبد الفتاح /نظرة علي طريق حكماء صهيون /ص٣٥ .
- ٤٦- انظر :أنور الجندي / نظرية السامية مؤامرة علي الحنيفية الإبراهيمية /ص١٤(مصدر سابق).
- ٤٧- سورة الرعد الآية رقم (١١) .
- ٤٨- انظر: العالمية للشباب الإسلامي / المنطقة الشرقية /ص٩ .

النصر الغالي في سورة الأنفال

إعداد

. يوسف محمد النور حامد*

* - أستاذ مساعد، قسم الدراسات الإسلامية، كلية التربية، جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم.

المقدمة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وحبينا وشفيعنا يوم القيامة محمد بن عبد الله المؤيد بالمعجزات الظاهرات الباهرات ، خيرة الله من خلقه ، وصفوته من جنه وإنسه ، قدوة المتقين وسيد الناس أجمعين ، وإمام أهل اليقين وقائد الفر الميامين ، ورحمة الله للعالمين ، شرف الله بميلاده الأكوان ، وأسعد الله برسالته العظمى بني الإنسان ، و أحيا الله به القلوب بعد مماتها وأنارها به بعد ظلماتها وألف بينها بعد شتاتها ، صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه وذريته الطاهرين المطهرين وعلى أصحابه الطيبين أعلام الهدى البررة الراشدين المهديين وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الجمع والدين . وبعد

سبب اختياري لهذا الموضوع :-

السبب الأساسي الذي دفعني للبحث في هذا الموضوع يمكن أن أجمله في الآتي :-

١- المسلم مهما كانت درجة ثقافته يتعامل مع تفسير القرآن الكريم وفق ما يمكن اعتباره شبكة من البدايات والمسلمات ، لكن التفسير لا يأتيه مباشرة عن طريق الأخبار والروايات التاريخية التي قد يكون بعضها ضعيفاً وبعضها مشكوك فيه .

٢- من خلال تعامل الإنسان مع القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ومن خلال تجربته الإيمانية ، لا بد أن يكون على معرفة طيبة بتفسير القرآن الكريم وهو أمر ضروري لكل مسلم .

٣- وقفت على سورة الأنفال فلفت نظري أنها تحمل بين طياتها أقوى وأعظم معركة في التاريخ كانت سبباً في التفريق بين الحق والباطل حتى سميت (غزوة الفرقان) ، مما حدا بي أن أغوص في أعماقها لأستخلص منها درر العبر والعظات والدروس التي يستفاد منها في المستقبل بإذن الله ومشيتته .

أهمية الموضوع :-

١- يتعلق الموضوع بغزو الكفار ، ونحن الآن بين غزو الكفار ومحاربة بعض الخارجين على الحكام المسلمين فلا بد أن نفرق بين الحربين وهذا

يجعلنا ننظر لهذه السورة العظيمة والغزوة العظيمة التي ندرك من خلالها كيف نفرق بين الحربين المذكورين .

٢- قلة البيان في هذا الموضوع جعلني ألتفت إليه لأبين بعض الذي خفي على كثير من الناس .

أهداف الموضوع :-

- ١- ارتباط الموضوع الوثيق بأمر المسلمين وأحوالهم في كل زمان ومكان
- ٢- محاولة بيان أهمية السيرة النبوية وأثر نجاحها في المجتمع المسلم وخطر غيابها .
- ٣- محاولة بيان الأسباب الكامنة وراء هذا النجاح الكبير للمسلمين في بدر وبعدها .
- ٤- امتثالاً لقوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار " الأنفال ، ١٥ .

منهج البحث :-

إنني حرصت انسجاماً مع طبيعة الموضوع الاستفادة من المنهج التاريخي بالإضافة إلى المنهج التحليلي الاستقرائي ، لأن الغرض هو محاولة بيان بعض الجوانب القيمة التي يمكن أن يستفاد منها في هذه السورة العظيمة

تبويب البحث :-

وقد قمت بتقسيم بحثي هذا إلى ثلاث مباحث كل مبحث يحتوي على عدد من المطالب ، جاءت كالآتي :-

المبحث الأول : وتحدثت فيه عن مفهوم كلمة الأنفال وسبب نزول هذه السورة العظيمة . ويحتوي على مطلبين اثنين ، الأول وضحت فيه مفهوم الأنفال . والمطلب الثاني بينت فيه سبب نزول هذه السورة التي اشتملت على جوانب كثيرة عن هذه الغزوة . ثم جاء المبحث الثاني متحدثاً عن مقدمات غزوة بدر الكبرى والتوجيهات الحربية التي وجهها النبي ﷺ للمسلمين ، وتحذيره لهم من مخالفة أمر هذا الدين وأمر الرسول ﷺ وجاء هذا المبحث في ثلاث مطالب . الأول تحدث عن مقدمات لغزوة بدر الكبرى ، والثاني تحدث عن التوجيهات والنصائح الحربية التي أسداها النبي ﷺ للمؤمنين . ثم كان أخيراً المبحث الثالث : الذي تحدث عن النصر المبين ، وجاء في ثلاث مطالب : المطلب الأول

تحدث عن امتتان الله على المؤمنين بالنصر الغالي، والمطلب الثاني تحدث عن كيفية الإعداد والاستعداد الحربي للعدو . أما المطلب الثالث فكان عن الميل للسلم والسلام إذا رغبوا - أي المشركين - في ذلك والعمل على تقوية الروح المعنوية في الجيش ، ثم كانت الخاتمة وفيها النتائج ، أوجزت فيها ما جاء في هذا البحث . ومن ثم جاءت قائمة المصادر والمراجع ثم الفهرس .

المبحث الأول : مفهوم الأنفال وسبب نزول السورة :-

المطلب الأول : مفهوم كلمة الأنفال :-

النفل بالتحريك : هو الغنيمة والهبة ، والجمع أنفال ونفال ، نفله نفلًا وأنفله إياه ونفله بالتخفيف ، ونفلت فلانًا تنفيلاً : أعطيته نفلًا وغنماً . ونفل الإمام الجند : جعل لهم ما نفلوا أي غنموا^(١)، وسميت الغنائم أنفالاً لأن المسلمين فضلوا بها على سائر الأمم الذين لم تحل لهم الغنائم . وصلاة التطوع نافلة لأنها زيادة أجر لهم على ما كتب لهم من ثواب ما فرض عليهم . وسميت النوافل في العبادات لأنها زائدة على الفرائض . والنوافل : العطية ، والنافل : السيد المعطاء يشبهانه بالبحر .

قال ابن سيدة : فدل هذا على أن النوافل البحر ، وقال أبو عمر هو اليم والقلمس ، ويقال لولد الولد نافلة أيضاً^(٢) .

وتحدث جمع غفير من الشعراء عن النفال في أشعارهم ومنهم لبيد . قال :

إن تقوى ربنا خير نفل وبإذن الله ريثي والعجل

وقالت جنوب أخت عمرو ذي الكلب :

وقد علمت فهم عند اللقاء بأنهم لك كانوا نفلًا

وقال شمر :

(١) - لسان العرب / ابن منظور ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ط ١ ، ١٩٩٣م ، ج ١٤ ، ص ٢٤٤ .
(٢) المصباح المنير / الفيومي ، أحمد بن محمد بن علي المقرئ ، بيروت : المكتبة العلمية ، ج ٢ ، ص ٦١٩ .

لما رأيت سنة جمادى أخذت فأسي أقطع القتادا

رجاء أن أنفل أو آزادا

وقال أبو ذؤيب :

فإن تك أنثى من معد كريمة علينا فقد أعطيت نافلة الفضل

وقال الكمييت يمدح رجلاً :

غياث المצוע رثاب الصدوع لأمتك الزفر النوافل .

وأنشد الأعشى بأهله :

أخو رغائب يعطيها ويسألها بأبي الظلامة منه النوافل الزفر .

وقال أيضاً :

لئن منيت بنا عن جد معركة لا تلفنا عن دماء القوم ننتفل

هذه بعض الأمثلة لما أورده الشعراء عن الأنفال في أشعارهم وهناك الكثير . وفي حديث أبي الدرداء : " إياكم والخيل المنفلة التي إن لقيت فرت وإن غنمت غلت . وقال ابن الأثير : كأنه من النفل الغنيمة أي الذين قصدهم من الغزو الغنيمة والمال دون غيره ، أو من النفل وهم المطوعة المتبرعون بالغزو الذين لا اسم لهم في الديوان فلا يقاتلون قتال من له سهم ، ونوفل ونفيل اسمان^(١) ، والأنفال : هي من فضل الله تعالى وعطاءه ، وهي من خصائص النبي ﷺ وقد زادت هذه الأمة بها على الأمم السابقة ، روي في الصحيحين : عن جابر بن عبد الله t : أن رسول الله ﷺ قال : " أعطيت خمساً لم يعطهن أحداً قبلي " . فذكر الحديث - وهو المسمى بحديث الشفاعة - إلى أن قال : " وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي " ، والنفل أيضاً : الزيادة عن الواجب^(٢) .

(١) لسان العرب / المرجع السابق ، ص ٢٤٦ .

(٢) التفسير الواضح / محمد محمود حجازي ، الزقازيق : دار التفسير ، ط ١٢ ، ٢٠٠٣ م ، ج ١ ، ص ٨٠٣ .

المطلب الثاني : سبب نزول سورة الأنفال :-

عن عبادة بن الصامت **t** قال : نزلت فينا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا في النفل ، وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله **ﷺ** فقسمه بين المسلمين على السواء ، وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله **ﷺ** وإصلاح ذات البين .

وروى أبو داوود والنسائي عن ابن عباس **t** أن النبي **ﷺ** قال : " من قتل قتيلاً فله كذا وكذا ، ومن أسر أسيراً فله كذا وكذا . " فأما الشيوخ فثبتوا تحت الرايات وحول رسول الله **ﷺ** ، وأما الشبان فسارعوا إلى القتل والغنائم ، فقال الشيوخ للشبان : إنا كنا لكم رداءً ولو كان منكم شئٌ للجأتم إلينا ، فاختصموا إلى النبي **ﷺ** فنزلت السورة^(٣) .

وجاء المعنى العام في ذلك أن الخلاف قد وقع بين المسلمين في غنائم بدر فسألوا رسول الله **ﷺ** أهى للمهاجرين أم للأَنْصار ؟ أهى للشباب أم للشيوخ ؟ أم لهم جميعاً ؟ فقيل له - أي رسول الله **ﷺ** - قل لهم : إن حكمها لله خاصة ويقسمها الرسول **ﷺ** على حسب أمر الله تعالى فلا رأي لأحد ، وفي هذه الآية إجمال بيّن في قوله تعالى : " وأعلموا أنما غنمتم من شئٍ"^(٤) ، وللإمام أن ينفل من شاء من الجيش بما شاء تحريضاً على القتال وإثارة للنفوس كما ورد ، وهذا النفل زيادة عن سهمه في الغنيمة .

وقيل عن سبب النزول أيضاً أن سعد بن أبي وقاص **t** أصاب سيفاً يوم بدر ، فقال : يا رسول الله هبه لي ، فنزلت هذه الآية . وفي رواية أخرى أن سعد **t** قال : قتلت سعيد بن العاص ، وأخذت سيفه فأتيت به رسول الله **ﷺ** فقال : " اذهب واطرحه

في القُبض " ، فرجعت وبى ما لا يعلمه إلا الله ، فما جاوزت إلا قريباً حتى نزلت سورة الأنفال فقال **ﷺ** : " اذهب وخذ سيفك "^(١) .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٨٠٤ .
(٤) سورة الأنفال ، الآية : ٤١ .
(١) رواه أحمد في المسند (١٨٠/١) .

وقال السدي : اختصم سعد وناس آخرون في ذلك السيف ، فسألوا النبي ﷺ فأخذه النبي ﷺ منهم فنزلت الآيات .

وجاء في سبب النزول قول ثالث وهو أن الأنفال : كانت لرسول الله ﷺ ليس لأحد منها شئ فسألوه أن يعطيهم منها شيئاً ، فنزلت الآيات . وهذا القول رواه أبو طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (٢) .

وقال صاحب الظلال تعليقاً على ما حدث من خلاف بسبب الغنائم يوم بدر : " ولقد يدهش الإنسان حين يرى أهل بدر يتكلمون في الغنائم وهم إما من المهاجرين السابقين الذين تركوا وراءهم كل شئ وهاجروا إلى الله بعقيدتهم لا يلوون على شئ من أعراض هذه الحياة الدنيا ، وإما من الأنصار الذين آووا المهاجرين وشاركوهم ديارهم وأموالهم لا يبخلون بشئ من أعراض هذه الحياة الدنيا (٣) .

ولكننا نجد بعض التفسير لهذه الظاهرة في الروايات نفسها ، لقد كانت الأنفال مرتبطة في الوقت ذاته بحسن البلاء في المعركة ، وكانت بذلك شهادة على حسن البلاء ، وكان الناس يومئذ حريصين على هذه الشهادة من رسول الله ﷺ ومن الله سبحانه وتعالى في أول واقعة يشفي الله فيها صدورهم من المشركين .

ولقد غطى هذا الحرص وغلب على أمر آخر نسيه من تكلموا في الأنفال حتى ذكرهم الله عز وجل وردهم إليه .

ذلك هو ضرورة السماحة فيما بينهم في التعامل والصلاح بين قلوبهم في الشاعر ، حتى أحسوا ذلك في مثل ما قاله عبادة بن الصامت t " فينا أصحاب بدر نزلت . حين اختلفنا في النفل ، وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا فجعله إلى الرسول ﷺ " (٤) .

(٢) زاد المسير في علم التفسير / ابن الجوزي ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط ٢ ، ٢٠٠٢م ، مج ٢ ، ج ٣ ، ص ٢٤١ .

(٣) في ظلال القرآن / سيد قطب ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ط ٧ ، ١٩٧١م ، مج ٣ ، ص ٧٣٩ .

(٤) الأساس في التفسير / سعيد حوي ، القاهرة : دار السلام ، ط ٦ ، ٢٠٠٣م ، مج ٤ ، ص ٢١١٧ .

المبحث الثاني : مقدمات غزوة بدر الكبرى والتوجيهات الحربية للمؤمنين والتحذير من المخالفة :-

تمهيد :- تبدأ السورة بتبيان حكم أثر من آثار القتال وهو الغنائم ، فتبين أن المرجع في هذه الغنائم لله ورسوله ﷺ ، فالله هو المالك لكل شيء ، ورسوله هو خليفته ، ثم أمر الله المؤمنين بثلاث أوامر : بالتقوى ، وإصلاح ذات البين ، والطاعة لله ورسوله ﷺ ، وهي أوامر مهمة جداً في موضوع الجهاد ، فالجهاد إذا لم ينشأ عن تقوى فليس جهاداً ، والجهاد يحتاج إلى وحدة الصف ، ومن ثم لا بد من إصلاح ذات البين ، والانضباط هو الأساس في الجهاد ، إذ لا جهاد بلا انضباط ، ثم بين الله تعالى أن الطاعة لله والرسول علامة للإيمان .

المطلب الأول : مقدمات غزوة بدر الكبرى :-

لما هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة بعد أن لاقى ما لاقى ، وترك المسلمون أموالهم وأرضهم وديارهم للمشركين ، وسمع أن تجارة لقريش فيها مال كثير آتية من الشام وعلى رأس العير أبو سفيان بن حرب مع أربعين نضراً من قريش ، انتدب المسلمين إليهم وأغراهم بالعير قائلًا : " هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها " فأعجبهم تلقي العير لكثرة المال وقلة الرجال .

وقد نزلت الآيات الكريمة التي تحكي هذه الحالة ، في قوله تعالى : " كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون " مروراً بالآيات التي تليها حتى قوله تعالى : " ذالكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار " ^(١) وهذه هي الحال التي حكم الله فيها بأن الأنفال حكمها لله تعالى وتنفيذها لرسول الله ﷺ وقد كره شبابهم ذلك ، هذه الحالة تشبه حالهم وقد أخرجهم الله من المدينة لقتال النضير من قريش وقد كرهوا ذلك .

(١) سورة الأنفال ، الآيتان : ٥ ، ١٤ .

لقد أخرجك ربك من بيتك - والخطاب موجه للرسول ﷺ - بالمدينة متلبساً بالحق والحكمة وصواب الرأي والحال أن فريقاً قليلاً من المؤمنين كارهون ذلك لعدم استعدادهم للحرب^(٢) . والآيات التي تلي هذه الآية تعني مجادلة المؤمنين للرسول ﷺ في الأمر الحق والرأي السديد وهو تلقي النفي لأنهم آثروا تلقي العير لقلة الرجال وكثرة المال ، ولذلك يجادلونك أيها الرسول بعد ما تبين لهم الحق وظهر الصواب ، حينما أخبرتهم أنهم من المنصورين ، وأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد نجا العير فلم يبق إلا النفي ، ولقد جادلوا بأنهم قليلي العدد والعُدَّة ولم يستعدوا ، وقد كان خروجهم لتلقي العير:

لقد وعدهم الرسول ﷺ إحدى الطائفتين على الإيهام فتعلقت آمالهم بالغير فلما نجت العير صعب على بعضهم اللقاء وخافوا الحرب وأخذوا يعتذرون ، ولكن الحق تبين ولم يعد للجدل وجه إلا الجبن والخوف من القتال حتى كأنهم من شدة ما هم فيه من الجزع والرهبة يساقون إلى الموت المحقق وهم ينظرون إليه ، إذ الفرق بين القوتين شاسع جداً ولكن الله وعدهم بالنصر ووعد لا يتخلف . قال تعالى : " كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين "^(١) . والأسباب الظاهرة كثيراً ما تتخلف والأمر كله لله^(٣) .

بعض المسلمين أراد العاجلة وعرض الدنيا وخاف ما يرزؤه في بدنه ونفسه وماله والله يريد معالي الأمور ، يريد لكم النصر وتقوية الروح وإلقاء الرعب في قلوب الأعداء وكسر شوكتهم بهزيمتهم وهم كثرة وينصركم وأنتم قلة .

(٢) التفسير الواضح / المرجع السابق ، ص ٨٠٩ .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٤٩ .

(٣) الأساس في التفسير / المرجع السابق ، ص ٢١٢١ .

ويريد الله ليحق الحق ويبطل الباطل ويثبت دعائم الإسلام ويهدم الشرك والكفر والطغيان ولو كره المجرمون ، وذلك لا يكون بأخذ العير أبداً وإنما يكون بهزيمة النفير وقتل صنائيد الشرك وأسرههم وإذلالهم^(٣) .

فالنصر في الحروب يرجع إلى الأسباب الحسية والمعنوية ، إن تحققت جاء النصر من الله وهو سبحانه المحق الموفق لسلوك أسباب النصر أو أسباب الهزيمة والنبى ﷺ يعلم ذلك ، وأن لله سنناً مع خلقه لا تتخلف ، وأن عنده آيات يؤيد بها رسله ، ولكنه لما رأى ضعف المسلمين وقلة عددهم وتهيبهم من القتال استغاث ﷺ بالله ليوفقه إلى سنن النصر ويؤيده ، فتقوى الروح المعنوية فيتحقق النصر ، وقد استغاث الصحابة كما استغاث الرسول ﷺ ولقد استجاب الله الدعاء وأمدهم بألف من الملائكة يردف بعضهم بعضاً حتى يتحقق قوله تعالى في سورة آل عمران : "ألن يكفيكم أن يمددكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين" . وقوله تعالى : " هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين"^(١) .

وما جعل الله ذلك المدد الإلهي إلا بشرى بأن النصر لكم ، وأن الله معكم ، ولتسكن قلوبكم ويهدأ روعكم فتلقون الأعداء ثابتين مطمئنين .

ويأتي هنا سؤال : هل الملائكة قاتلت بالفعل كما ورد في بعض الروايات ؟ أم هي قوة معنوية وتكثير للسواد ، ولم يحاربوا بل ثبتت قلوب المسلمين وقويت شوكتهم وروحهم المعنوية بهم ! ولكن أكثر الروايات دلت على أن الملائكة قد قاتلت مع المسلمين في بدر وأثبتوا ذلك بكثير من الشواهد والبراهين . كما أن كثيراً من الروايات اتفقت على أن الملائكة لم يقاتلوا مع المسلمين يوم أحد لأن الله علق النصر على الصبر والتقوى ولم يحصلوا !

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن / الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد بن مختار ، بيروت : دار الفكر ، ١٩٩٥م ، ج ١ ، ص ٤٩ .
(١) سورة آل عمران ، الآيتان : ١٢٤ ، ١٢٥ .

وتمضي التفاسير تذكر وتفسر بأن الله سبحانه وتعالى ألقى على المسلمين النعاس حتى غشيهم ، كما روى البيهقي عن علي كرم الله وجهه قال : " ما كان فينا فارس إلا المقداد ، ولقد رأينا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله ﷺ يصلي تحت شجرة حتى أصبح " . ولا شك أن النعاس يزيل الخوف ومن دلائل الأمن والطمأنينة والوثوق بالنصر .^(٢)

ولقد نزلوا في بدر منزلاً في كتيب (تل) أعفر تسوخ فيه الأقدام وليس فيه ماء وقد احتلم بعضهم ليلاً ، ولما أصبحوا ظمئوا وصلوا مجنبيين محدثين ، وكان المشركون على الماء ، فوسوس لهم إبليس وقال : لو كنتم على حق وفيكم نبي لما صليتم بجنابة وبغير وضوء ولما كنتم عطاشاً وهم على الماء . فأنزل الله مطراً كان على المشركين وابلاً شديداً وكان على المسلمين طلاً خفيفاً طهرهم من الرجس والدنس والجنابة والحدث وقضى على وسوسة الشيطان وأصبحوا يطئون الرمل بسهولة ويسر فثبتت أقدامهم وسكنت قلوبهم . وسبق رسول الله ﷺ وأصحابه إلى الماء فنزلوا عليه وصنعوا الحياض

ثم غوروا ما عداها من المياه ، وبني لرسول الله ﷺ عريشاً على تل مشرف على المعركة .

ويذكر القرآن الكريم المسلمين أن الله يوحى إلى الملائكة بالإلهام أني معكم بالنصر والتأييد فثبتوا قلوب المؤمنين وقوا عزائمهم وذكرهم وعد الله ورسوله وأنه تعالى لا يخلف الميعاد .

وقد روي أن الملائكة كانت تسير بين الصفوف وتبشرهم بالنصر : إنا معكم سنلقي في قلوب الكافرين الرعب .^(١)

ذلك هو النصر المؤزر للنبي ﷺ وصحبه ، وذلك هو الخذلان والهزيمة للمشركين بسبب أنهم عادوا الله ورسوله ، وأصبحوا في شق والرسول ﷺ في شق آخر .

^(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن / الثعالبي ، عبد الرحمن بن محمد ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٩٩٦م ، ج ٢ ، ص ٨ .
^(١) زاد المسير في علم التفسير / المرجع السابق ، ص ٢٤٤ .

المطلب الثاني : توجيهات حربية للمؤمنين :-

تورد الآيات الكريمة توجيهات قيمة للمسلمين في بدر وتبدأ هذه التوجيهات من قول الله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار " حتى قوله تعالى : " إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فنتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين " (٢) .

وتقول يا أيها الذين آمنوا بالله وصدقوا به وبرسوله يجب عليكم إذا لقيتم الذين كفروا في ميدان الحرب حالة كونهم كالزاحفين على أدبارهم ، إذ الجيش إذا كثر عدده يرى في سيره بطيئاً والواقع أنه سريع ، وقد زحف الكفار على المسلمين يوم أن انتقلوا من مكة إلى بدر ، فيجب عليكم أيها المؤمنون والحالة هكذا ألا تولوهم الأدبار وألا تفروا منهم مهما كثر عددهم وأنتم قلة ، بل أثبتوا وقاتلوا فالله معكم عليهم . وقد خص بعض العلماء هذا إذا كان الكفار لا يزيدون على الضعف ، ومن يولهم يومئذ دبره في القتال ومن يفر منهم ويجبن عن قتالهم فعليه غضب من الله ومأواه جهنم (٣) .

فالفرار من الزحف إذا التقى الجيشان كبيرة من الكبائر ، يستحق صاحبها الغضب الشديد والعذاب الأليم من الله تعالى ، إلا رجلاً منحرفاً من مكان إلى مكان رآه أصلح في ضرب العدو ، أو أراد أن يوهم العدو أنه يفر حتى يستدرجه بعيداً عن صحبه ثم يكر عليه فيقتله ، فتلك من خدع الحرب المحبوبة . أو رجلاً منتقلاً من جماعة إلى جماعة أخرى رأى أنها في حاجة إليه فيشد أزهم ويقوي عزمهم

ولقد كان من المسلمين بعد أن رجعوا من غزوة بدر افتخار كثير فكان الواحد منهم يقول : أنا قتلت ، أنا أسرت ، فعلمهم الله أن ذلك فخر كاذب لا يليق ، ووجههم توجيهاً حسناً حتى يلجئوا إليه ويعتمدوا عليه وحده فقال : " فلم تقتلوهم بقوتكم

(٢) سورة الأنفال ، الآيتان : ١٥ ، ١٩ .

(٣) التفسير الواضح / المرجع السابق ، ص ٨١٣ .

ولكن الله قتلهم بتأييده ونصره ، وإنزال الملائكة وإلقاء الرعب وهو على كل شيء قدير".^(١)

روي أنه لما طلعت قريش قال رسول الله ﷺ : " هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسول الله ، اللهم إني أسألك ما وعدتني " . فأتاه جبريل عليه السلام فقال : " خذ قبضة من تراب فأرمهم بها ، فرمى بها رسول الله ﷺ وقال : " شأهت الوجوه " فلم يبق مشرك إلا وشغل بعينيه •

ولذلك الله سبحانه وتعالى يقول للنبي ﷺ : وما رميت يا محمد حين رميت الحصى ، ولكن الله رمى وهذه ظاهرة التناقض ، لكن المعنى : وما رميت يا محمد فإن الأثر الذي حدث من قبضة التراب التي رميتها أثر كبير حيث وصل إلى عيون الجيش كله • وهذا لا يمكن أن يكون من بشر ، وإن يكن أنت يا محمد الذي رميت في الظاهر ، فصورة الرمي للرسول ﷺ وأثر الرمي وما حدث منه لله تعالى وحده سبحانه^(٢) •

فعل الله جعل ذلك كله لتقام حجته على الكفار بتأييد رسوله ﷺ ونصره على عدوه وإن اختلفت الإمكانيات الحربية ، وليعطي المؤمنين الذين فارقوا ديارهم وأموالهم عطاءً حسناً بالغنيمة والنصر وحسن السمعة ورد الاعتبار ، إن الله سميع لكل قول والتجاء إليه ، عليم بكل نية عمل •

روي أن أبا جهل قال يوم بدر : اللهم أينما كان أقطع للرحم وآتى بما لا يعرف فأتمته الغداة ، فكان ذلك منه استفتاحاً •

وروي أنهم - أي المشركين - تعلقوا بأستار الكعبة قبل خروجهم لبدر وقالوا : اللهم أنصر أعلى الجنديين وأكرم الفتىين وخير القبيلتين ، فأجابهم الله بقوله استهزاءً بهم وتوبيخاً لهم على عملهم وتعجباً من حالهم : إن تستفتحوا أيها الكفار فقد جاءكم الفتح ، وهذا منتهى التهكم ، وإذ جاءهم الهلاك والذلة^(٣) وإن تنتهوا وتسلموا

(١) زاد المسير في علم التفسير / المرجع السابق ، ص ٢٤٣ .
(٢) الجواهر الحسان في تفسير القرآن / المرجع السابق ، ص ١١ .
(٣) في ظلال القرآن / المرجع السابق ، ٣٤٠ .

وتتركوا عداوة النبي ﷺ فهو خير لكم وأجدي ، وإن تعودوا إلى محاربتة نعد نحن إلى نصره وهزيمتكم

ولن تغني عنكم جماعتكم وقوتها شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين بالنصر والتأييد والتوفيق إلى سلوك طرق النجاح والفلاح ، والعاقبة للمتقين^(٢).

المطلب الثالث : التحذير من مخالفة الدين والاستجابة لداعي القرآن :-

يا أيها الذين اتصفتُم بالإيمان أطيعوا الله ورسوله فيما أمر ونهى ، ولا تعرضوا عن أمر الجهاد وبذل المال فيه ، والحال أنكم تسمعون المواعظ والزواجر في القرآن الكريم والحديث الشريف .

وهذا التحذير من المخالفة وهي مخالفة الله ورسوله ، مخالفة الدين وردت في الآيات من قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون " إلى قوله تعالى : " ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون "^(٣) . والمعنى المقصود هنا : إياكم أن تكونوا كالذين قالوا سمعنا والحال أنهم لا يسمعون أبداً .

إن شر المخلوقات عند الله من لا يصغى بسمعه إلى الحق فيتبعه ويعتبر بالموعظة الحسنة فيعمل بها ، فإن من لا يستخدم جهاز السمع فيما خلق له كان كأنه فاقده ، فهو أصم عن الحق والخير والهدى والفلاح . وإليكم أيها الذين لا يقولون الحق ومن كانوا كأنهم فقدوا حاسة الكلام ، والذين لا يعقلون الفرق بين النور والظلام ، والهدى والضلال ، والإسلام والكفر . إذ هم لو استخدموا عقولهم وأبعدوا عنها ذل التقليد وحمى العصبية الجاهلية لعقلوا المنفعة وأدركوا الصالح المفيد ولكنهم كالبهائم لا يعقلون^(٤).

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٤١ .

(٣) سورة الأنفال ، الآيتان : ٢٠ ، ٢٣ .

(٤) التفسير الواضح / المرجع السابق ، ص ٨١٦ .

ولو علم الله في نفوسهم الميل إلى الخير والسداد والاستعداد إلى الإيمان والهدى ولم تفسد فطرتهم بسوء القدوة وفساد التربية لأسمعهم بتوفيقه سماع تدبر ، ووقفهم لكلامه وكلام رسوله ﷺ ، ولكنه لو أسمعهم لتولوا وهم معرضون فهم لا خير فيهم أصلاً .

ومن يلقي إليه شيء لا يخلو من واحد من أربع :-

١- معاند لا يسمع أبداً بل يجعل أصابعه في آذانه .

٢- منافق يسمع ويتظاهر بالقبول ساعة الحضور ثم هو لا يتدبر ولا يفهم شيئاً .

٣- يسمع ليتتبع العيوب ويتلمس السقطات .

٤- يسمع ويهتدي بنور الحق ، وهم من الفئة المؤمنة الموفقة المهدية إلى يوم القيامة .

وتكون الاستجابة لداعي القرآن الكريم بعد أن ناداهم الله بوصف الإيمان الذي يوجب الامتثال والاستجابة ثم أمرهم بأن يستجيبوا لله ولرسوله ﷺ . وقد وردت الآيات التالية بهذا المعنى ، من الآية : " يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ... " . إلى قوله تعالى : " واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون " .^(١)

وهنا الاستجابة تكون بالطاعة والامتثال إذا دعاهم لما يحييهم ، وحثهم على الخير لهم وحرصهم على ما به يسعدون في الدنيا والآخرة ، وقد دعانا الرسول ﷺ للإيمان والقرآن والهدى والجهد ، ومن حرم من هذه فهو ميت لا حياة فيه . فخذوا ما آتاكم الرسول بقوة وعزم ونشاط وجد فالخير فيه ، وسعادة الدارين معه .^(٢)

واعلموا أن المسلم يجب ألا يغتر بعمله وطاعته وألا يأمن مكر الله ولو كانت إحدى رجله في الجنة . فالقلوب بين أصابع الرحمن ، والله يحول بين المرء وقلبه . والواجب

(١) سورة الأنفال ، الآيتان : ٢٤ ، ٢٦ .

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن / الألوسي ، أبو الفضل شهاب الدين محمود ، بيروت : دار الفكر ، مج ٥ ، ج ٩ ، ص ١٩٤ .

على المسلم العاص ألا ييأس من روح الله ومن رحمته ، وعلينا أن نسرع دائماً في الخير ولا نألوا جهداً في تحصيله ، فيموت الإنسان قبل فعل الخير أو التوبة الصادقة ، وعلينا أن نحذر من خطرات القلوب وأمراضها فالله عليم بذات الصدور^(١).

وفي الآيات عبرة وعظة لنا جميعاً ، فالله يعامل أوليائه وأحابيه من المؤمنين إذا امتثلوا لأمره . أي : يؤويهم ويؤيدهم وينصرهم على أعدائهم

ويجعلهم أعزة وملوكاً ، ويرزقهم من طيبات الرزق ، كل ذلك رجاء قيامهم بالشكر ، فإن شكروا لله زادهم ، وإن لم يشكروا لله ولم يمتثلوا كما هو حال المسلمين اليوم أصبحوا أدلة في ديارهم ، مستعبدين في أوطانهم ، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين^(٢).

المبحث الثالث : النصر المتعالي والغالي :-

تمهيد : يذكرنا الله سبحانه بالنعم العظيمة التي حباها بها ، وكان لها الأثر الفعال في الانتصار على الكفار ، وهذا يوجب الشكر علينا والامتثال لأمر الله تعالى في تقسيم الغنائم وغيره .

المطلب الأول : امتنان الله على المؤمنين بالنصر :-

يذكرنا الله تعالى دائماً في آياته الكريمة بالامتنان والشكر على كل حال ، وفي الآيات التالية كثير من الدلالات على أن الشكر لله دائماً يأتي بالخير للمسلمين وذلك من قوله تعالى : " إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ... " إلى قوله تعالى : " وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضى الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور " ^(١).

(١) التفسير الواضح / المرجع السابق ، ص ٨١٨ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٨١٩ .

(٣) سورة الأنفال ، الأيتان : ٤٢ ، ٤٤ .

يقول المفسرون في ذلك والخطاب للمسلمين واذكروا يوم التقى الجمعان إذ أنتم بالعدوة القريبة من المدينة المنورة اخترتموها مكاناً لكم مع أنها كانت رملية تسوخ فيها الأقدام ، ولا يسهل السير عليها ، والكفار في العدو البعيدة وكانت مكاناً صالحاً للوقوف قريباً من الماء ، ومع ذلك كان العير الذي يحمل التجارة والركب الذي يرأسه أبو سفيان في أربعين من قريش أسفل منكم ، ووراء ظهور المشركين حامياً لها . وهم يدافعون عنه دفاع المستميت ، وهذه بلا شك مما يقوي الروح المعنوية فيهم . واعلموا أنكم لو تواعدتم على القتال لاختلقتم في الميعاد خوفاً من بطشهم وقوة عددهم وعدتهم وعتادهم^(٢) .

كل ذلك ليتحقق للمسلمين أن النصر من عند الله وحده ، وأن الله هو الذي جعلهم يتغلبون على عدوهم مع قلة عددهم وعتادهم ، فيزدادوا إيماناً وشكراً وامتناناً وامتنالاً لأمر الله . ولكن جمع الله بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله أمراً كان مقدوراً فعلة محتماً وقوعه لأنه نصر لأوليائه وقهر لأعدائه . ليهلك من هلك بعد ظهور تلك البيانات الواضحات عن حجة بيّنة ، فإن المقدمات الظاهرة لو تركت وحدها لأنتجت هزيمة المسلمين هزيمة ساحقة ، أما وقد ظهر أن الله على كل شيء قدير ، وأنه ولي الذين آمنوا وهو يتولى الصالحين ، وقد نصر المسلمين على عدوهم نصراً مؤزراً وتحقق قوله تعالى : " سيهزم الجمع ويولون الدبر "^(١) . فمن يهلك بعد ذلك يهلك عن بيّنة وحجة ومن يحيا بعد ذلك يحيا عن بيّنة وحجة ، فليس الأمر كالعادة والمألوف ، بل هذه معجزات

قواطع دمغت الكفر ومحقت الشرك ، وقيل : المراد بالحياة والهلاك : الإسلام والشرك وإن الله سميع بكل دعاء والتجاء إليه عليم بكل قصد وعمل^(٢) .

(٢) التفسير الواضح / المرجع السابق ، ص ٨٣٢ .

(١) سورة القمر ، الآية : ٤٥ .

(٢) زاد المسير / المرجع السابق ، ص ٢٤٦ .

واذكر إذ يريك الله الكفار - والحديث للرسول ﷺ - في منامك قليلاً بمعنى ضعفاء فتخبر أصحابك بذلك فتثبت قلوبهم ، ولو أراكهم على حسب الواقع لفشلتهم واختلقتهم وتنازعتهم في أمر القتال ولكن الله سلم من الفشل والنزاع ، حيث أخرجكم للغير ثم وعدكم الله إحدى الطائفتين وقد فر العير فلم يبق إلا القتال وقد من عليكم بنعمه حتى انتصرتهم •

واذكروا إذ يريك الله الكفار ساعة القتال قلة في أعينكم حتى تجرؤوا وتقوى روحكم المعنوية ، ويجعلكم قلة في أعين الكفار فيفتروا ولا يعدوا العدة لكم ولا يحكموا الضربة الموجهة إليكم ، هذا قبل القتال وأما فيه فإنهم رأوا المسلمين مثلي عددهم لتفاجئهم الكثرة فيبهتوا ويتملكهم الفزع وتسوء حالهم • كل ذلك ليقتضي الله أمراً كان مفعولاً بلا شك وإلى الله ترجع الأمور كلها يصرفها كيف يشاء ، لا راد لأمره ولا معقب لحكمه تعالى •

المطلب الثاني : الإعداد الحربي للأعداء :-

الجيش هو عدة الوطن وسلاحه ودرعه وسياحه ، ووجه الأمة التي تقابل به العدو ويدها التي تبطش بها ، وقلبها النابض وعينها الساهرة ، ولذا كانت عناية القرآن الكريم به كما نرى في كثير من الآيات ، ورعاية النبي ﷺ له وإعطائه القسط الوافر المناسب لزمه أمراً ظاهراً واضحاً . وقد ورد ذلك في قوله تعالى : " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون" (٣) .

والإعداد والتكوين أمر شاق على النفوس عسير على الناس إلا المؤمنين بالله المتوكلين عليه أصحاب النفوس العزيزة والهمم العالية • والآية الكريمة على اختصارها جمعت أنواع الإعداد للجيوش التي تتلاءم مع كل عصر وزمن .

(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٦٠ .

فالإعداد الأدبي والمادي والإداري والفني والمالي مع الحث على ذلك كله بالثواب الجزيل والعطاء الكثير كل ذلك في الآية الشريفة ، ولقد فرض الله في القرآن علينا الإعداد بأنواعه وأن نبذل فيه أكثر جهودنا وأن نقدم النفس والنفيس ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً .

ولم تغفل الآية الإعداد في وقت السلم حتى يكون الجيش على أتم الاستعداد في كل وقت (كلما سمعوا هيعة طاروا إليها) فأمرنا بإعداد الخيل المرابطة في الثغور لمقابلة العدو ليلاً ونهاراً . ولقد ذكرت الآية سبب الإعداد وهو إرهاب العدو الظاهر والعدو الخفي ما نعلمه وما لا نعلمه^(١) ولم يكن هناك إعداد ونصر إلا بالمال ، ولا سبيل إليه إلا بالإنفاق المطلق كل على قدر طاقته وإيمانه مع حثنا على التسابق فيه والعمل على إحراز ثوابه الكبير المعد لنا يوم القيامة .

ولا يمكن أن تقوم أمة بهذا الإعداد الكامل ثم تظلم من جيرانها أبداً ، والخيل في العصر القديم كانت عنوان الرهبة للأعداء ، ولا تزال لها مكانتها في العصر الحديث لهذا ذكرت ، وإن كانت الآية تدعو لإعداد المستطاع المناسب من كل قوة صالحة^(٢)

المطلب الثالث : الميل إلى السلام وتقوية الروح المعنوية في الجيش :-

بعد ما أمر الله بالاستعداد التام للحرب وغالباً ما يكون مانعاً له ، ذكر هنا حكم ما إذا طلبوا الصلح ومالوا إلى السلم ووردت هذه في الآيات من قوله تعالى: "وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم"^(٣)

ورد في الآيات الكريمة أن المشركين إذا مالوا للصلح والسلم وطلبوا عقد الهدنة والأمان فأعطهم ما طلبوا ، والصحيح كما قال الزمخشري في كشافه : " إن الأمر في الآية موقوف على ما يرى فيه الإمام صلاح الإسلام وأهله من حرب أو صلح ، وليس يحتم أن

(١) تفسير النسفي / النسفي ، أبو البركات عبد الله ، بيروت : دار الفكر ، مج ١ ، ج ٢ ، ص ١١١ .

(٢) زاد المسير / المرجع السابق ، ص ٢٤٧ .

(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٦١ .

يقاتلوا أبداً أو يجابوا إلى الهدنة أبداً" (١)، وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله
، فالله حسبك وكافيك وهو السميع لكل قول وطلب ، عليم بكل قصد ونية ، وهذا
يفيد أن دين الإسلام دين السلام والمحبة وأنه عدو للحرب إلا إذا اقتضتها الظروف
القاهرة .

وإن يريدوا خداعك بطلب الصلح حتى يستعدوا للحرب فاعلم أن الله كافيك شرهم
وناصرك عليهم ولا غرابة فهو الذي أيدك وأمدك بنصر من عنده وأيدك بالمؤمنين ، معك
من الأنصار والمهاجرين الذين دافعوا عنك دفاع الأبطال ، وهو الذي ألف بين قلوبهم
وجمعهم على كلمة الحق والشهادة وألزمهم كلمة التقوى . وقد كانوا في الجاهلية
أصحاب حروب وفتن وعداوات وعصيان وحب الانتقام وإثارة الحروب لأتفه الأسباب ،
ومع أنك " لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم " ، ولكن الله القوي القادر
الحكيم العليم ألف بين قلوبهم وجمعهم على صراط سوي وأنه عزيز كامل القدرة
والغلبة يعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير ، حكيم في كل ما يصنع (٢).

وتتحدث الآيات الكريمة عن النبي ﷺ وصحبه : " يا أيها النبي حسبك الله وكافيك
في جميع أمورك أنت والمؤمنين بك ، فكونوا أقوياء العزم ثابتي الجنان ، فإن الله
معكم بالنصر والمعونة . ولا شك أن هذا يقوي الروح المعنوية في جيوش المسلمين وهذا
لا يمنع الأخذ بالأسباب ، ولذا يقول الله تعالى : " يا أيها النبي حرص المؤمنين على القتال "
وحثهم عليه حثاً شديداً حتى يبذلوا النفس والنفيس في سبيل الله طيبة نفوسهم بهذا ،
وذلك ببيان فضيلة الجهاد وإنهم ينتظرون في الجهاد إحدى الحسنين إما الشهادة ويا لها
من شرف ، وإما الغنيمة والنصر ، واعلموا أن الواجب عليكم أن الواحد يقاتل عشرة
من الكفار ، إذ هناك فرق شاسع بين من يقاتل عن عقيدة ثابتة ونفس مطمئنة ، وبين
من يقاتل مكرهاً أو مأجوراً أو لغرض دنيوي بسيط .

(١) الكشاف / الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ، بيروت : دار الفكر ، ط ٢ ، ١٩٨٣م ، مج ٢ ، ص ١٦٦ .
(٢) التفسير الواضح / المرجع السابق ، ص ٨٤٣ .

وإن يكن منكم عشرون صابرون محتسبون أجرهم عند الله تعالى يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة صابرة على هذا الشرط يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بالله ورسوله ۞ ، ولم يؤمنوا بالبعث والجزاء وذلك بسبب أنهم قوم لا يفقهون الأسرار

الحربية ونظامها الذي يكفل النجاح وهم قوم لا يفقهون عن عقيدة وحجة ، ثم لا يؤمنون بالبعث والجزاء^(١) .

أما انتم أيها المؤمنون فتقاتلون صابرين محتسبين الأجر من عند الله منتظرين إحدى الحسنين وهذا هو الوضع الذي يجب أن يكون عليه المسلم وعدم الفقه والفهم هو الوضع الذي وصف به المشركون واليهود لأنهم ماديون أشد الناس حرصاً على حياتهم. هذه المرتبة العليا للمؤمنين هي مرتبة العزيمة ، وهناك مرتبة أقل منها هي مرتبة الرخصة .

" الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً " في البدن من كثرة الجهاد والعمل ، " فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين " بإذن الله وقوته ، والله مع الصابرين بالرعاية والإعانة . ولقد كرر القرآن الكريم مقاومة الجماعة لأكثر من مرتين قبل التخفيف وبعده للدلالة على أن الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت أبداً مادام الجيش يسير حسب الشرع وتبعاً لتعاليم الإسلام^(٢) .

(١) الكشاف / المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

(٢) تفسير التحرير والتنوير / ابن عاشور ، محمد الطاهر ، المدينة المنورة : مكتبة المدينة المنورة ، ج ١ ، ص ٦٩ .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين قائد الغر المحجلين وصفوة الخلق أجمعين محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الجمع والدين •

الحمد لله الذي أكرمني بإتمام هذا البحث والذي أرجو أن أكون قد وفقت فيه ، وقد طفت داخل سورة الأنفال ، وهي السورة التي نزلت في غزوة بدر الكبرى ، وقد سمى الله سبحانه وتعالى يومها : " يوم الفرقان يوم التقى الجمعان " • كما أنه تعالى جعلها مفرق الطرق بين الناس في الآخرة •

ومع كل عظمة هذه الغزوة فإن قيمتها لا تتضح أبعادها الحقيقية إلا بعدما نعرف طبيعتها ونجعلها حلقة من حلقات الجهاد في الإسلام ، وحين ندرك بواعث هذا الجهاد وأهدافه ، ولا نستطيع إدراك ذلك قبل أن نعرف طبيعة هذا الدين في شموله وعظمته وإحاطته لكل جوانب الحياة .

نتائج البحث :-

تضمن هذا البحث وهو يتحدث عن سورة الأنفال ، تضمن أحكاماً عديدة في الجهاد والغزوات ، خرجنا بها كنتائج لهذا البحث وهي كثيرة ولكن اختصاراً نذكر بعضها :

- ١- أمر قسمة الغنائم متروك للرسول ﷺ •
- ٢- إن إرادة تحقيق النصر الإلهي للمؤمنين في معركة بدر الكبرى تتجلى بالإمداد الفعلي بالملائكة الذين يقاتلون مع المؤمنين •
- ٣- تعليم المسلمين قواعد القتال والحروب والتوكل على الله .
- ٤- أن المسلمين أمة واحدة والولاية و التناصر بينهم أمر واجب •

وختاماً نسال الله التوفيق والسداد وأن يتقبل أعمالنا جميعها ويجعلها خالصة لوجهه الكريم وأن يجزيها عنها الجزاء الأوفى • وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيراً •

المصادر والمراجع

- ١- الأساس في التفسير / سعيد حوي ، القاهرة : دار السلام ، ط٦ ، ٢٠٠٣م ، مج٤ •
- ٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن / محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، بيروت : دار الفكر ، ١٩٩٥م ، ج٢ •
- ٣- التفسير الواضح / محمد محمود حجازي ، الزقازيق : دار التفسير ، ط١٢ ، ٢٠٠٣م ، ج١ •
- ٤- تفسير التحرير والتوير / محمد الطاهر بن عاشور ، المدينة المنورة : مكتبة المدينة المنورة ، ج١ •
- ٥- تفسير النسفي / أبو البركات عبد الله النسفي ، بيروت : دار الفكر ، مج١ ، ج٢ •
- ٦- الجواهر الحسان في تفسير القرآن / عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٩٦م ، ج٢ •
- ٧- روح المعاني في تفسير القرآن / أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي ، بيروت : دار الفكر ، مج٥ ، ج٩ •
- ٨- زاد المسير في علم التفسير / أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، بيروت : ط٢ ، ٢٠٠٢م ، مج٢ ، ج٣ •

- ٩- في ظلال القرآن / سيد قطب ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ط٧ ، ١٩٨٣م ، مج٣ ،
- ١٠- الكشاف / أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، بيروت : دار الفكر ، ط١ ، ١٩٨٣م ، مج٢ ،
- ١١- لسان العرب / ابن منظور ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ط٣ ، ١٩٩٣م ، ج١٤ ،
- ١٢- المصباح المنير / أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي ، بيروت : المكتبة العلمية ، ج٢ ،
- ١٣- المسند / الإمام أحمد بن حنبل ، القاهرة : دار الفكر العربي ، مج١

**العمل بخبر الواحد إذا خالف القياس
عند الأصوليين وأثر ذلك في الفروع الفقهية**

د . مبارك المصري النظيف محمد[✦]

* - أستاذ الفقه وأصوله، كلية الشريعة، جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم.

المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً كما يحب ربنا أن يُحمد ، والصلاة والسلام الأكملان الأتمان على نبينا خير خلق الله محمد ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحابه والتابعين ، وبعد:

فإن شرف العلوم يتفاوت بشرف مدلولها ، و قدرها يعظمُ بعظمِ محصولها ، ولا خلاف عند ذوي البصائر والنهي أن أجلها ما كانت الفائدة فيه أعم ، والنفعة فيه أتم ، والسعادة باقتنائه أدم ، والإنسان بتحصيله أزم ، كعلم أصول الفقه الإسلامي ؛ لأنه الطريق المتعين لممارسة الإجتهد ، يقف في رحابه الباحث على دقائق الفروق بين أرباب المذاهب ، فهو يسعى لتكوين الملكة الفقهية ، فيصنع المجتهد المفكر، والفقيه المثمر، ولست مبالغاً إذا قلت أن أصول الفقه هو آية العبقريّة الإسلامية . ولما كان ذلك كذلك ، فإني توجهت بالبحث والدراسة إلى مبحث له حظه الأوفر من مباحث علم الأصول ، ألا وهو مبحث: "العمل بخبر الواحد إذا خالف القياس عند الأصوليين وأثره في الفروع الفقهية".

وأجريت فيه البحث على النحو الآتي:

مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول : تعريف خبر الواحد والقياس.

المطلب الأول: تعريف خبر الواحد.

المطلب الثاني: تعريف القياس.

المبحث الثاني: أقوال ومذاهب العلماء في المسألة .

المطلب الأول: مذهب جمهور الصحابة والتابعين وأدلتهم .

المطلب الثاني: مذاهب العلماء بعد الصحابة والتابعين وتحقيقها.

المبحث الثالث : الأدلة ومناقشتها.

المطلب الأول : أدلة الجمهور.

المطلب الثاني: دليل عيسى بن أبان.

المطلب الثالث : دليل أبي الحسين البصري .

المطلب الرابع : دليل الإمام مالك .

المطلب الخامس : دليل أبي بكر الباقلاني .

المبحث الرابع : بعض المسائل الفقهية المخرجة على قاعدة مخالفة خبر الواحد للقياس.

المطلب الأول : بعض المسائل في قسم العبادات .

المطلب الثاني : بعض المسائل في قسم المعاملات .

المطلب الثالث : بعض المسائل في قسم الأحوال الشخصية .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج والتوصيات .

هذا ، وأسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وسلم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المبحث الأول : تعريف خبر الواحد والقياس

المطلب الأول : تعريف خبر الواحد :

خبر الواحد مركب إضافي من كلمتين ، ولذا يعرف باعتبارين : الأول بحسب الإضافة ، و الاعتبار الثاني بحسب اللقب والعلمية.

تعريف خبر الواحد باعتبار الإضافة: الخبر في اللغة: بالتحريك واحد الأخبار، وهو ما أتاك من نبأ عمّن تستخبر، فيقال: خبره بكذا وأخبره نبأً. واستخبره: سأله عن الخبر، وطلب أن يخبره^١.

وفي الاصطلاح: اختلف العلماء في حدّ الخبر ، فذهب بعضهم إلى أنه لا يحدّ ، والبعض الآخر إلى أنه يحدّ . فنكر ابن الحاجب عن بعض أهل العلم أنهم قالوا: لا يحد لعسره، ويحتمل أن يكون لوضوحه؛ لأن توضيح الواضحات من المشكلات^٢. والذين قالوا إنه يحدّ اختلفوا في تعريفه: فذهب الأصوليون إلى أن الخبر هو كلام يفيد بنفسه إضافة أمر من الأمور نفيًا أو إثباتًا^٣. وقيل هو: المحتمل للتصديق والتكذيب لذاته^٤.

والخبر عند المحدثين: مرادف للحديث^٥، ويقصد به عندهم ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو صفة .

والآحاد لغة: جمع أحد بمعنى واحد - كشاهد مفرد أشهاد - وأصل الكلمة: أآحاد - بهمزتين - فأبدلت الثانية ألفاً لسكونها وانفتاح ما قبلها^٦.

وسمي الآحاد بهذا الاسم ؛ لأن رواه أفراد قليلون بالنسبة للمتواتر ، والمراد أحاديث الآحاد ، لكن حذف المضاف لكثرة الاستعمال ، والمعنى اللغوي مطابق لخبر الواحد ، وهو ما رواه فرد واحد أو من هو في حكم الواحد.

^١ - لسان العرب (٢/ ١٠٩٠) ، مختار الصحاح ص ١٣١ ، القاموس المحيط (١٧/٢)

^٢ - شرح مختصر ابن الحاجب (٤٥/٢).

^٣ - المعتمد (٥٤٤/٢).

^٤ - الفروق القرآني (١٨/١).

^٥ - شرح نخبة الفكر لابن حجر ص ٣.

^٦ - لسان العرب (٤٧٧٩/٨) ، القاموس المحيط (٣٥٦/١) ، التعريفات للجرجاني ص ٩٦.

وخبر الواحد هو ما يرويه شخص واحد . وإذا قيل للخبر آحاد ؛ فلأن رواته آحاد فهو إما من باب حذف المضاف أو تسمية الأثر باسم المؤثر مجازاً لأن الراوية أثر الراوي^٧ .

تعريف خبر الواحد باعتباره اللقبى: عرفه المحدثون: بأنه ما لم يتواتر سواء أكان من رواته شخص واحد أم أكثر^٨ .

وعرفه الأصوليون: هو الذي لم يبلغ في روايته حد التواتر، بأن يرويه واحد أو أكثر دون المشهور والمتواتر في العصور الثلاثة الأولى ، وإن كثر رواته بعد ذلك^٩ .

ومن هذا القسم أكثر الأحاديث التي جُمعت في كتب السنّة ، ويسمى سنة الآحاد ، كما يسميها الإمام الشافعي خبر الخاصة^{١٠} ، وتعريف أهل الحديث قريب من تعريف الأصوليين .

المطلب الثاني : تعريف القياس

القياس في اللغة: القياس في اللغة التقدير، ومنه قست الأرض بالخشبة أي قدرتها بها، والتسوية، ومنه قاس النعل بالنعل أي حاذاه، وفلان لا يقاس بفلان أي لا يساويه^{١١} .

قال الجوهري: (قست الشيء بالشيء أي قدرته على مثاله، يقال: قست أقيس وأقوس فهو من ذوات الياء والواو، ونظائره في اللغة كثيرة ، والمصدر قياساً وقوساً بالياء والواو من بناء أقيس قياساً وأقوس قوساً)^{١٢} .

وجاء في القاموس المحيط: (قاسه بغيره، وعليه يقيس قياساً وقياساً، و اقتاسه قدره على مثاله فاقتاس ، والمقدار مقياس)^{١٣} .

القياس في اصطلاح الأصوليين: قال البيضاوي: (هو إثبات حكم معلوم في معلوم آخر لاشتراكهما في علة الحكم عند المثبت)^{١٤} .

^٧ - نزهة خاطر على روضة الناظر (١/ ٢٦٠).

^٨ - فتح الباري (٩/ ١٥).

^٩ - إرشاد الفحول ص ٤٧ ، شرح مختصر ابن الحاجب (٢/ ٦٥٥) ، البحر المحيط (٤/ ٢٥٥).

^{١٠} - انظر: الإحكام للآمدي (١/ ٢٣٤) ، شرح الكوكب المنير (٢/ ٣٤٥) ، مسلم الثبوت (٢/ ١١) ، شرح تنقيح الفصول (٢/ ٣٤٩).

^{١١} - انظر: لسان العرب (٦/ ١٨٧) ، تاج العروس (١٦/ ٤١٦) .

^{١٢} - الصحاح (٣/ ٩٦٧) .

^{١٣} - القاموس المحيط (٢/ ٢٤٤) .

وقال ابن قدامة في روضة الناظر: (حملُ فرعٍ على أصلٍ في حكمٍ بجامعٍ بينهما)^{١٥}.

وقيل: (حمل معلوم على معلوم في إثبات حكم لهما، أو نفيه عنهما بجامعٍ بينهما من إثبات حكم أو صفة لهما، أو نفيهما)^{١٦}.

والقياس ميدان فسيح ، وبحرٌ عميقٌ لا يخوض فيه إلا من أحاط بأدلة الشريعة وروحها ، وأدرك مقاصدها ومراميها فهو ميزان الأصول ومناط الاجتهاد وينبوع الفقه فمن القياس يتشعب الفقه ، وتعرف أسرار الشريعة الغراء، من جلب المصالح ودفع المفاسد عن الخلق.

قال إمام الحرمين: (أكثر الحوادث لا نص فيها، وهذا يدل على أن القياس محتاجٌ إليه في إثبات أحكام الحوادث المتجددة ، ولو لم يستعمل القياس في إثبات أحكام الفروع لأدى ذلك إلى خلو كثير من الحوادث عن الأحكام لقلّة النصوص وكثرة الحوادث وعدم تناهيها ، وخلو الحوادث من الأحكام باطلٌ فثبت أن القياس ضرورة يحتاج إليها في إثبات أحكام الحوادث وهو المطلوب)^{١٧}.

وقال الزركشي: (القياس لفظٌ مشتركٌ يطلق على الرأي المحض المقابل للتوقيف حتى يقال: إما توقيفٌ أو قياس ، والقياس بمعنى الرأي المحض المقابل للشرع باطلٌ مردود عند علماء المسلمين، ويطلق القياس على الرأي ، تارةً على ما يعقل معناه ، وهو بهذا المعنى المقابل للتعبد ، حتى جاء في لسان الشرع أن من الأحكام ما يعقل معناه. ومنها ما هي تعبدية محضة لا يعقل لها معنى ، كرمي الجمار، قال وكلاهما توقيف ، لكن يسمى ما عقل معناه قياساً لمن قدح فيه من المعقول ، وهذا الذي نقول به)^{١٨}.

^{١٤} - انظر: نهاية السؤل على المنهاج (٤/٣).

^{١٥} - روضة الناظر (٢٢٧/٢).

^{١٦} - انظر: البحر المحيط (٨/٥)، البرهان (٧٤٦/٢)، الوصول (٢١٦/٢)، الإحكام للأمدى (٤/٣)، الإبهاج على المنهاج (٢/٣)، إرشاد الفحول ص ١٧٤.

^{١٧} - البرهان (٧٤٦/٢) وما بعدها.

^{١٨} - البحر المحيط (٨/٥) وما بعدها.

المبحث الثاني : أقوال ومذاهب العلماء في المسألة

معلوم بأن السنّة النبوية في الاستدلال مقدمة على القياس ، بل على الإجماع ، لكونها المصدر الثاني للشريعة الإسلامية ، والمذكورة التفسيرية للقرآن الكريم.

وكما هو معلوم أيضاً أنّ من أقسام السنّة: خبر الأحاد ، فإذا تعارض مع القياس ، هل سيظل الأمر على حاله ، كقسم من السنّة بتقديمه على القياس ؟ أم يُقدم القياس عليه ؟.

لا سيّما وأن هذه المسألة من المسائل المهمة والمشهورة بين العلماء ، ولها فروع ، بل هي من القواعد التي ترتب على الاختلاف فيها اختلاف في كثير من الأحكام الشرعية في المسائل الفقهية.

فنقول وبالله التوفيق: إن العلماء على اتفاق أن خبر الواحد إذا وافق القياس يُعمل به بلا خلاف.

لكنهم اختلفوا حول العمل بخبر الأحاد إذا خالف القياس ، ولم يمكن تخصيص أحدهما بالآخر.

وقبل أن نُورد الاختلاف ، تجدر بنا الإشارة أن نعرض بإيجاز مذهب الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم) في هذه المسألة أولاً ، ثم إيراد آراء العلماء من بعدهم ثانياً.

المطلب الأول: مذهب جمهور الصحابة والتابعين وأدلتهم.

أولاً : مذهب الصحابة والتابعين في المسألة .

ذهب جمهور الصحابة والتابعين إلى أن الخبر يُقدم على القياس ، فقيهاً كان الراوي أو غير فقيه ، موافقاً كان الخبر لقياس آخر أو غير موافق.

ثانياً : أدلة الصحابة والتابعين في المسألة.

استدلوا في ذلك:

١/ حديث النبي (صلى الله عليه وسلم): (فَرَبٌّ حَامِلٌ فَفَقِهَ غَيْرَ فِقِّهِ ، وَرَبٌّ حَامِلٌ فَفَقِهَ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ)^{١٩}.

٢/ ولأن الخبر نص ، والقياس رأيٌ واجتهادٌ ، والنص مقدم على الإجتهد ، وإذا كان الخبر ظني الثبوت فالقياس كذلك ، وقبول الخبر مبني على الثقة بالراوي ، وترجح جانب صدقه وعدالته ، والظاهر من حال الصحابة والرؤاة العدول أن يرووا الخبر كما سمعوه ، و إذا غيروا لم يتجاوزوا المعنى ، واحتمال الخطأ أو السهو والوهم منهم احتمال لم ينشأ عن دليل ، فلا يقدر في صحة الاستدلال بالخبر.

ومن أمثلة تقديم الخبر على القياس عند الجمهور: أن عمر قبل خبر الضحاك بن سفيان في إرث المرأة من دية زوجها^{٢٠} ، وعمل به مع مخالفته للقياس ، فإن الإرث لا يثبت قياساً إلا في مال كان يملكه الميت قبل وفاته ، والدية لا تجب إلا بعد الموت.

وقبل خبر حمّل بن مالك في دية الجنين^{٢١} وقضي به مع مخالفته للقياس الذي يوجب الدية كلها إذا كان الجنين عند الجنائية على أمه ، وعدم وجوب شيء منها إذا كان ميتاً ، ولهذا قال عمر: لو لم نسمع هذا لقضينا بغيره.

فلم يكن الضحاك ولا حمّل من فقهاء الصحابة ، وكان عمر يعلم بأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قضى في اليد بخمسين من الإبل ، ووجد أن في اليد خمسة أطراف

^{١٩} - الحديث: أخرجه الترمذي: في العلم (باب ما جاء في الحديث على تبليغ السماع) ح(٣٤/٥) ، وابن ماجه: المقدمة (٨٦/١) ح(٢٣٦) ، و الدرامي: المقدمة (٨٦/١) ح (٢٢٨) ، وأحمد: المسند (٩٩/٤) ح(١٦٧٤٣) ، وله روايات مختلفة.

^{٢٠} - الحديث: أخرجه أبو داود: الفرائض (١٢٩/٣) ح(٢٩٢٧) ، والترمذي: الديات (٢٧/٤) ح (١٤١٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح ، وابن ماجه: الديات (٨٨٣/٢) ح (٢٦٤٢) ، وأورده الشوكاني في نيل الأوطار (٣٤٣/٧).
^{٢١} - الحديث: أخرجه أبو داود: الديات (٦٩٨/٤) ، ابن ماجه: الديات (٨٨/٢).

مختلفة الجمال والمنافع ، فنزلها منازلها ، فقضى في الإبهام بخمس عشرة ، وفي كل من السبابة والوسطى بعشر ، وفي البنصر بتسع ، وفي الخنصر بست ، فلما ثبت عند العلماء كتاب عمرو بن حزم ، وفيه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (وَفِي كُلِّ أُصْبَعٍ مِمَّا هُنَالِكَ عَشْرٌ مِنَ الْإِبِلِ)^{٢٢} ، أخذوا به وتركوا ما كان يعمل به من قياس^{٢٣} .

المطلب الثاني: مذاهب العلماء بعد الصحابة والتابعين وتحقيقها.

أولاً : مذاهب العلماء بعد الصحابة والتابعين في المسألة.

العلماء على خلاف في هذه المسألة ، حيث ذهبوا فيها إلى عدة أقوال منها :

الأول: يُقدم خبر الواحد على القياس ، وهو مذهب جمهور العلماء ، و به قال الأئمة أبو حنيفة ورواية لمالك، والشافعي ، وأحمد ، والكرخي ، والمختار عند البيضاوي^{٢٤} .

الثاني: يُقدم الخبر على القياس بشرط أن يكون الراوي ضابطاً غير متساهل فيما يرويه فقيهاً ، وإلا كان موضع الإجتihad. وهذا قول عيسى بن أبان الحنفي^{٢٥} .

الثالث: إن القياس يُقدم على خبر الواحد ، إذا كان القياس قائماً على دليل قاطع. و به قال أبو الحسين البصري المعتزلي^{٢٦} .

الرابع: يقدم القياس على خبر الواحد مطلقاً ، ونسب هذا القول لمالك رحمه الله^{٢٧} .

الخامس: الوقف ، بمعنى أنه لا يُعمل بواحد منهما حتى يقوم العمل على ترجحه . و به قال أبو بكر الطيب الباقلاني المالكي^{٢٨} .

^{٢٢} - الحديث: أخرجه الدارقطني: في سننه (٢١٠/٣) ، والنسائي . انظر: نيل الأوطار (٥٧/٧).

^{٢٣} - انظر: كشف الأسرار (٣٨٣/٢) ، الإحكام للآمدي (١٦٩/٢) ، التلويح على التوضيح (٤/٢) ، الإحكام لابن حزم (١٣/٢) ، المغني (٦١٣/٩).

وأما عمر (رضي الله عنه) عندما أخبر بما في كتاب عمرو بن حزم أخذ به وترك قوله الأول. انظر: المغني (٦١٣/٩).

^{٢٤} - انظر: نهاية السؤل (١٦٥ ، ١٦٤/٣) ، المحصول (٢١١/٢ - ٢١٤) ، والإحكام للآمدي (١٦٩/٢) ، حاشية المطيعي على نهاية السؤل (١٥٦/٣) ، قواطع الأدلة (٣٥٨/١) ، أصول الفقه لمحمد أبي النور (١٢٤/٣).

^{٢٥} - انظر: التلويح على التوضيح (٤/٢) ، كشف الأسرار (٥٥١/٢) ، المحصول (٤٣٣/٤) ، الإحكام للآمدي (١٦٩/٢) ، الوصول إلى الأصول للبيضاوي (٢٠٢/٢) ، نهاية السؤل (١٦٥/٣).

^{٢٦} - انظر: القواطع (٣٥٩/١ ، ٣٦٠) ، الوصول إلى الأصول (٢٠٢/٢) ، تيسير التحرير لابن الهمام (١١٧/٣).

^{٢٧} - انظر: تنقيح الفصول للقرافي ص ٣٨٧ ، شرح الكوكب المنير (٣٦٧/٢ ، ٥٦٤) ، قواطع الأدلة (٣٥٨/١) ، الوصول إلى الأصول (٢٠٢/٢) وما بعدها.

^{٢٨} - انظر: قواطع الأدلة (٣٦٠/١) ، كشف الأسرار (٥٥١/٢) ، الإحكام للآمدي (١٧٩/٢) ، حاشية المطيعي على نهاية السؤل (١٦٥/٣).

ثانياً: تحقيق بعض المذاهب وتحرير موضع النزاع.

١- تحقيق مذاهب العلماء.

أ/ تحقيق مذهب ابن أبان:

قال ابن السمعاني: (قال: عيسى بن أبان: إذا كان الراوي ضابطاً عالمياً غير متساهل فيما يرويه وجب قبول خبره وترك القياس به ، وإن كان الراوي خلاف ذلك كان موضع الإجتهد)^{٢٩}.

وقال الأسنوي: (والذي قال باشتراط فقه الراوي في تقديم الخبر على القياس هو عيسى بن أبان ، ومن تبعه ، على أنه إنما اشترط ذلك فيما إذا خالف الخبر جميع الأقيسة ، وانسداد باب الرأي ، وفيما عدا ذلك ، لم يشترط فقه الراوي ، وقوله خلاف الصحيح من المذهب)^{٣٠}، ويظهر من هذا ، أن لعيسى بن أبان قولين:

أحدهما: القاضي بأن يكون الراوي ضابطاً عالمياً غير متساهل في الرواية ، دون اشتراط أن يكون فقيهاً.

ثانيهما: اشتراطه في الراوي أن يكون فقيهاً ، لكي يُقدم خبره على القياس.

ب/ تحقيق مذهب الإمام مالك رحمه الله.

قال ابن السمعاني: (وقد حكي عن مالك أن خبر الواحد إذا خالف القياس لا يُقبل ، وهذا القول بإطلاقه سمحٌ مُستقبِحٌ ، وإنما أجلُّ منزلة تلك^{٣١}] يعني قامه مالك في العلم ، وعقليته الألفية [عن مثل هذا القول ، وليس يُدرى ثبوتُ هذا عنه)^{٣٢}.

وقال القرافي ناقلاً قول مالك في معرض حديثه عن القياس: (وهو مقدم على الخبر الواحد ، عند مالك رحمه الله ؛ لأن الخبر إنما ورد لتحصيل الحكم ، والقياس مقدم متضمن للحكم ، فيقدم على الخبر ، وهو حجة في الدنيويات اتفاقاً...] إلى أن قال [... وفي مذهب مالك في تقديم القياس على خبر الواحد قولين: قول يُخالف الجمهور ، وهو الذي أشار إليه ابن السمعاني ، وقول يوافق الجمهور)^{٣٣}.

^{٢٩} - انظر: قواطع الأدلة (٣٥٨/١) ، وانظر معه: المحصول (٣٤٤/٤) ، الإحكام للأمدى (١٦٩/٢) ، تيسير التحرير (١١٧/٣).

^{٣٠} - انظر: نهاية السؤل (١٦٥/٣) ، وانظر معه: كشف الأسرار (٥٥١/٢).

^{٣١} - هكذا أثبت في "القواطع". ولعل الصحيح: ((وأنا أجلُّ منزلة مالك)) . انظر: شرح اللمع (١٠٤٧/٢) ، التخريج عند الفقهاء والأصوليين للباحسين ص ٤٧.

^{٣٢} - انظر: قواطع الأدلة (٣٥٨/١) .

^{٣٣} - انظر: تنقيح الفصول للقرافي ص ٣٨٧ ، وانظر معه: التخريج عند الفقهاء والأصوليين للباحسين ص ٤٧ ، تجد تحقيق قول مالك بالتفصيل.

٢/ تحرير موضع النزاع في المسألة :

محل النزاع: هو إذا كان القياس والخبر متعارضين من كل وجه ، ولا يمكن الجمع بينهما أو تخصيص أحدهما بالآخر:

عند الأحناف: مخالفة خبر الواحد لقياس الأصول.

وعند المالكية: جعلوه في القياس مطلقاً.

وعند الشافعية: ترجيح الخبر على القياس ، سواءً أكان الراوي عالماً فقيهاً أو لم يكن ، بشرط أن يكون عدلاً ضابطاً. و به قال الحنابلة^{٣٤}.

تحرير موطن التنازع: إذا ثبتت العلة بنص راجح على الخبر وهي قطعية في الفرع يقدم القياس على الخبر ، وإن ظنية فالوقف.

قال أبو الحسين البصري: (إنَّ القياس إذا عارضه خبر واحد ، يُنظر: فإن كانت العلة في القياس منصوصة بنص قطعي وخبر الواحد ينفي موجبها ، وجب العمل بالقياس بلا مخالف ؛ لأن النص على العلة كائنص على حكمها ، فلا يجوز أن يعارضها خبر الواحد ؛ لأنها ثبتت بنص قطعي ، وإن كانت منصوصة بنص ظني تتحقق المعارضة ، ويكون العمل بخبر الواحد أولى من القياس بالاتفاق ، وإن كانت مستنبطة من أصل ظني ، كان الأخذ بالخبر أولى بلا خلاف ، وكلما كان الظن أقوى والاحتمال أقل ، كان أولى بالاعتبار ، وذلك في الخبر ، وإن كانت مستنبطة من أصل قطعي ، والخبر المعارض للقياس خبر واحد ، فهو موضع الخلاف)^{٣٥}.

وإذا أمعنا النظر ، فإن تحرير موضع الخلاف ، نجده ظهر بشكل مغاير ، عند الإمام الأمدي حيث قال: (والمختار في ذلك أن يقال: إما أن تكون العلة منصوصة أو مستنبطة ، فإن كانت منصوصة ، وقلنا أن التنصيص على علة القياس لا يُخرجه عن القياس ، فالنص الدال عليها إما أن يكون مساوياً في الدلالة بخبر الواحد أو راجحاً عليه أو مرجوحاً ، فأما إن كان مساوياً ، فخبر الواحد أولى ، لدلالته على الحكم من غير واسطة ، ودلالة نص العلة على الحكم بواسطة ، وإن كان مرجوحاً فخبر الواحد أولى مع دلالته على الحكم من غير واسطة ، وإن كان راجحاً على خبر الواحد ، فوجود العلة في الفرع ، إما أن يكون مقطوعاً به أو مظنوناً ، فإن كان

^{٣٤} - انظر: الرسالة ص ٢٤٢ وما بعدها ، روضة الناظر ص ٩٣ - ٩٥ .

^{٣٥} - انظر: المعتمد لأبي الحسين البصري المعتزلي (٢٦٢/٢) ، وانظر معه: "كشف الأسرار" (٣٧٧/٢) ، الإحكام للأمدي (٢٠١/١) ، قواطع الأدلة (٣٥٨/١).

مقطوعاً ، فالمصير إلى القياس أولى، وإن كان وجودها فيه مظنوناً ، فالظاهر الوقف ؛ لأن نصب العلة ، وإن كان في دلالتها على العلة راجحاً، غير أنه يدل على الحكم بواسطة العلة ، وخبر الواحد لا بواسطة فاعتدلاً، وأما إن كانت العلة مستنبطة ، فالخبر مقدم على القياس مطلقاً ("٣٦").

المبحث الثالث : الأدلة ومناقشتها

المطلب الأول : أدلة الجمهور القائل بتقديم خبر الواحد على القياس.

احتج جمهور العلماء بالسنة ، والإجماع ، والمعقول:

أ/ السنة النبوية: اعتمد الجمهور على حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لما بعثه قاضياً بالإسلام إلى اليمن قال له: (كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ ؟) قال: أقضي بكتاب الله . قال: فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ اللَّهِ ؟ قال: فبسنة رسول الله قال: فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو ("٣٧").

قالوا: فقد أحرر معاذ العمل بالقياس عن السنة من غير تفصيل بين المتواتر والآحاد ، والرسول (صلى الله عليه وسلم) أقره على ذلك.

ب/ إجماع الصحابة (رضي الله عنهم): استدلتوا بأن الصحابة كانوا يتركون أحكامهم بالقياس إذا سمعوا خبر الواحد ، وفي وقائع كثيرة مشهورة عند بعض المشاهير منهم ، وهذا شيء معروف عندهم ، فمن خالفها، فقد خالفهم ، ومنها:

١- أن الصديق أبا بكر رضي الله عنه قد عمل بخبر المغيرة بن شعبة ومحمد بن مسلمة في أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أعطى الجدة السدس "٣٨".

٢- الفاروق عمر رضي الله عنه قد عمل بخبر عبد الرحمن بن عوف في أخذ الجزية من المجوس عندما سمع منه قوله عليه الصلاة والسلام: (سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ) ("٣٩").

٣٦ - انظر: الأحكام للأمدى (٢٠١/١).

٣٧ - أخرجه أبو داود: في السنن (٣٠٣/٣) ح (٣٥٩٢) . انظر: نصب الراية (٦٣/٤) ، تلخيص الحبير (٢٠١/٤) ح (٥) .
٣٨ - إنها جاءت إلى الصديق رضي الله عنه تطلب الميراث ، فقال لها: ما أجد لك في كتاب الله شيئاً ، وما علمت أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ذكر شيئاً ، ثم سألت الناس ، فقام المغيرة بن شعبة فقال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يعطيها السدس ، فقال أبو بكر الصديق: هل معك أحد ؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه . انظر: صحيح مسلم: كتاب الأفضية ، باب وجوب الحكم بشاهد ويمين (١٢/٢) ، وأبو داود: كتاب الأفضية (٣٠٨/٣) ح (٣٦٠٨) ، الترمذي: (٤١٩/٤) ح (٢١٠٠) ، ابن ماجه: (٢٠٩/٢) ح (٢٧٢٤) ، نيل الأوطار (٥٩/٦).

٣- عمل ذو النورين عثمان رضي الله عنه برواية فُرَيْعَةَ بنت مالك في اعتداد المتوفى عنها زوجها في بيت الزوجية ، والرواية هي: (امْكُتِي حَتَّى تَنْقُضِي عِدَّتَكَ) "٤٠" .

٤- وعمل الكرار علي رضي الله عنه بخبر الواحد في وقائع مختلفة "٤١" حتى أنه قال: (كنت إذا سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حديثاً نفعني الله به ما شاء أن ينفعني ، فإذا حدثني عنه غيري استحلفته ، فإذا حلف صدقته ، وحدثني أبو بكر ، وصدق أبو بكر رضي الله عنه) "٤٢" .

وقد عمل بخبر الواحد مقدماً على القياس كثير من الصحابة غير الخلفاء الراشدين ، في وقائع كثيرة ، فكان هذا إجماعاً منهم على العمل بخبر الأحاد مطلقاً دون تخصيص ، فهذا هو الدليل عندنا ، ولا بأس به "٤٣" .

ج/ المعقول: قالوا: إن إثبات الحكم بخبر الواحد يستند إلى قول النبي (صلى الله عليه وسلم) بلا واسطة ، وإثباته بالقياس مستند إلى قوله بواسطة ، فكان إثباته بالخبر أولى.

ردّ عليهم المخالف: وإن كان لا يتأثر الحكم بالخبر ، فهذه مزية ، فإن إثبات الحكم بالقياس مزية أخرى ، وهي استناده إلى أصل معلوم بدليل قطعي ، كما أن السهو والغلط مدخل في خبر الواحد "٤٤" .

المطلب الثاني : دليل عيسى بن أبان

استدل ابن أبان بإجماع الصحابة على رد أحاديث أبي هريرة وأخذهم بالقياس:

فقال: لقد ثبت أن الصحابة (رضي الله عنهم) أخذوا بالقياس ، وردوا حديث أبي هريرة رضي الله عنه في المصراة "٤٥" ؛ لأنه مخالف للقياس ، حيث خالف قاعدة: (

^{٣٩} - الحديث: أخرجه البخاري: (٢٩٧/٦) ح (٣١٥٦) ، الترمذي: (٢٧/٤) ح (١٥٨٧) ، ومالك: في الموطأ (٥٧٨/١) ح (٤٢) ، البيهقي: السنن الكبرى (١٧٢/٧) ح (١٣٧٦٤) ، تلخيص الخبر في أحاديث الرافعي الكبير لابن حجر (١٧١/٣) ، قال ابن حجر: وهو منقطع.

^{٤٠} - الحديث: أخرجه الترمذي (٤٩٩/٣) ، وقال: حديث حسن صحيح ، أبو داود (٥٣٦/١) ، النسائي (١٦٥/٩) ، ابن حبان (٢٢٨/١٠) ح (٤٢٩٢) ، نيل الأوطار (٢٩٨/٦).

^{٤١} - مثل: سؤاله للمقداد بن الأسود أن يسأل النبي (صلى الله عليه وسلم) عن أمور ، فلما أخبره عن النبي (صلى الله عليه وسلم) لم يحلفه . انظر: مسلم ح (٣٠٣) ، أبو داود ح (٢٠٦) ، الترمذي ح (١١٤) .

^{٤٢} - الحديث: أخرجه الترمذي: التفسير (٢٢٨/٥) ح (٣٠٠٦) ، وابن ماجه: الإقامة (٤٤٦/١) ح (١٣٩٥) .

^{٤٣} - انظر: نهاية السؤل (٢٨١/٢) ، كشف الأسرار (٦٩١/١) ، قواطع الأدلة (٣٦٠/١) ، مسلم الثبوت (٩٦/٢) وما بعدها .

^{٤٤} - انظر: قواطع الأدلة (٣٦٠/١) .

^{٤٥} - المصراة: التصرية ، من صریت الماء إذا حبسته ، وصریت الضرع ، أي حبست اللبن فيه ، والصرار: ما يشتد به ، وجمعه أصبره . (لسان العرب: ٢٢٤/٨) . والمصراة: هي الشاة أو الناقة التي يُجمع اللبن في ضرعها بالشد وإحكام الربط ، وترك الحلب ليظنها المشتري عزيرة اللبن ، فيزيد في ثمنها ، لما يرى من كثرة لبنها . انظر: نيل الأوطار (٢١٤/٥) .

الْخِرَاجُ بِالضَّمَانِ) "٤٦" وخالف أيضاً قاعدة الضمان العامة ، وهي دفع مثل المُتَلَف عملاً بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة : ١٩٤] ، أو دفع قيمته عملاً بقوله (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ أَعْتَقَ شَقْصًا "٤٧" لَهُ فِي عَبْدِهِ قَوْمٌ عَلَيْهِ نَصِيبٌ شَرِيكِهِ إِنْ كَانَ مُوسِرًا) "٤٨".

ومع مخالفة هذا الحديث لهذين القياسين لم يوافق أي قياس آخر لذلك رُدُّ "٤٩".

وأجيب عنه: بأن الصحابة إنما ردوا خبر الواحد ، لأسباب عارضة ، لا لترجيح القياس على خبر الواحد ، مثل أن يكون الحديث منسوخاً ، والذي رد الحديث لا يعلم بأنه منسوخ ، كما في حديث: (الْوُضُوءُ مِمَّا مَسَّتُهُ النَّارُ) "٥٠" أو أنه مخالف لظاهر القرآن ، والمشهور من السنة ، وتشابه ذلك ، والتبس على من ردَّ الحديث ، أو غيرها من أسباب ، وأنه عند انتفاء هذه الأسباب أخذ الصحابة رضي الله عنهم بالخبر وعملوا به "٥١".

المطلب الثالث : دليل أبي الحسين البصري

وهو من قال بالتفصيل ، واحتج بالدليل العقلي: فقال: إن كانت علة القياس منصوبة بنص قطعي ، وخبر الواحد ينفي موجبها، وجب العمل بالقياس بلا خلاف ، وذلك لأن النص على العلة كالنص على حكمها، فلا يجوز أن يعارضها خبر الواحد.

وحديث المصراة هو: (لا تصروا الإبل والغنم ، فمن ابتاعها بعد ، فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها ، إن شاء أمسك وإن شاء ردها وصاعاً من تمر) متفق عليه بين أحمد والشيخين عن أبي هريرة . انظر: نيل الأوطار (٢١٤/٥).
^{٤٦} - هذه القاعدة تقتضي: بأن غلة العين أي منفعتها تكون للمشتري ، وعليه الضمان عند هلاك العين ، وهو نص حديث أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها . انظر: نيل الأوطار (٢١٣/٥) .
^{٤٧} - الشَّقْصُ: القطعة من الشيء والنصيب ، والجمع أشقاص. انظر المعجم الوسيط (٥٠٨/١) ، مادة (شققص).
^{٤٨} - الحديث: أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما ، بألفاظ مختلفة. انظر صحيح مسلم: كتاب العتق (١٥١/١ ، ١٠٥٣) ، أبو داود : العتق (٢٢/٤).

^{٤٩} - انظر: أصول السرخسي (٣٤١/١ ، ٣٥٢) ، حاشية ابن عابدين (١٠١/٤).
^{٥٠} - الحديث: أخرجه مسلم: باب الوضوء مما مسته النار بروايتين: إحداهما عن زيد بن ثابت (٢٧٢/١) ح (٣٥١) ، والأخرى عن أبي هريرة (٢٧٣/١) ح (٣٥٢) ، والترمذي: الوضوء (١١٤/١) ، والنسائي: الوضوء (٨٧١) ، وابن ماجه: الوضوء (١٦٣/١) ، وأبو داود: الطهارة (٤٤/١) ، الدارمي (١٨٥/١) ، وأحمد: المسند (٢٦٤/١ ، ٢٧٢).
^{٥١} - انظر: قواعد الأدلة (٣٦٤/١) ، حاشية ابن عابدين (٤٤/٥) ، المجموع للنووي (١٦٦/٩) ، الكافي في فقه ابن حنبل (٨٠/٢) .

وإن كانت علة القياس منصوصة بنص ظني ، كان الأخذ بالخبر أولى من الأخذ بالقياس بلا خلاف ؛ لأن الظن أو الاحتمال كلما كان أقل ، كان أولى بالاعتبار ، وذلك في الخبر "٥٢".

وأجيب عنه: أن خبر الواحد في العمل به منزلة الخبر المتواتر ؛ لأنه يوجب العمل بدليل مقطوع به ، فإذا كان الخبر المتواتر في العمل به مقدماً على القياس ، فكذلك خبر الواحد يكون كذلك ، وهذا لأن الخبر إذا ثبت يصير مقتضاه كأنه سُمع من النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وإذا صار كذلك لم يكن بد من تقديمه على القياس "٥٣".

المطلب الرابع : دليل الإمام مالك رحمه الله ومن معه.

استدل هذا الفريق بالمشهور المستفيض عن الصحابة والمعقول:

١/ بالمشهور عن الصحابة (رضي الله عنهم): احتج بما اشتهر عن الصحابة الأجلاء من ردهم خبر الواحد إذا خالف القياس بقوله: أو ليس أن عمر رضي الله عنه رد حديث فاطمة بنت قيس.

وقال: (لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لا ندري أصدقت أم كذبت ؟ أحفظت أم نسيت ؟) .

و أليس أن علياً (رضي الله عنه) رد حديث برؤع بنت واشق، وقال: (ما أصنع بقول أعرابي بوال على عقبه ؟ حسبها الميراث!) ، ثم هذا ، وإن قبله ابن مسعود (رضي الله عنه) وأفتى بمقتضاه ، إلا أنه خالف الأقيسة الصحيحة ، فهو مخالف لسقوط المهر كله ، قياساً على الثمن إذا هلك المبيع قبل القبض "٥٤" ، ومخالف لوجوب المتعة دون المهر ، قياساً للوفاة قبل الدخول ، وعلى الطلاق قبله ، وبذلك رده ابن عباس وابن عمر (رضي الله عنهم) ، وبه أخذ إمامنا مالك والشافعي والأوزاعي والليث بن سعد.

^{٥٢} - انظر: المعتمد (٢٦٢/٢) ، قواطع الأدلة (٣٥٨/١) ، كشف الأسرار (٣٧٧/٢) ، الإحكام للآمدي (٢٠١/١) ، تيسير التحرير (١١٦/٣).

^{٥٣} - انظر: قواطع الأدلة (٣٦٠/١) .

^{٥٤} - انظر: بداية المجتهد لابن رشد (٤٨٥/٣) .

وهذه أمور مشهورة دلت على رد خبر الواحد بالقياس من قبل الصحابة (رضي الله عنهم أجمعين) ^{٥٥}

وأجاب الجمهور عنه : بأن رد الصحابة لخبر الواحد ليس بالقياس ترجيحاً عليه ، وإنما لعلّة وسبب عارض.

وناقش أحاديث الاستدلال بقوله: إن في رد عمر (رضي الله عنه) لحديث فاطمة بنت قيس في السكّنى: (بَتَّ ^{٥٦} زوجي طلاقي ، فلم يجعل لي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نفقة ولا سكّنى) ^{٥٧} ، بأن عمر إنما أنكر مخالفة الحديث للكتاب الدال على إيجاب السكن في قوله تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ﴾ [الطلاق: ٦] ، والنبي (صلى الله عليه وسلم) أسقط السكنى بسبب ، في حين أن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها تنقل إسقاط السكنى ولا تروي السبب ، فهذا محل إنكار عمر (رضي الله عنه) وغيره عليها ؛ لا لأنه رد الخبر بالقياس ^{٥٨}.

وأما رد عليّ (رضي الله عنه) لرواية معقل بن سنان في قصة برّوع بنت واشق: (أن زوجها توفي عنها قبل أن يدخل بها ، وأن يفرض لها صداقاً ، فقضى لها النبي (صلى الله عليه وسلم) بمثل مهر نساءها وجعل لها الميراث وعليها العدة) ^{٥٩}.

فإن علياً (رضي الله عنه) لم يرده بالقياس ترجيحاً ، وإنما لم يقبل رواية الأعراب لغلبة الجهل عليهم ، ولسنا بصدد هذا الكلام وأمثاله ، وإنما الكلام في أصل قبول الأخبار الآحاد ^{٦٠}.

^{٥٥} - انظر: المدونة لمالك (١٨٩/٤ ، ٢٣٧) ، الرسالة للشافعي (٢٤٠/٥).

^{٥٦} - المبتوتة: هي المطلقة ثلاثاً ، وأصل الكلمة "بتت" أي قطع ، وبت الشيء: حسمه وقطعه ، والبات: القاطع. انظر: القاموس المحيط للفيروز أبادي (٦٨/١).

^{٥٧} - الحديث: أخرجه مسلم: الطلاق (١١١٨/٢) ح (١٤٨٠/٤٦) ، أبو داود: الطلاق (٢٩٧/٢) ح (٢٢٩١) ، نيل الأوطار (٣٠١/٦).

^{٥٨} - انظر: قواطع الأدلة (٣٣٨/١ ، ٣٣٩).

^{٥٩} - الحديث: أخرجه البخاري: ح (٦٢٤٥) ، مسلم: ح (٢١٥٣) ، أبو داود: النكاح (٢٤٤/٢) ، النسائي: النكاح (١٢١/٦) ، أحمد: المسند (٣٥٢/٥) ، نيل الأوطار (١٧٢/٦).

^{٦٠} - انظر: قواطع الأدلة (٣٣٨/١ ، ٣٣٩) ، أصول السرخسي (٣٥١/١) ، كشف الأسرار (٥٥٢/٢).

وأما لكونه مخالفاً للأقيسة الصحيحة ، فرد الجمهور قائلاً: إذا كان مخالفاً للقياسين السابقين فإنه موافق لقياس آخر ، وهو قياس الموت قبل الدخول على الدخول نفسه ، لاشتراكهما في إيجاب العدة.

وقد لاحظ الشيخ علي حسب الله صاحب كتاب "أصول التشريع الإسلامي" رأياً جديراً بالملاحظة ، حيث يقول: إن هذا الحديث يجب العمل به بقياس آخر أظهر وأهم من الأقيسة المذكورة ، وهو قياس المتوفى عنها زوجها قبل الدخول وقبل التسمية ، على المتوفى عنها قبل الدخول كاملاً.

وعلة وجوب المهر لكل منهما واحدة ، وهي التمتع والتعزية وتخفيف لوعة الحزن والأسى ، كالذي يجب للمطلقة قبل الدخول في حالتها التسمية وعدمها ، وكما وجبت المتعة للمتوفى عنها زوجها بعد الدخول^{٦١} ، بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِمْ مَّتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠] .

٢/ المعقول: واحتج الإمام مالك رضي الله عنه ومن معه بقولهم: إن اتصال خبر الواحد برسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيه شبهة ، فكان الثابت بالقياس الذي ثبت بالإجماع أقوى من الثابت بخبر الواحد ، فكان العمل به أولى ، ثم إن القياس أثبت من خبر الواحد بجواز السهو والكذب على الراوي ، ولا يجوز ذلك في القياس .

وأضاف: أن القياس لا يحتمل تخصيص ، والخبر يحتمله ، فكان غير المحتمل أولى من المحتمل.

وناقشه الجمهور في تصور الشبهة بقوله: إن خبر الواحد يقين بأصله ، لأنه قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا احتمال للخطأ فيه ، وإنما

^{٦١} - المراجع السابقة ، أصول التشريع الإسلامي علي حسب الله ص ٦٩ ، علم أصول الفقه د. إبراهيم عبد الرحمن ص ٥٤ .

وردت الشبهة عن طريق النقل ، ولو ارتفعت الشبهة في النقل ، لكان حجة قطعاً بمنزلة المسموع منه (صلى الله عليه وسلم).

وقال في احتمال تخصيص خبر الواحد: إن كل وصف من أوصاف النص يحتمل أن يكون هذا المؤثر في الحكم ، ويحتمل أن لا يكون ، فكان الاحتمال الثابت في الأصل [القياس] أقوى من الاحتمال الثابت في الطريق بعد التيقن بالأصل ، ولذلك كان الأخذ بما هو أضعف احتمالاً وهو الخبر أولى ، ثم إن الخبر راجح على القياس ؛ لأن الإجتهد في الخبر واحتمال الخطأ أقل من القياس^{٦٢}.

المطلب الخامس : دليل أبي بكر الباقلاني القائل بالتوقف

استدل بالمعقول: بأن القياس وخبر الواحد متساويان ، وفي رتبة واحدة ، بدليل أن العمل بكل منهما مقطوع به ، وفي كل منهما ظن من جهة ، وقطع من جهة أخرى ، وكلاهما يحتاج إلى الإجتهد ، فالقياس يفتقر إلى الإجتهد في الأمانة ، وخبر الواحد يفتقر الإجتهد في أحوال المخبرين ، فهذان متساويان في هذه الجهة أيضاً ، لذلك وجب التوقف والرجوع إلى طريق آخر لترجيح أحدهما على الآخر^{٦٣}.

ورد عليه المخالفون: بأنه لا توقف ، فقد صار إجماع الصحابة (رضي الله عنهم) على العمل بخبر الواحد وتقديمه على القياس ، ثم أن الخبر مقدم على القياس لكونه قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، أما القياس فهو من أهل الرأي والاستنباط ، والرأي عرضة للخطأ ، وقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) منزّه عن الخطأ فوجب تقديم الخبر على القياس ، وعدم قبول القول بالتساوي للتوقف^{٦٤}.

^{٦٢} - انظر: الإحكام للآمدي (١٧٣/٢) وما بعدها بتصرف ، كشف الأسرار (٥٥٢/٢) وما بعدها بتصرف ، إحكام الفصول للإمام الباجي ص ٤١٣-٤١٤ ، البحر المحيط (٣٤٤/٤) وما بعدها.

^{٦٣} - انظر: قواطع الأدلة (٣٦٠/١) ، كشف الأسرار (٥٥١/٢).

^{٦٤} - انظر: نهاية السؤل (١٦٢/٣) ، المحصول (٤٣١/٤) ، تيسير التحرير (١١٦/٣) ، إرشاد الفحول ص ٣٥.

ونوقش رد المخالفين: بأن القياس والخبر طريقان ظنيان فإذا تعارضا ،
وجب الترجيح ، والأولى بالعمل القياس عند المعارضة من الخبر؛ لأن
القياس لن يتصور خروجه من أن يكون مشروعاً ، وليس الخبر كذلك ،
فالراوي إذا كذب نفسه خرج حديثه من انتسابه إلى الشرع الحنيف ، فكان
القياس من هذا الوجه أولى ومقديماً على الخبر، إضافةً إلى احتمال الحديث
ألواناً من الفساد ، كتدليس الراوي ونسيانه وغلطه ، مما لا يحتملها
القياس ، حتى شرط بعض العلماء فقاهاة الراوي ، ومع هذا يكون القياس
مقديماً لا مساوياً ، فيتوقف^{٦٥} .

المبحث الرابع : المسائل الفقهية المخرجة على قاعدة مخالفة خبر الواحد للقياس

بعد عرض المسألة بالتفصيل مع إيراد الآراء والأدلة ، فإن المتأمل فيها
يجد أن الخلاف الدائر حولها لم يكن خلافاً نظرياً ، ولا خلافاً ينبثق عنه
خلاف في فرع أو فرعين من فروع الفقه ، بل كان خلافاً هاماً جداً ترتب
عليه اختلاف كثير من الفروع الفقهية في مختلف أبواب الفقه ، سواء
كانت عبادات ، معاملات ، أحوال شخصية، جنائيات ،.. إلخ.

فالقاعدة تعتبر من أمهات القواعد المتفرعة منها مجموعة مسائل فقهية ،
وهنا نشير إلى بعض يسير ومهم منها ، سأعرضه بإيجاز مرتباً على أبواب
الفقه فيما يلي:

المطلب الأول : قسم العبادات: وفيه فرعان: (الطهارة ، الصوم).

١/ الفرع الأول: الطهارة : وفيه مسألتان. المسألة الأولى: في طهارة المنى
ونجاسته: معنى المسألة: منى الأدمي هل هو طاهر أم نجس؟ وإن لم
يكن طاهراً، فهل يُطهَّر بالفرك عن الثوب إن كان يابساً، أو لا يُطهر إلا
بالغسل بالماء مثل البول؟.

^{٦٥} - انظر: المراجع السابقة.

قال صاحب التأسيس: (... وعلى هذا قال أصحابنا: إن المنى نجس يُطهر بالفرك عن الثوب إذا كان يابساً ، وأخذوا في ذلك بالخبر .

وعند الإمام مالك رضي الله: لا يُطهر إلا بالغسل بالماء كالبول ("٦٦" أ. هـ .

توجيه المسألة: إن الحنفية يقولون: بنجاسة المنى ، فإن وقع في ماء نجسه ، و يجب غسله رطباً ، ويجزئ فيه الفرك إن كان يابساً ، مستدلين بما روته عائشة رضي الله عنها قالت: (كنت أفرك المنى من ثوب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ثم يذهب فيصلني فيه) ("٦٧" .

وقال مالك: هو نجس، ولا يجزئ فيه الفرك، بل يُطهر بالغسل قياساً على البول ("٦٨" .

المسألة الثانية: مقدار الحيض: قال في التأسيس: (وعلى هذا قال أصحابنا: أقل الحيض ثلاثة أيام ولياليها ، وأخذوا في ذلك بالخبر . وعند الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه مقدر بساعة ، وقاسه على سائر الأحداث) ("٦٩" أ. هـ .

توجيه المسألة: قال الأحناف والثوري: أقل الحيض ثلاثة أيام ، وأكثره عشر ، آخذين بما روي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (أَقْلُ الْحَيْضِ لِلجَارِيَةِ الْبِكْرِ وَالنَّيْبِ ثَلَاثَةٌ أَيَّامٍ وَلَيَالِيهَا وَأَكْثَرُهُ عَشْرَةٌ أَيَّامٍ) ("٧٠" .

والصحيح عند الأحناف: أن المرأة تترك الصوم والصلاة عند رؤية الدم ، وإن احتمل انقطاعه دون الثلاث ، لأن الأصل الصحة ، والحيض دم صحة ("٧١" .

٦٦ - انظر: تأسيس النظر للدبوسي ، تقديم خليل الميس ص ٩٠ .
٦٧ - الحديث: في نيل الأوطار للشوكاني (٤٧/١) ، وانظر: "بداية المجتهد" لابن رشد (٧١/١) ، قال عنه: أنه مضطرب ، وله زيادة في مسلم.
٦٨ - انظر: بداية المجتهد (٧٠/١) ، مواهب الجليل (٣٤١/١) وما بعدها.
٦٩ - انظر: تأسيس النظر ص ٩٢ .
٧٠ - الحديث: رواه الدارقطني وغيره ، انظر: نيل الأوطار (٢٨٣/٤) ، و للزيلعي عليه كلام ، انظر: نصب الراية (١٩١/٢).

وقال مالك: لا وقت لقليل الحيض ولا لكثيره ، لإطلاق قوله تعالى: ﴿فَاعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

فالمالكية يقررون بأنه: لا حدٌ لأقل الحيض بالنسبة للعبادة ، لا باعتبار الخارج ، ولا باعتبار الزمن ، فلو نزل منها دفقة واحدة في لحظة تعتبر حائضاً^{٧٢} .

والصحيح كما قال ابن رشد: (وهذه الأقاويل كلها المختلف فيها عند الفقهاء في أقل الحيض ، وأكثره ، وأقل الطهر لا مستند لها إلا التجربة والعادة)^{٧٣} .

٢ / الفرع الثاني: الصوم: وفيه مسألة واحدة.

مسألة: من أكل أو شرب ناسياً فهل يفسد صومه ؟:

قال صاحب التأسيس: (... وعلى هذا قال أصحابنا: إن أكل الناسي لا يفسد الصوم ، وأخذوا في ذلك بالخبر .

وعن مالك: يفسد الصوم وأخذ في ذلك بالقياس)^{٧٤} أ. هـ .

توجيه المسألة: ذهب الشافعية والحنابلة إلى: أن من أكل ناسياً أو مكرهاً أو مخطئاً ، وهو صائم فصيامه صحيح ، ولا قضاء عليه^{٧٥} ، وهو مذهب الأحناف غير أنهم يرون: أن الناسي لا قضاء عليه ، أما المكره فعلياً القضاء وجوباً ولا أثم عليه .

^{٧١} - انظر: مختصر الوقاية لصدر الشريعة في الفقه الحنفي (٦٨/١).

^{٧٢} - انظر: الفقه على المذاهب الأربعة الجزيري (١٢٧/١، ١٢٨).

^{٧٣} - بداية المجتهد (٤٤/١).

^{٧٤} - انظر: تأسيس النظر ص ٩٠ .

^{٧٥} - انظر: المجموع شرح المذهب (٣٢٥/٦) .

وحجّة الجمهور ما رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (مَنْ نَسِيَ وَهُوَ صَائِمٌ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ فَلَيْتِمَ صَوْمَهُ ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ)^{٧٦} .

وأما المالكية فقد ذهبوا إلى: أن من أكل أو شرب ناسياً أو مكرهاً أو مخطئاً وهو صائم فلا إثم عليه ، ولكن عليه القضاء ، فوافقوا الحنفية في المكروه والمخطئ ، وخالفوا الجميع في الناسي^{٧٧} .

المطلب الثاني : قسم المعاملات : وفيه مسألة في الهبة:

مسألة: هل الهبة لا تجوز إلا بالقبض أم تجوز بدونه ؟

قال في التأسيس: (... وعلى هذا قال أصحابنا: إن الهبة لا تصح إلا بالقبض ، وكذلك الصدقة ، وأخذوا في ذلك بالخبر .

وعند مالك: يجوز ؛ لأنه عقد نافذ فأشبهه البيع)^{٧٨} أ.هـ .

توجيه المسألة: عند الحنفية: أن الهبة لا تتم ولا تثبت لها آثارها بدون القبض كالصدقة تماماً ، واستدلوا بحديث: (لَا تَجُوزُ الْهَدِيَّةُ إِلَّا بِالْقَبْضِ)^{٧٩} .

أما المالكية: فلا يعتبرون ذلك ، إنما يقولون بالجواز ونفاذ عقد الهبة ، قياساً بعقد البيع^{٨٠} .

المطلب الثالث : الأحوال الشخصية: وفيه فرعان (النكاح والطلاق).

١/ الفرع الأول: النكاح: وفيه مسألتان:

^{٧٦} - الحديث: أخرجه البخاري: الصوم ح(١٩٣٣) ، مسلم: الصيام ح(١٧١/١٥٥) ، أحمد: المسند (٣٩٥/٢) ، وانظر: نيل الأوطار (٢٠٦/٤) .

^{٧٧} - انظر: الشرح الكبير للدردير على مختصر خليل (٥٢٥/١) .

^{٧٨} - انظر: تأسيس النظر ص ٩١ .

^{٧٩} - الحديث: نيل الأوطار (٢٩٣/٥) ، وانظر: مصنف عبد الرزاق (١٠٨١/٩) ط دار القلم ، المغني والشرح الكبير (٢٤٧/٦) ، الحاوي الكبير للماوردي (٥٣٥/٧) .

^{٨٠} - انظر: المدونة (٨٤/١٥) .

الأولى: هل الكفاءة معتبرة في النسب أم الدين؟:

قال صاحب التأسيس : (... وعلى هذا قال أصحابنا: إن الكفاءة معتبرة في النسب ، وأخذوا في ذلك بالخبر^{٨١} .

وعند مالك: الكفاءة معتبرة في الدين)^{٨٢} أ. هـ .

الثانية: هل يجوز للعبد الزواج بأكثر من اثنتين؟:

قال الدبوسي: (... وعلى هذا قال أصحابنا: لا يجوز للعبد أن يتزوج أكثر من اثنتين ، وأخذوا في ذلك بالخبر .

وعند مالك: يجوز أن يتزوج بأربع كالحرة، وأخذ في ذلك بالقياس)^{٨٣} أ. هـ .

توجيه المسألة:

عند الأحناف والثوري والليث بن سعد والشافعي: لا يتزوج العبد أكثر من امرأتين ، واستدلوا بحديث: (يَنْكِحُ الْعَبْدُ امْرَأَتَيْنِ وَيُطَلِّقُ تَطْلِيقَتَيْنِ وَتَعْتَدُ الْأُمَّةُ حَيْضَتَيْنِ)^{٨٤} .

وقال المالكية: يتزوج العبد أربع نسوة قياساً على الحر .

قال أبو جعفر الطحاوي: لا يختلفون أن طلاق العبد لزوجته تطليقتان ، كالحد على النصف مما على الحر ، فكذلك العدد^{٨٥} .

٢ / الفرع الثاني: الطلاق : وفيه مسألة:

مسألة: هل يقع طلاق السكران و عتاقه أم لا ؟:

^{٨١} - الخبر: (قريش بعضهم أكفاء لبعض بطن والعرب بعضهم أكفاء لبعض قبيلة لقبيلة والموالي بعضهم أكفاء لبعض رجل برجل) . انظر: نصب الراية (١٩٧/٣) ، الدراية في تخريج أحاديث الهداية لابن حجر (٦٣/٢) . وفي هذا الخبر نظر: فمنهم من قال: ضعيف جدا ، ومنهم من قال: منقطع الإسناد .

^{٨٢} - انظر: تأسيس النظر ص ٩١ .

^{٨٣} - انظر: تأسيس النظر ص ٩٠ .

^{٨٤} - الحديث: أخرجه الدارقطني وغيره . انظر: نيل الأوطار (١٢٧/٦) .

^{٨٥} - انظر: مختصر اختلاف العلماء الجصاص (٣٠٨/٢) .

قال الدبوسي: (... وعلى هذا قال أصحابنا: طلاق السكران و عتاقه واقع ، وأخذوا في ذلك بالخبر.

وعند مالك رضي الله عنه: لا يقع ، وقاسه على الصبي والمجنون بعلّة أنه لا يعقل^{٨٦} "أ.هـ.

توجيه المسألة:

عند الأحناف: طلاق السكران وعقوده وأحكام أفعاله ؛ ثابتة كأفعال الصّاحي ، إلا الردة ، فإنه إذا ارتد لا تبينُ منه امرأته استحساناً.

قال محمد بن الحسن الشيباني: ولو قذف حدّ وكذلك إذا قتل أو قُتل وإن زنى أو سرق أُقيم عليه الحد ، ولا يجوز إقراره بالحدود.

رؤي عن علي -رضي الله عنه- أنه قال: (كُلُّ طَلَقٍ جَائِزٌ إِلَّا طَلَقَ الْمَعْتُوهِ)^{٨٧}.

وعند المالكية: أنه غير جائز أي لا يقع طلاقه قياساً على المجنون والصبي.

وذكر ابن القاسم عن مالك: أن طلاق السكران جائز^{٨٨}.

الخاتمة

الحمد لله الذي أعانني على إعداد هذا البحث وإكماله ، حمداً كالذي نقول وخيراً مما نقول .

وبعد هذا التّجوال الدراسي في فن أصول الفقه ، وقاعدة مخالفة خبر الواحد للقياس ، نصل إلى خاتمة المطاف التي تحمل في طياتها ثمرات البحث اليانعة ، ونتائجه الطيبة ؛ فالنفوس دائماً تشربُ إلى النتائج دون

^{٨٦} - انظر: تأسيس النظر ص ٩٢ .
^{٨٧} - أخرجه البيهقي في الكبرى (٣٥٩/٧) ، والترمذي: الطلاق ، باب ما جاء في طلاق المعتوه (١١٩١) مرفوعاً من حديث أبي هريرة ، وضعفه . انظر: نيل الأوطار (٢٠٠/٥) .
^{٨٨} - انظر: المدونة (٢٤/٣) ، بداية المجتهد (٨٢/٢) .

المقدمات ، وترتاح إلى الغرض المقصود دون التطويل في العبارات ،
وتتشوق إلى الخلاصة والتوصيات ، فإنه حينئذ من المناسب أن أعرض أهم
النتائج والتوصيات التي أثمرت عنها هذه الدراسة فيما يلي:

– اتفق العلماء على أن خبر الواحد إذا وافق القياس يُعمل به بلا خلاف.

— أما الخلاف عندهم إذا كان القياس والخبر متعارضين من كل وجه ،
ولا يمكن الجمع بينهما أو تخصيص أحدهما الآخر :

عند الأحناف : مخالفة خبر الواحد لقياس الأصول ، حيث اشترطوا في
الراوي أن يكون ضابطاً فقيهاً ، لكي يقدم خبره على القياس ، وإن كان
الراوي خلاف ذلك كان موضع الإجتihad.

عند المالكية : يقدم القياس على خبر الواحد مطلقاً ، وهذا نسب إلى مالك
. والصحيح أن مالكا له قولان: قول يوافق فيه القائلين بتقديم الخبر على
القياس ، وقول يقدم فيه القياس لا سيما في الأمور الدنيوية إذا خالف
الأقضية الصحيحة.

وعند الشافعية : ترجيح خبر الواحد على القياس ، سواء كان الراوي
عالمًا فقيهاً أو لم يكن ، بشرط أن يكون عدلاً ضابطاً . و به قال الحنابلة .

واختلاف علماء الأصول في هذه القاعدة أثمر اختلافاً كثيراً في الجانب
الفقهي ، مما يدل على أن الخلاف الدائر حولها لم يكن خلافاً نظرياً ، ولا
خلافاً ينبثق عنه خلاف في فرع أو فرعين من فروع الفقه ، بل كان
خلافاً هاماً جداً ترتب عليه اختلاف كثير من الفروع الفقهية في مختلف
أبواب الفقه سواء أكانت عبادات أو معاملات أو أحوال شخصية أو
جنايات.

أهم المصادر والمراجع

أثر الاختلاف في القواعد الأصولية في اختلاف الفقهاء: الدكتور مصطفى سعيد الخن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ سنة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م .

إرشاد الفحول: محمد بن علي الشوكاني ت(١٢٥٠هـ) ، تحقيق شعبان محمد إسماعيل ، دار الكتب ، القاهرة ، (د.ت)

أساس البلاغة: أبو القاسم الزمخشري ، دار صادر ، بيروت.

أصول التشريع الإسلامي: علي حسب الله ، دار المعرفة ، مصر ، ١٩٧١م.

أصول السرخسي: شمس الأئمة السرخسي ت(٤٨٣هـ) ، تحقيق أبي الوفا الأفغاني ، دار المعرفة ، بيروت ، (د.ت) .

أصول الفقه الإسلامي: الدكتور وهبة الزحيلي ، دار الفكر ، دمشق ، إعادة الطبعة الثانية سنة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م .

الأم: الإمام الشافعي ت(٢٠٤هـ) مع "مختصر المزني" ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٢ سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

الإحكام في أصول الأحكام: سيف الدين الآمدي ت(٦٣١هـ) ، ضبطه الشيخ إبراهيم العجوز ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

التخريج عند الفقهاء والأصوليين: الدكتور يعقوب عبد الوهاب الباسين ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ٢ سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

التلويح على التوضيح لمتن التنقيح: السعد التفتازاني ت(٧٩٢) ، تحقيق سعيد أحمد أعراب ، الرباط ، ط ١ سنة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

السنن الكبرى للبيهقي ت(٤٥٨هـ): تحقيق الدكتور يوسف المرعشلي ، دار المعرفة ، بيروت

الفقه الإسلامي وأدلته: الدكتور وهبة الزحيلي ، دار الفكر ، ط ٣ سنة ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .

الفقه على المذاهب الأربعة: عبد الرحمن الجزيري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

القاموس المحيط: مجد الدين الفيروز أبادي ت(٨١٧هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

المحلى: أبو محمد علي بن أحمد بن حزم ت(٤٥٦هـ) تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، دار الآفاق ، بيروت (د. ت.) .

المدخل إلى مذهب أحمد: عبد القادر بدران الرومي ت(١٣٤٦هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٣ سنة ١٤٠٥هـ .

المدونة الكبرى: الإمام مالك ت(١٧٩هـ) ، رواية سحنون التنوخي عن عبد الرحمن بن القاسم ، مطبعة السعادة ، القاهرة سنة ١٣٢٣هـ .

المستصفى من علم الأصول: حجية الإسلام الغزالي ت(٥٠٥هـ) ، تحقيق الدكتور محمد سليمان الأشقر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ سنة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: أبو بكر علاء الدين الكاساني ت(٥٨٧هـ) دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٢ سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

بداية المجتهد ونهاية المقتصد: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الحفيد ت(٥٩٥هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ سنة ١٩٩٦م .

تأسيس النظر: أبو زيد الدبوسي ت(٤٣٠هـ) ، تقديم الشيخ خليل الميس ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ سنة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

تقويم الأدلة: أبو زيد الدبوسي ت(٤٣٠هـ) ، تحقيق الشيخ خليل محي الدين الميس ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ سنة ١٤٢١هـ/٢٠٠١م .

تنقيح الفصول في اختصار المحصول: شهاب الدين القرافي ت (٦٨٤هـ) ،
مطبوع مع "شرح التنقيح" تحقيق طه عبد الرؤوف ، المكتبة العلمية ،
بيروت ، ط١ سنة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م .

سنن الدارقطني ت(٣٨٥هـ): تحقيق السيد عبد الله هاشم المدني ، دار
المعرفة ، بيروت ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م .

سنن النسائي ت(٣٠٣هـ): تحقيق الشيخ خليل شيحا ، دار المعرفة ، بيروت
، ط١ سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

شرح الكوكب المنير: محمد الفتوحى ابن النجار ت(٩٧٢هـ) ، تحقيق
الدكتور محمد الزحيلي و الدكتور نزيه حماد ، مكتبة العبيكان ،
الرياض ١٤١٣هـ/١٩٩٣م .

شرح صحيح مسلم: أبو زكريا يحيى النووي ت(٦٧٦هـ) ، تحقيق الشيخ
خليل شيحا ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م .

صحيح البخاري ت(٢٥٦هـ): مطبوع مع "فتح الباري" ، تحقيق الشيخ عبد
العزیز بن باز ، دار الريان ، القاهرة ، (د.ت) .

قواطع الأدلة في الأصول: أبو المظفر منصور بن السمعاني (٤٨٩هـ) ،
تحقيق محمد حسن إسماعيل الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط١
سنة ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

كشف الأسرار عن أصول البزدوي: العلاء عبد العزيز البخاري ت(٧٣٠هـ)
تحقيق عبد الله محمود محمد عمر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ سنة
١٤١٨هـ/١٩٩٧م

لسان العرب: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي
ت(٧١١هـ) ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت) .

مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي ت(٦٦٦هـ) ، ترتيب محمود خاطر ، دار صادر ، بيروت ، سنة ١٤٠٩هـ .

مختصر اختلاف الفقهاء: صنفه أبو جعفر أحمد الطحاوي ت(٣٢١هـ) ، و اختصره أبو بكر أحمد الجصاص ت(٣٧٠هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الله نذير أحمد ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط١ ، سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول: أبو عبد الله الشريف التلمساني ت(٧٧١هـ) ، تحقيق أحمد عز الدين خلف الله ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

منهاج الوصول إلى علم الأصول: ناصر الدين البيضاوي ت(٦٨٥هـ) ، مطبوع مع "نهاية السؤل" ، تحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل ، دار بن حزم ، بيروت ، ط١ سنة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم

مركز تأسيس العلوم

مجلة تأسيس العلوم

بحث بعنوان:

أحكام الحسبة في الفقه الإسلامي

د. عبده عبدالله حسن داود

كلية الشريعة

جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

المبحث الأول : تعريف الحسبة في اللغة والاصطلاح وحكمها في الفقه الإسلامي.

ويحتوي على مطلبين :

المطلب الأول : تعريف الحسبة في اللغة والاصطلاح .

المطلب الثاني : حكم الحسبة في الفقه الإسلامي .

المبحث الثاني : شروط الحسبة والمحتسب.

ويحتوي على ستة مطالب:

المطلب الأول : وجود المنكر ظاهراً في الحال دون تجسس .

المطلب الثاني : التكليف .

المطلب الثالث : الإيمان .

المطلب الرابع : القدرة .

المطلب الخامس : العدالة .

المطلب السادس : الإذن .

المبحث الثالث : ووسائل دفع المنكر.

ويحتوي على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : دفع المنكر (بالتعريف ، والوعظ ، والنصح ، والتعنيف ، والتهديد)

المطلب الثاني : دفع المنكر باليد (بالضرب ، والقتل ، والاستعانة بالغير) .

المطلب الثالث : دفع المنكر بالقلب (بالإنكار ، وعدم الرضا) .

الخاتمة .

ملخص البحث:

الحسبة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) هي احتساب الأجر عند الله عز وجل ، مقابل الحث على القيام بالأعمال الصالحات ، والنهي عن المنكرات ، لأن الله عز وجل أمر بالقيام به ، وهو مظهر من مظاهر الولاء بين المؤمنين .

ولابد أن تتوفر في الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، شروط تتمثل في:

التكليف ، والإيمان ، والقدرة ، والعدالة ، والإذن . فمن لم تتوفر فيه تلك الشروط كلها ، يمكنه أن يقوم بالقدر الذي يتوفر فيه ، فيأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر، بحسب حاله ، وبالقدر الذي يستطيعه .

ولابد كذلك للقائم بالمعروف والنهي عن المنكر ، أن ينهى عن منكر موجود بالفعل ، ويأمر بمعروف مطلوب منه الحث عليه ، على أن يكون المنكر ظاهراً في الحال ، دون تجسس ، وأن يتيسر دفعه بأيسر السبل ، كالتعريف به ، والوعظ والنصح والتعنيف ، عندما يكون هو الأنسب ، والتهديد في حال القدرة عليه ، في حال امتناع الفاعل عن الكف بالوسائل السالفة دون التهديد .

ولابد أن يتدرج الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، في وسائل دفع المنكر ، حسب حال المأمورين بالمعروف ، والمنهيين عن المنكر .

مقدمة :

الحمد لله الذي لا تستفتح الكتب إلا بحمده ، ولا تستمنح النعم إلا بكرمه ورفده، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء محمد رسوله وعبده ، وعلى آل بيته الطاهرين المطهرين ، وأصحابه الأبرار الأخيار ، الذين اتبعوه ونصروا سنته من بعده .

أما بعد :

فإن الحسبة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) قال الإمام الغزالي ما نصه : هي القطب الأعظم في الدين وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوى بساطه وأهمل علمه وعمله ، لتعطلت النبوة ، واضمحلت الديانة ، وعمت الفترة وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة ، واستشرى الفساد ، واتسع الخرق وخربت البلاد ، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد ، وقد كاد الذي خفنا أن يكون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، إذ قد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه ، وانمحق بالكلية حقيقته ورسمه ، فاستولت على القلوب مدهانة الخلق ، وانمحقت عنها مراقبة الخالق ، واسترسل الناس في اتباع الهوى والشهوات ، استرسال البهائم ، وعز على بساط الأرض مؤمن صادق ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، فمن سعي في تلافي هذه الفترة ، وسد هذه الثلثة^{٨٩} ، إما متكفلاً بعلمها ، أو متقلداً لتنفيذها ، مجدداً لهذه السنة الدائرة ، ناهضاً بأعبائها ، ومستمراً في إحيائها، كان مستأثراً من بين الخلق ، بإحياء سنة أفضى الزمان إلى إمامتها ، ومستبداً بقربة تتضاءل درجات القرب دون ذروتها^{٩٠} .

ولأجل هذا قال تعالى آمراً بالقيام بأعباء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: {وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

^{٨٩} / الثلثة : الخلل في الحائط وغيره ، وفرجة الجرف المكسور ، ابن منظور ، لسان العرب ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م ، ج ٢ ، ص(١٢٤).

^{٩٠} / الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، مصر ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٥٨م - ١٩٣٩م ، ج(٢) ، ص(٣٠٢) .

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }^{٩١} . وقال تعالى مفرقاً بين
الأميرين بالمعروف والناهيين عن المنكر ، والقاعدين عنه من أهل الكتاب :
{ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ
يَسْجُدُونَ ، يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ }^{٩٢} .

وجعل الله جل وعلا ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مظهراً
من مظاهر الولاء بين المؤمنين والمؤمنات ، حيث قال عز وجل :
{ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ }^{٩٣} .

ولعن الله عز وجل الذين لا يأترون بالمعروف ، ولا يتناهون عن
المنكر ، من بني إسرائيل ، حيث قال : { لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي
إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا
يَعْتَدُونَ ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ }^{٩٤} .

وجعل الله عز وجل خيرية هذه الأمة في قيامها بالأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر ، حيث قال عز وجل : { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ
تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ
لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ }^{٩٥} .

كما جعل جل وعلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسس
وقواعد التمكين في الأرض ، حيث قال : { الَّذِينَ إِنْ مَكَنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ
أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ
عَاقِبَةُ الْأُمُورِ }^{٩٦} .

^{٩١} / سورة آل عمران ، الآية (١٠٤) .

^{٩٢} / سورة آل عمران ، الآية (١١٣ ، ١١٤) .

^{٩٣} / سورة التوبة ، الآية (٧١) .

^{٩٤} / سورة المائدة ، الآيتان (٧٨ ، ٧٩) .

^{٩٥} / سورة آل عمران ، الآية (١١٠) .

^{٩٦} / سورة الحج ، الآية (٤١) .

وجعل الله عز وجل ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب قبول الدعاء ، حيث قال : {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} ^{٩٧} .

وجاءت السنة النبوية لتؤكد ذلك كله ، وذلك في أحاديث منها ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، عن أبي سعيد الخدري t ، قال : طارق بن شهاب : أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة ، مروان ، فقام إليه رجل ، فقال : الصلاة قبل الخطبة ، قال : قد ترك ما هنالك ، قال أبو سعيد : أما هذا فقد قضى ما عليه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع ، فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان) ^{٩٨} .

وفي الحديث ، قال رسول الله ﷺ : (إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل : إنه كان الرجل يلقي الرجل ، فيقول له : يا هذا اتق الله ، ودع ما تصنع ، فإنه لا يحل لك ، ثم يلقيه من الغد ، وهو على حاله ، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ، ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ثم قال : {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ، تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ، وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ} ^{٩٩} ، ثم قال : كلا والله لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ،

^{٩٧} / سورة النساء ، الآية (١١٤) .

^{٩٨} / الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ، صحيح مسلم بشرح النووي ، دار الفكر ، ج(٢) ، ص (٢١) .

^{٩٩} / سورة المائدة ، الآيات (٧٨ - ٨١) .

ولتأطرنه على الحق أطراً ، أو لتقصرنه على الحق قصراً ، زاد في رواية :
(أو ليضربن الله في قلوب بعضكم بعضاً ، ثم ليلعنكم كما لعنهم)^{١٠٠} .

وعن عبدالله بن مسعود t أن رسول الله r قال : (ما من نبي بعثه
الله في أمته قبلي ، إلا كان له من أمته حواريون ، وأصحاب يأخذون
بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف ، يقولون ما لا
يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ، ومن
جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ، ليس وراء
ذلك من الإيمان حبة خردل)^{١٠١} .

دلت الآيات والأحاديث المذكورة على أن الأمر بالمعروف ، والنهي
عن المنكر : أن المعروف يشمل كل قولٍ أو فعلٍ أو رضيٍّ بالمعروف ،
يراد قوله أو فعله أو استشعاره .

وأن المنكر يشمل ، كل قولٍ أو فعلٍ أو رضيٍّ بالمنكر ، وأن الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن يستوفى شروط الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر ، وأن يكون بالوسائل المتاحة للأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر .

^{١٠٠} / أبو الطيب حمد شمس الحق العظيم أبادي ، عون المعبود شرح سنن أبي داود ، الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان ، دار الكتب
العلمية ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٩٠ م ، ج (١١) ، ص (٣٢٧) .
^{١٠١} / خردل : ضرب من الخرف معروف ، الواحدة خردلة ، ابن منظور ، لسان العرب ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص (٥٧) .
^{١٠٢} / الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مصدر سابق ، ج (٢) ، ص (٢٧) .

المبحث الأول

تعريف الحسبة في اللغة والاصطلاح وحكمها في الفقه الإسلامي .

ويحتوي على مطلبين :

المطلب الأول :

تعريف الحسبة في اللغة والاصطلاح .

المطلب الثاني :

حكم الحسبة في الفقه الإسلامي .

المطلب الأول

تعريف الحسبة في اللغة والاصطلاح

الحسبة في اللغة : مصدر احتسب الأجر على الله ، تقول : والاسم :
الحسبة بالكسرة ، وهو الأجر .

واحتسب فلان ابناً له ، أو ابنة له ، وإذا مات وهو كبير ، وافترط
فرطاً إذا مات له ولد صغير لم يبلغ الحلم ١٠٣ .

وفي الحديث : (من صام رمضان إيماناً واحتساباً) ١٠٤ أي طلباً لوجه
الله تعالى وثوابه ، والاحتساب من الحسبة ، كالاعتداد من العدة ، وإنما
قيل لمن ينوي بعمله وجه الله : احتسبه ، لأن له حينئذ أن يعتد عمله ،
فجعل في حال مباشرة الفعل ، كأنه معتد به .

والحسبة : اسم من الاحتساب ، كالعدة من الاعتداد ، والاحتساب في
الأعمال الصالحات ، وعند المكروهات : هو البدار إلى طلب الأجر
وتحصيله بالتسليم والصبر ، أو باستقبال أنواع البر ، والقيام بها على
الوجه المرسوم فيها طلباً للثواب المرجو منها ١٠٥ .

والحسبة بالكسر : وهي الأجر ، والجمع الحسب . وفلان محتسب
البلد ، ولا تقل مُحسب . ويقال أيضاً لحسن الحسبة في الأمر ، إذا كان
حسن التدبير له ، والحسبة أيضاً من الحساب ، مثل : القعدة والركبة
والجلسة ١٠٦ .

١٠٣ / الإمام أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، الطبعة الثانية ، بيروت ، لبنان ، دار إحياء التراث العربي ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م ، ج (٣) ، ص (١٦٤)
١٠٤ / الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مصدر سابق ، ج (٨) ، ص (٢٩) .
١٠٥ / عمر بن محمد بن عوض السناني ، نصاب الاحتساب ، الطبعة الأولى ، مكة المكرمة ، مكتبة الطالب ، ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م ، ص (٨٣) .
١٠٦ / إسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح ، الطبعة الثالثة ، بيروت ن ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ، ج (١) ، ص (١١٠) .

والحسبة في الاصطلاح : هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ، ونهي عن المنكر إذا أظهر فعله^{١٠٧} .

قال تعالى : {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} ١٠٨ .

وعرفها ابن خلدون بأنها : وظيفة دينية ، من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين ، يعين لذلك من يراه أهلاً له ، فيتعين فرضه عليه ويتخذ الأعوان على ذلك ، ويبحث عن المنكرات ، ويعزر ، ويؤدب على قدرها ، ويحمل الناس على المصالح العامة في المدينة ، مثل المنع من المضايقة في الطرقات ، ومنع الحمالين وأهل السفن من الإكثار في الحمل ، والحكم على أهل المباني المتداعية للسقوط بهدمها ، وإزالة ما يتوقع من ضررها على السابلة ، أي المارة^{١٠٩} .

أو هي الحكم بين الناس فيما يتوقف على الدعوى ، فهو المسمى بالحسبة والمتولي له والي الحسبة^{١١٠} .

وقد جرت العادة بإفراد هذا النوع بولاية خاصة ، كما أفردت ولاية المظالم بولاية خاصة ، والمتولي بها يسمى والي المظالم ، وولاية المال قبضاً وصرفاً بولاية خاصة ، والمتولي لها يسمى وزيراً ، وناظر البلد لإحصاء المال وضبطه تسمى ولاية استيفاء ، والمتولي لاستخراجه وتحصيله ممن هو عليه تسمى ولايته ولاية السر ، والمتولي لفصل الخصومات ، وإثبات الحقوق ، والحكم في الفروج والأنكحة والطلاق والنفقات وصحة العقود وبطلانها : هو المخصوص باسم الحاكم

^{١٠٧} / علي بن حبيب البصري الماوردي ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، المكتبة التوفيقية ، ص(٢٧١) .

^{١٠٨} / سورة آل عمران ، الآية (١٠٤) .

^{١٠٩} / عبدالرحمن بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، طبعة دار الشعب بالقاهرة ، ص(٢٠١) .

^{١١٠} / شمس الدين محمد أبي عبدالله بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ، الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية ، القاهرة ، مطبعة المدني ، دار البيان العربي ، ص(٢٤٥) .

والقاضي ، وبه يتبين أن ولاية الحسبة : خاصتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما ليس من خصائص الولاية والقضاة^{١١١} .

أو هي : تتناول كل مشروع يفعل لله تعالى كالأذان والإقامة وأداء الشهادة ويترك لله تعالى من الممنوعات ، فهو يحتسب بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر عند الله أجراً كإراقة الخمر وكسر المعازف ، وإصلاح الشوارع ومنع جلوس الباعة عليها^{١١٢} .

أو هي جماع الدين ، وجميع الولايات ، هو أمر ونهي فالأمر الذي بعث الله به رسوله هو الأمر بالمعروف ، والنهي الذي بعثه به ، هو النهي عن المنكر^{١١٣} .

من التعريفات المتقدمة يتضح أن الحسبة تدور في معناها حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أي الدعوة إلى فعل المعروف وتعريف الناس به ، ليفعلوه ، والدعوة إلى ترك المنكر ، وتعريف الناس به ، ليتركوه .

ويختار الباحث تعريف صاحب نصاب الاحتساب ، لما فيه من شمول لمدلول الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي هي مرجعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

^{١١١} / المصدر السابق ، ص(٢٤٥ ، ٢٤٦) .

^{١١٢} / عمر بن محمد بن عوض السنامي ، نصاب الاحتساب ، مصدر سابق ، ص(٨٣ ، ٨٤) .

^{١١٣} / شيخ الإسلام تقي الدين ، أحمد بن تيمية ، الحسبة في الإسلام ، الطبعة الأولى ، دار الأرقم ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م ، ص(١٢) .

المطلب الثاني

حكم الحسبة في الفقه الإسلامي

الحسبة واجبة على الأمة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة .

أما الكتاب : فيقول الله عز وجل : {وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} ^{١١٤} .

قال الإمام الغزالي : ففي هذه الآية بيان الإيجاب ، فإن قوله تعالى : {وَلَتَكُنَّ} أمر ، وظاهر الأمر الإيجاب ، وفيها بيان أن الفلاح منوط به إذ حصر وقال : {أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} ، وفيها بيان أنه فرض كفاية ، لا فرض عين ، وأنه إذا قامت به أمة ، سقط الفرض عن الآخرين ، ولم يقل : كونوا كلكم أمرين بالمعروف ، بل قال : {وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ} ، فإذا نهما قام به واحد أو جماعة سقط الحرج عن الآخرين ، واختص الفرض بالقائمين به المباشرين ، وإن تقاعد عنه الخلق أجمعون ، عم الحرج كافة القادرين عليه لا محالة ^{١١٥} .

قال الإمام النووي : وهو أمر إيجاب بإجماع الأمة ، وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، وهو أيضاً من النصيحة التي هي الدين ، ولم يخالف بذلك إلا بعض الرافضة ، ولا يعتد بخلافهم ، كما قال الإمام أبوالمعالی ، إمام الحرمين ، لا يكثرث بخلافهم في هذا ، فقد أجمع المسلمون عليه قبل أن ينبغ هؤلاء ، ووجوبه بالشرع لا بالعقل خلافاً للمعتزلة ^{١١٦} .

^{١١٤} / سورة آل عمران ، الآية (١٠٤) .

^{١١٥} / الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، مصر ، مطبعة البابي الحلبي ، ١٣٥٨ هـ ، ١٩٣٩ م ، ج(٢) ، ص(٣٠٣) .

^{١١٦} / الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مصدر سابق ، ص(٢٢) .

وقال الإمام القرطبي : ومعناه أن الأمرين يجب أن يكونوا علماء ،
وليس كل الناس علماء ، والمعنى : لتكونوا كلكم كذلك ، فإنه يدل
على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على الكفاية ، وقد
عينهم الله تعالى بقوله : {الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ} ^{١١٧} .
وليس كل الناس مكنوا ^{١١٨} .

وقال الزمخشري : وعن عثمان t ؛ هذا والله ثناء قبل بلاء ، يريد :
أن الله قد أثنى عليهم ، قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا ، وقالوا : فيه
دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين ، لأن الله لم يعط التمكين ونفاذ
الأمر مع هذه السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين ، ولاحظ في ذلك
للأنصار والطلقاء ، وعن الحسن : هم أمة محمد r ، وفيه تأكيد لما
وعده من إظهار أوليائه لإعلاء كلمتهم ^{١١٩} .

وقال ابن الجوزي : قال الزجاج : نصرهم على عدوهم ، والمعروف : لا
إله إلا الله ، والمنكر : الشرك ، قال الأكثرون : وهؤلاء أصحاب رسول
الله r ، وقال القرطبي : هم الولاية ^{١٢٠} .

وأمرهم بتتيم هذه الحالة ، والسبب الأقوى الذي يتمكنون به من
إقامة دينهم بأن يتصدى منهم طائفة يحصل فيها الكفاية "يدعون إلى
الخير" وهو الدين ، أصوله وفروعه وشرائعه ، "ويأمرون بالمعروف"
وهو ما عرف حسنه شرعاً وعقلاً ، "وينهون عن المنكر" وهو ما عرف
قبحه شرعاً وعقلاً ، "أولئك هم المفلحون" المدركون لكل مطلوب ،
الناجون من كل مرهوب ، ويدخل في هذه الطائفة ، أهل العلم والتعليم ،
والمتصدون للخطابة ووعظ الناس عموماً وخصوصاً ، والمحتسبون الذين

^{١١٧} / سورة الحج ، الآية (٤١) .

^{١١٨} / أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، مؤسسة مناهل العرفان ، ج(٤) ، ص(١٦٥) .

^{١١٩} / أبو القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشري ، دار الفكر ، ج(٣) ، ص(١٦) .

^{١٢٠} / الإمام أبي الفرج ، عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي ، زاد المسير في علم التفسير ، الطبعة الأولى ، بيروت ، المكتب
الإسلامي ، ج(٥) ، ص(٤٣٧) .

يقومون بإلزام الناس بإقامة الصلوات وإيتاء الزكاة، والقيام بشرائع الدين ، وينهون عن المنكر^{١١١} .

ويقول ابن تيمية : وإذا كان جماع الدين ، وجميع الولايات ، هو أمر ونهي، فالأمر بعث الله به رسوله ، هو الأمر بالمعروف ، والنهي ؛ الذي بعثه به، هو النهي عن المنكر وهذا نعت النبي المؤمنين ، كما قال تعالى : {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} ^{١١٢} .

وجميع الولايات الإسلامية ، إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، سواء في ذلك ولاية الحرب الكبرى ، مثل نيابة السلطنة ، والصغرى مثل ولاية المالية ، وولاية الحسبة ، لكن من المتولين من يكون بمنزلة الشاهد المؤمن ، والمطلوب منه الصدق مثل الشهود عند الحاكم ، ومثل صاحب الديوان ، الذي وظيفته أن يكتب المستخرج ، والمصرف ، والنقيب ، والعريف الذي وظيفته إخبار ذي الأمر بالأحوال ، ومنهم من يكون بمنزلة الأمين المطاع ، والمطلوب منه العدل ، مثل الأمير والحكم والمحتسب ، وبالصدق في كل الأخبار، والعدل في الإنشاء من الأقوال والأعمال ، تصلح جميع الأحوال ، وهما قرينان^{١١٣} .

وقال الماوردي : وأن فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متعين على المحتسب ، بحكم الولاية ، وأن قيام المحتسب به من حقوقه تصرفه لا يجوز أن يتشاغل عنه وأنه منصوب للاستعداد إليه فيما يجب إنكاره ، وأنه عليه إجابة من استعداه ، وأن عليه أن يبحث عن المنكرات الظاهرة ليحصل على إنكارها ، ويفحص عما ترك من المعروف الظاهر ، ليأمر بإقامته وأن له أن يتخذ على إنكاره أعواناً لأنه عمل هو له منصوب وإليه مندوب ، ليكون له أقهر وعليه أقدر، وأن له أن يرتزق على حسبته

^{١١١} / عبدالرحمن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ، جدة ، دار المدني ، ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٨ م ، ج (١) ، ص (٢٦١) .

^{١١٢} / سورة التوبة ، الآية (٧١) .

^{١١٣} / ابن تيمية ، الحسبة في الإسلام ، مصدر سابق ، ص (١٢ ، ١٣) .

من بيت المال ، وأن اجتهاد رأيه فيما تعلق بالعرف دون الشرع كالمقاعد في الأسواق ، وإخراج الأجنحة فيه ، فيقر وينكر من ذلك ما أداه إليه اجتهاده ، وليس هذا للمتطوع ، فيكون هذا الفرق بين والي الحسبة وبين غيره من المتطوعين ، وإن جاز أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر من هذه الوجوه^{١٢٤} .

وقال ابن العربي المالكي : " {وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ} ^{١٢٥} دليل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض يقوم به المسلم ، وإن لم يكن عدلاً ، خلافاً للمبتدعة الذين يشترطون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر العدالة^{١٢٦} .

وقال الفخر الرازي : أن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل الأمة في قوله : {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} وأنه لا مكلف إلا ويجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إما بيده ، أو بلسانه ، أو بقلبه ويجب على كل أحد دفع الضرر عن النفس . إذا ثبت هذا ، فنقول : معنى هذه الآية كونوا دعاة إلى الخير ، أمرين بالمعروف ، ناهين عن المنكر^{١٢٧} .

وقال الإمام الخازن : وذلك لأن الله عز وجل أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل الأمة ، فيجب على كل مكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إما بيده ، أو بلسانه ، أو بقلبه ، فالمعنى كونوا أمة دعاة إلى الخير ، أمرين بالمعروف ناهين عن المنكر ، ومن قال بهذا القول ، يقول : إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به واحد سقط الفرض عن الباقي ، وقيل : إن "من" في الآية : {وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ} للتبويض ، وذلك لأن في الأمة من لا يقدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعجز وضعف فحسن إدخال لفظ

^{١٢٤} / الماوردي ، الأحكام السلطانية ، مصدر سابق ، ص (٢٧٠) .

^{١٢٥} / سورة آل عمران ، الآية (١٠٤) .

^{١٢٦} / أبو بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي ، أحكام القرآن ، دار الفكر العربي ، ج (١) ، ص (٢٩٢) .

^{١٢٧} / الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي ، التفسير الكبير أو مفتاح الغيب ، الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م ، ج (٧) ، ص (١٤٥) .

"من" في قوله : {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ} ، وقيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنما يختص بالعلماء ولاة الأمر فعلى هذا يكون المعنى : ليكون بعضكم أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر^{١٢٨} .

ووردت في السنة النبوية المطهرة أحاديث كثيرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، استخرج منها الفقهاء عدة أحكام بشأن الحسبة منها : حديث أبي سعيد الخدري t عن النبي r قال : (إياكم والجلوس على الطرقات ، فقالوا: مالنا بد ، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها ، قال : " فإذا أتيتم إلى المجالس فأعطوا الطريق حقها ، قالوا : وما حق الطريق ؟ قال : غض البصر ، وكف الأذى ، ورد السلام ، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر"^{١٢٩} .

دل الحديث على جملة من الموضوعات التي تجب على من جلس في الطرقات ، ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وفي صحيح مسلم : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)^{١٣٠} .

وقد جاء هذا الحديث تحت عنوان : وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب^{١٣١} .

قال الإمام النووي : ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، إذا قام به بعض الناس ، سقط الحرج عن الباقيين ، وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه ، بلا عذر ولا خوف ، ثم إنه قد يتعين كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو ، أولاً يتمكن من إزالته إلا هو كمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه على منكر ، أو تقصير في المعروف .

^{١٢٨} / علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ، تفسير الخازن ، الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان ندار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م ، ج(١) ، ص(٢٨١) .

^{١٢٩} / الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مصدر سابق ، ص (٢١) .

^{١٣٠} / الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مصدر سابق ، ص (٢٢) .

^{١٣١} / الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مصدر سابق ، ص (٢٣) .

قال العلماء رضي الله عنهم : ولا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه ، بل يجب عليه فعله ، فإن الذكرى تنفع المؤمنين^{١٣٢} .

فلا بد إذن من جماعة تدعوا إلى الخير وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر، لأن هذا التكليف على كل قادر من أفراد الأمة الذين يكونون مجموعها.

وخلاصة القول في الحكم الفقهي في الحسبة :

أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به بعض أفراد الأمة سقط التكليف عن الباقيين .

ويكون الأمر بالمعروف فرض عين على الذي تعين عليه إذا لم يوجد من يقوم به .

ويقع الإثم على جميع الأمة إذا قعدت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وانعدم من يقوم به لرفع الحرج والإثم عنها .

^{١٣٢} / الإمام مسلم ، صحيح بشرح النووي ، مصدر سابق ، ج(٢) ، ص(٢٢ ، ٢٣) .

المبحث الثاني

شروط الحسبة والمحتسب

ويحتوي على ستة مطالب :

المطلب الأول :

وجود المنكر ظاهراً دون تجسس .

المطلب الثاني :

التكليف .

المطلب الثالث :

الإيمان .

المطلب الرابع :

القدرة .

المطلب الخامس :

العدالة .

المطلب السادس :

الإذن .

المطلب الأول

وجود المنكر ظاهراً دون تجسس

المعروف : لغة ، ما يستحسن من الأفعال ، والمنكر من الأمر :
خلاف المعروف ، وهو كل ما قبحه الشرع ، وحرمه وكرهه^{١٣٣}.

المعروف : اصطلاحاً ، الترغيب في فعل ما ينبغي ، والمنكر :
اصطلاحاً ، الترغيب في ترك ما لا ينبغي^{١٣٤}.

لابد من وجود المنكر ظاهراً من غير أن يتحصل عليه ويكشف عنه
بالتجسس والإطلاع على عورات الناس وأحوالهم الخاصة ، لأن الإطلاع
على أحوالهم الخاصة منكر في حد ذاته .

يقول ابن تيمية^{١٣٥} : فمعلوم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
وإتمامه بالجهد ، هو من أعظم المعروف ، الذي أمرنا به ، ولهذا قيل :
ليكن أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر غير منكر ، وإذا كان هو من
أعظم الواجبات ، والمستحبات ، لابد أن تكون المصلحة فيها راجحة على
المفسدة ، إذ بهذا بعثت الرسل ونزلت الكتب والله لا يحب الفساد ، بل كل
ما أمر الله به فهو صلاح ، وقد أثنى الله على الصالح والمصلحين ، والذين
آمنوا وعملوا الصالحات وذم المفسدين ، في غير موضع ، فحيث كانت
مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته ، لم تكن مما أمر الله به ، وإن
كان في ترك واجب ، وفعل محرم ، إذ المؤمن عليه أن يتقي الله في عباده
وليس عليه هداهم ، وهذا معنى قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيكُمْ
أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ }^{١٣٦} .

والاهتداء إنما يتم بأداء الواجب ، فإذا قام المسلم بما يجب عليه من
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما قام بغيره من الواجبات لم

^{١٣٣} / ابن منظور ، لسان العرب ، مصدر سابق ، ج ٩ ، ص (١٥٥) ، وج ١٤ ، ص (٢٨٢).

^{١٣٤} / الخازن ، تفسير الخازن ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص (٢٨١).

^{١٣٥} / ابن تيمية ، الحسبة في الإسلام ، مصدر سابق ، ص (٧٣ ، ٧٤) .

^{١٣٦} / سورة المائدة ، الآية (١٠٥) .

يضره ضلال الضلال ، وذلك يكون تارة بالقلب ، وتارة باللسان ، وتارة باليد .

يقول الإمام الغزالي : في شأن وجود المنكر ، وهو كل منكر موجود في الحال ظاهر للمحتسب بغير تجسس ، معلوم كونه منكر بغير اجتهاد ، فهذه أربعة شروط :

الأول : كونه منكر : ونعني أن يكون محذور الوقوع في الشرع ، وعدلنا عن لفظ المعصية إلى هذا ، لأن المنكر أعم من المعصية ، إذ من رأى صبيّاً أو مجنوناً يشرب الخمر فعليه أن يريق خمره ويمنعه ، وكذا إذا رأى مجنوناً يزني بمجنونة أو بهيمة ، فعليه أن يمنعه منه ، وليس ذلك لتفاحش صورة الفعل وظهوره بين الناس ، بل لو صادف هذا المنكر في خلوة لوجب المنع منه .

والثاني : أن يكون موجوداً في الحال ، وهو احتراز أيضاً عن الحسبة على من فرغ من شرب الخمر فإن ذلك ليس للأحاد ، وقد انقضى المنكر واحتراز عما سيوجد في ثاني الحال ، كمن يعلم بقريئة حاله ، أنه عازم على الشرب في ليلته ، فلا حسبة عليه إلا بالوعظ ، وإن أنكر عزمه عليه لم يجز وعظه أيضاً ، فإن فيه إساءة ظن بالمسلم وربما صدق في قوله ، وربما لا يقدم على ما عزم عليه لعائق، وليشبهه للدقيقة التي ذكرناها وهو أن الخلوة بالأجنبية معصية ناجزة ، وكذا الوقوف على باب حمام النساء .

والثالث : أن يكون المنكر ظاهراً للمحتسب دون تجسس : فكل من ستر معصية في داره وأغلق بابه ، لا يجوز أن يتجسس عليه ، وقد نهى الله عز وجل عنه - فاعلم أن من أغلق باب داره ، وتستر بحيطانه فلا يجوز الدخول عليه بغير إذنه لتعرف المعصية ، إلا أن يظهر في الدار ظهوراً يعرفه من هو خارج الدار ، كأصوات المزامير والأوتار إذا ارتفعت بحيث جاوزت حيطان الدار ، فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاهي ،

وكذا إذا ارتفعت أصوات السكارى بالكلمات المألوفة بينهم بحيث يسمعون أهل الشوارع ، فهذا إظهار موجب للحسبة .

والرابع : أن يكون كونه منكراً معلوماً بغير اجتهاد ، فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه ، فليس للحنفي أن ينكر على الشافعي أكله الضب والضبع، ومتروك التسمية ، وليس للشافعي أن ينكر على الحنفي شربه النبيذ الذي ليس يسكر ، وتناوله ميراث ذوي الأرحام وجلوسه في دار أخذها بشفعة الجوار ، إلى غير ذلك من مجاري الاجتهاد^{١٣٧} .

وقال الماوردي : واختلف الفقهاء من أصحاب الشافعي ، هل يجوز له أن يحمل الناس فيما ينكره من الأمور التي اختلف الفقهاء فيها على رأيه و اجتهاده أم لا ؟ على وجهين : أحدهما ، وهو قول أبي سعيد الأصبخري أن له أن يحمل ذلك على رأيه واجتهاده ، فعلى هذا يجب على المحتسب أن يكون عالماً من أهل الاجتهاد في أحكام الدين ليجتهد رأيه فيما اختلف فيه ، والوجه الثاني : ليس له أن يحمل الناس على رأيه واجتهاده ولا يقودهم إلى مذهبه ، لتسوية الاجتهاد الكافة فيما اختلف فيه ، فعلى هذا يجوز أن يكون المحتسب من غير أهل الاجتهاد ، إذا كان عارفاً بالمنكرات المتفق عليها^{١٣٨} .

والترجيح في هذه المسألة ، أنه ليس للضرورة أن يكون من أهل الاجتهاد ، ولا يحمل المجتهد الناس في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على رأيه ، لأن الاجتهاد ليس إجماعاً حتى يشكل إلزاماً باتباعه ، وهذا باب واسع يؤدي إلى نشوء الجدل الذي يفضي إلى الفرقة والشتات الذي هو في حد ذاته من المنكرات .

وقال الزمخشري : فإن قلت : ما شرائط النهي ؟ قلت : أن يعلم الناهي أنما ينكر قبيح ، لأنه إذا لم يعلم ، لم يأمن أن ينكر الحسن ، وأن لا يكون

^{١٣٧} / الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، مصدر سابق ، ج (٢) ، ص (٣٢١) .
^{١٣٨} / الماوردي ، الأحكام السلطانية / مصدر سابق ، ص (٢٧١) .

ما ينهي عنه واقعاً ، لأن الواقع لا يحسن النهي عنه ، وإنما يحسن الذم عليه ، والنهي عن أمثاله ، وأن لا يغلب على ظنه أن المنهي يزيد في منكراته ، وأن لا يغلب على ظنه أن نهيه لا يؤثر لأنه عبث^{١٣٩} .

المطلب الثاني

التكليف

التكليف هو مناط الأمر بالفعل أو الترك وعليه تقوم التكاليف الشرعية في جميع أحكام الشريعة وهو شرط في المحتسب .

يقول الإمام الغزالي : في المحتسب : أن يكون مكلفاً مسلماً قادراً فيخرج منه المجنون والصبي والكافر والعاجز ، ويدخل فيه آحاد الرعايا وإن لم يكونوا مآذونين ، ويدخل فيه الفاسق والرقيق والمرأة ، فلنذكر وجه اشتراط ما اشترطناه ووجه إطرأ ما طرحناه :

أما الشرط الأول : وهو التكليف : فلا يخص وجه اشتراطه ، فإن غير المكلف لا يلزمه أمر وما ذكرناه أردنا به شرط الوجوب ، فأما إمكان الفعل وجوازه فلا يستدعي إلا العقل ، حتى وإن الصبي المراهق للبلوغ المميز ، وإن لم يكن مكلفاً فله إنكار المنكر ، وله أن يريق الخمر ويكسر الملاهي ، وإذا فعل ذلك نال به ثواباً ، ولم يكن لأحد منعه من حيث أنه ليس بمكلف ، فإن هذه قرينة وهو من أهلها كالصلاة والإمامة وسائر القربات ، وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف ، ولذلك أثبتناه للعبد وآحاد الرعية نعم في المنع بالفعل وإبطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها تستفاد بمجرد الإيمان كقتل المشرك وإبطال أسبابه ، وسلب أسلحته ، فإن الصبي له أن يفعل ذلك ، حيث لا يستضر به ، فالمنع من الضعف كالمنع من الكفر^{١٤٠} .

^{١٣٩} / الزمخشري ، الكشاف ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص (١٦) .
^{١٤٠} / الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، مصدر سابق ، ج (٢) ، ص (٣٠٨) .

فإن قلت : فمن يباشر؟ قلت : كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه ، وقد أجمعوا أن من رأى غيره تاركاً للصلاة ، وجب عليه الإنكار ، لأنه معلوم قبحه لكل واحد ، وأما الإنكار الذي بالقتال ، فالإمام وخلفاؤه أولى ، لأنهم أعلم بالسياسة، ومعهم عدتها .

فإن قلت : فمن يأمر وينهي؟ قلت : كل مكلف ، وغير المكلف إذا هم بضرر غيره ، كالصبيان والمجانين ، وينهي الصبيان عن المحرمات ، حتى لا يتعودوها ، كما يؤخذون بالصلاة ليمرنوا عليها ، فإن قلت : هل يجب على مرتكب المنكر أن ينهي عن ما يرتكبه؟ قلت : نعم ، يجب عليه ، لأن ترك ارتكابه وإنكاره واجب عليه ، فتركه أحد الواجبين ، لا يسقط عنه الواجب الآخر، وعن السلف مروا بالخير وإن لم تفعلوا . وعن الحسن أنه سمع مطرف ابن عبدالله يقول : لا أقول ما لا أفعل ، فقال : وأينا يفعل ما يقول؟ ودَّ الشيطان لو ظفر بهذه منكم ، فلا يأمر أحد بمعروف ولا ينهى عن منكر ، فإن قلت : كيف؟ قيل : يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف؟ قلت : الدعاء إلى الخير عام في التكليف من الأفعال والتروك ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص ، فجيئ بالعام ثم عطف عليه الخاص إيذاناً بفعله .

وإنه لا مكلف إلا ويجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إما بيده ، أو بلسانه ، أو بقلبه ، ويجب على كل أحد دفع الضرر عن النفس^{١٤١}

فإذن التكليف يحتمل معنيين :

أولهما : حصول التكليف الشرعي من حيث التحمل والأداء وكمال الأهلية . فمن هذا الجانب ، فلا بد من حصول التكليف الشرعي ليكون بحصوله تحمل تبعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاستمرار في ذلك .

^{١٤١} / الزمخشري ، الكشاف ، مصدر سابق ، ج(٣) ، ص(٤٥٢ ، ٤٥٣) .

وثانيهما : تكليف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقيام بمهمته وذلك عند تعيينه عليه وقيامه به من باب فروض الأعيان.

فيكون تكليفه بهذا كتكليف حضور المكلف نشوب القتال بين المسلمين والكافرين ، فإنه حينئذٍ يجب عليه النفي والقتال في الصف المسلم ، ويحرم عليه الفرار أو القتال في الصف الكافر .

فهكذا هنا ، يكون مكلفاً بالقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وبترجيح الآراء الفقهية فإن التكليف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لمن يقوم به يكون شرطاً في المكلف على سبيل الوجوب ، وفي غيره على سبيل الندب أو الاستحباب .

ويكون مندوباً في الصبي وأمثاله ، إذ إن قيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقوده إلى القيام به مستقبلاً كتعويده على الصلاة .

المطلب الثالث

الإيمان

الإيمان شرط فيمن يقوم بالاحتساب ، وذلك بنص القرآن الكريم {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ} ^{١٤٢} ، أي من المؤمنين .

يقول الإمام الغزالي : وأما الشرط الثاني "أي من شروط المحتسب" الإيمان، فلا يخفى وجه اشتراطه ، لأن هذا نصرة للدين ، فكيف يكون من أهله من هو جاحد لأصل الدين وعدو له ^{١٤٣} .

ويقول الله عز وجل : {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} ^{١٤٤} .

يقول الإمام الفخر الرازي : اعلم أنه تعالى لما بالغ في وصف المنافقين بالأعمال الفاسدة والأفعال الخبيثة ، ثم ذكر عقوبة أنواع الوعيد في حقهم في الدنيا والآخرة ، ذكر بعده في هذه الآية كون المؤمنين موصوفون بصفات الخير وأعمال البر ، على ضد صفات المنافقين ، ثم ذكر بعده في هذه الآية أنواع ما أعد الله لهم من الثواب الدائم والنعيم المقيم .

وأعلم أنه تعالى وصف المؤمنين بكون بعضهم أولياء بعض ، ذكر بعده ما يجري مجرى التفسير والشرح له ، فقال : {يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} ، فنذكر في هذه الآية الأمور الخمسة التي بها يتميز المؤمن من المنافق ، فالمنافق على ما وصفه الله تعالى في الآية المستقدمة يأمر بالمنكر ، وينهى عن المعروف ، والمؤمن بالضد منه ، والمنافق لا يقوم للصلاة إلا مع نوع من الكسل ، والمؤمن بالضد منه ، والمنافق يبخل بالزكاة ، وسائر الواجبات كما قال : {وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ} ^{١٤٥} ، والمؤمنون

^{١٤٢} / سورة آل عمران ، الآية (١٠٤) .

^{١٤٣} / الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، مصدر سابق ، ج(٢) ، ص(٣٠٨) .

^{١٤٤} / سورة التوبة ، الآية (٧١) .

^{١٤٥} / سورة التوبة ، الآية (٦٧) .

يؤتون الزكاة ، والمنافق إذا أمره الله ورسوله بالمسارعة إلى الجهاد فإنه يتخلف بنفسه ويثبط كما وصفه الله بذلك ، والمؤمن بالضد منه^{١٤٦} .

فلا يتصور أن يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير مؤمن ، ذلك لأن غير المؤمن ليس من الداخلين في الدعوة إلى التكليف الشرعية أصلاً .

المطلب الرابع

القدرة

القدرة شرط في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويقصد بالقدرة ، التمكن من إزالة المنكر بالأمر بالمعروف ، وذلك عن طريق اليد ، أو اللسان ، أو القلب ، لحديث النبي ﷺ : " من رأى منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان"^{١٤٧} .

قال ابن القيم : وهذا واجب على كل قادر ، وهو فرض كفاية ، ويصير فرض عين على القادر ، الذي لم يقم به غيره ، من ذوي الولاية والسلطان ، فعليهم من الوجوب ما ليس على غيرهم ، فإن مناط الوجوب هو القدرة ، فيجب على القادر ما لا يجب على العاجز ، قال تعالى : {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ}^{١٤٨} . وجميع الولايات الإسلامية مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^{١٤٩} .

وقال الأستاذ الإمام محمد عبده : ويشترط بعضهم للوجوب شرطاً آخر ، وهو الأمن على النفس . وكان ينبغي أن يقولوا : على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة ، حتى لا ينفر الناس ، أو لا يحملهم على إيذائه . فإن الله يقول : إنه لا نجاة للناس إلا بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، ولم يشترط في ذلك

^{١٤٦} / الفخر الرازي ، التفسير الكبير ، مصدر سابق ، ج(١٦) ، ص(١٠٤ ، ١٠٥) .

^{١٤٧} / الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مصدر سابق ، ج(٢) ، ص(٢١) .

^{١٤٨} / سورة التغابن ، الآية (١٦) .

^{١٤٩} / ابن القيم ، الطرق الحكيمة ، مصدر سابق ، ص(٣٤٥) .

شرطاً ، أي فيجب أن نأخذ النصوص على إطلاقها ، وأن نقوم بها بقدر الاستطاعة أو الطاقة ، ونتقي مع ذلك ما يحف بها من المهالك .

قال : أقول : وقد جرت سنة الأنبياء والمرسلين والسلف الصالحين على الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن كان محضوفاً بالمخاوف والمكاره ، وكم قتل في سبيل الله منهم من نبي وصديق ، وكانوا أفضل الشهداء ، وفي حديث جابر : " سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب ، ثم رجل قام إلى إمام فأمره ونهاه في ذات الله تعالى فقتله على ذلك " الحاكم .

وقد ورد من تصدي علماء السلف لنصيحة الملوك والأمراء الظالمين ولإيذاء هؤلاء لهم وسفكهم دماء بعضهم ما يرد شرط أولئك المشترطين للأمن عليهم ويضرب به وجوههم^{١٥٠} .

هذا واعلم أن الناس يتفاوتون في القدرة تفاوتاً كثيراً ، فالسلطان أقدر من غيره ، على القيام بذلك ، كما أن المتطوع أقل اقتداراً في الغالب من المنصوب للاحتساب . وهكذا كلما كان الإنسان أقدر ، كلما كان تعين ذلك عليه أكد ، فإذا كان يعجز عن القيام به بيده تعين اللسان ، فإن عجز عنه تعين القلب ، وقد بينا أن الإنكار بالقلب لا يسقط عنه بحال من الأحوال ، كما بينا أن العجز يكون حسيماً ويكون ملحقاً به لخوف لحوق الأذى^{١٥١} .

^{١٥٠} / محمد رشيد رضا ، تفسر المنار ، مصدر سابق ، ج(٤) ، ص(٣١ ، ٣٢) .
^{١٥١} / خالد بن عثمان السبت ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص(١٨٠) .

المطلب الخامس

العدالة

يشترط بعض الفقهاء العدالة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فلا يصح أن يكون فاسقاً ، ويحتجون بقوله تعالى : { أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ }^{١٥٢} وبقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ }^{١٥٣} .
وعندهم أن هداية الغير فرع للاهتداء ، وتقويم الغير فرع للاستقامة ، وأن العاجز عن إصلاح نفسه ، اشد عجزاً في إصلاح غيره .

ولكن الرأي الراجح لدى الفقهاء : أن للفاسق أن يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، وأنه لا يشترط في الأمر أو النهي أن يكون معصوماً عن المعاصي كلها ، لأن في اشتراط هذا الشرط سداً لباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولهذا قال سعيد بن جبير : " إن لم يأمر بالمعروف ، ولم ينه عن المنكر إلا من لا يكون فيه شيء ، لم يأمر أحد بشيء " .

والأصل أن الفاسق ، يفسق بإتباعه المعاصي ، أي بإتيانه المحرمات ، وترك الواجبات ، فإذا حرم على الفاسق أن يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، كان معنى ذلك أن ترك الواجب ، يسقط غيره من الواجبات ، وأن الواجب يصير حراماً ، بارتكاب حرام آخر .

وليس في الآيتين اللتين استدل بهما الفريق الأول ما يمنع الفاسق من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإنما جاء بالنهي على من يأمر بالمعروف ولا يأتيه ، وينهى عن المنكر ويأتيه ، والمقصود منهما أن يجعل الإنسان فعلاً مصداقاً لقوله ، ليكون لقوله أثره ونتيجته المرجوة^{١٥٤} .

^{١٥٢} / سورة البقرة ، الآية (٤٤) .

^{١٥٣} / سورة الصف ، الآيتان (٢ ، ٣) .

^{١٥٤} / عبدالقادر عودة ، التشريع الجنائي الإسلامي ، مصدر سابق ، ج(١) ، ص(٤٩٩ - ٥٠٠) .

ولو أصبح هذا شرطاً لتعطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،
وحقيقة الأمر بالمعروف أنه ينعكس على المأمورين بفعل الخير وحقيقة
النهي عن المنكر أنه ينعكس على المنهيين بترك الشر . ففساد الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر على نفسه وصلاحه للمجتمع الذي هو
مستفيد على الأقل في ظاهر الأمر والنهي .

قال الإمام الغزالي : فمن ليس بصالح في نفسه ، فكيف يصلح غيره
، ومتى يستقيم الظل والعود أعوج ، وكل ما ذكره خيالات ، وإنما الحق
أن للفسق أن يحتسب ، وبرهانه : هو أن تقول هل يشترط في الاحتساب
أن يكون متعاطيه معصوماً عن المعاصي كلها ، فإن شرط ذلك فهو خرق
للإجماع ، ثم حسم لباب الاحتساب إذ لا عصمة للصحابة فضلاً عن دونهم
، والأنبياء عليهم السلام قد اختلف في عصمتهم عن الخطايا ، والقرآن
العزیز دال على نسبة آدم عليه السلام إلى المعصية ، وكذا جماعة من
الأنبياء^{١٥٥} .

وقال الإمام القرطبي : وليس من شرط الناهي أن يكون عدلاً عند
أهل السنة ، خلافاً للمبتدعة ، حيث تقول : لا يغيره إلا عدل ، وهذا ساقط
، فإن العدالة محصورة في القليل من الخلق ، والأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر عام في جميع الناس ، فإن تشبثوا بقوله تعالى : { أَتَأْمُرُونَ
النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ }^{١٥٦} وقوله تعالى : { كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ
تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ }^{١٥٧} ، ونحوه .

قيل لهم : إنما وقع الذم ههنا على ارتكاب ما نهى عنه ، لا على
النهي عن المنكر ، ولا شك في أن النهي عنه ممن يأتيه ، أقبح ممن لا
يأتيه ، ولذلك يدور في جهنم كما يدور الحمار بالرحى ، واعلم وفقك
الله تعالى ، أن التوبيخ في الآية بسبب ترك فعل البر ، لا بسبب الأمر بالبر

^{١٥٥} / الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، مصدر سابق ، ج(٢) ، ص(٣٠٩) .

^{١٥٦} / سورة البقرة ، الآية ، (٤٤) .

^{١٥٧} / سورة الصف ، الآية (٣) .

، ولهذا ذم الله تعالى في كتابه قوماً كانوا يأمرون بأعمال البر ، ولا يعملون بها ، وبخهم به توبيخاً يتلى على طول الدهر إلى يوم القيامة^{١٥٨} .

ويرى الباحث أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يجدر به أن يكون عاملاً بما يأمر به ، وتاركاً لما ينهى عنه.

^{١٥٨} / القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، مصدر سابق ، ج(٤) ، ص(٤٨) ، وج(١) ، ص(٣٦٦) .

المطلب السادس

الإذن

الإذن من الإمام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يكون بتكليف الإمام ، أو ولي الأمر ، للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. أما غير المكلف من قبل ولي الأمر فإنه واجب عليه القيام بهذا الواجب في حال عدم وجود من يقوم به وتصبح الحاجة إليه بمثابة التكليف أو الواجب العيني .

مثاله : الجيش الذي يسيره أمير المؤمنين كل عام ، وذلك في حال أمان الثغور ، وعدم وجود عدو يتهدد ، أو يتوقع أن يتهدد ، ففي هذه الحالة ، فإن من يريد أن يغزو في هذا الجيش ، عليه أن يستأذن والديه ، لأن الجهاد وقتئذٍ فرض كفاية .

فهكذا هنا فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، في حال وجود من يقوم به ، فإن العمل به يكون فرض كفاية ، يحتاج من يريد أن يتعبد به أن يستأذن الإمام ، وهذا في الجوانب التي تتعلق بالتغيير باليد ، أما في الجوانب التي تتعلق بالتغيير باللسان وبالقلب ، فإن هذا لا يحتاج إلى إذن ، لأنه واجب كل مسلم في تغيير المنكر .

يقول الإمام الغزالي : كونه مأذوناً من جهة الإمام والوالي ، فقد شرط قوم هذا الشرط ، ولم يثبت للأحاد من الرعية الحسبة ، وهذا الاشتراط فاسد ، فإن الآيات والأخبار التي أوردناها ، تدل على أن كل من رأى منكراً فسكت عليه عصي ، إذ يجب نهيه أينما رآه ، وكيفما رآه على العموم ، فالتخصيص بشرط التفويض من الإمام تحكّم لا أصل له ، والعجب أن الروافض زادوا على هذا فقالوا : لا يجوز الأمر بالمعروف ما لم يخرج الإمام المعصوم ، وهو الإمام الحق عندهم ، وهؤلاء أخس رتبة من أن يكلموا ، بل جوابهم أن يقال - لهم إذا جاءوا إلى القضاء طالبين لحقوقهم في دماءهم وأموالهم - إن نصرتكم أمر بالمعروف ، واستخراج

حقوقكم من أيدي من ظلمكم ، نهي عن المنكر ، وطلبكم لحقكم من جملة المعروف ، وما هذا زمان النهي عن الظلم وطلب الحقوق ، لأن الإمام الحق بعد لم يخرج .

فإن قيل في الأمر بالمعروف إثبات سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه ، وكذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقاً ، فينبغي أن لا يثبت لأحد الرعية إلا بتفويض من ولي الأمر ، فنقول : أما الكافر فممنوع ، لما فيه من السلطنة ، وعز الاحتكام ، والكافر ذليل ، فلا يستحق أن ينال عز التحكم على المسلم ، وأما آحاد المسلمين ، فيستحقون هذا العز بالدين وبالمعرفة ، وما فيه من عز السلطنة والاحتكام لا يحتاج إلى تفويض كعز التعليم والتعريف ، إذ لا خلاف في أن تعريف التحريم والإيجاب لمن هو جاهل ، ومقدم على المنكر بجهله ، إلى إذن الوالي ، وفيه عز الإرشاد ، وعلى المعرف ذلك التجهيل ، وذلك يكفي فيه مجرد الدين وكذلك النهي^{١٥٩} .

والترجيح : أن المسائل التي تحتاج إلى ترتيب عقوبات كتدابير لمنعها ، مثل شرب الخمر ، والزنا ، وأكل الربا ، والسرقه ، وغير ذلك من الجرائم التي تحتاج إلى عقوبات بدنية أو مالية منصوص عليها ، أو تعزيرية ، فإنه لا يجوز لأحد القيام بها إلا أن يكون مفوضاً أو مكلفاً من قبل السلطان ، وهذا يجعل ولاية القضاء من لولايات المشتركة بين تنفيذ الأحكام الشرعية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن طريق التغيير باليد .

أما المسائل التي تقتصر على الأمر والنهي باللسان وبالقلب ، فإنها لا تحتاج إلى إذن ، إذ واجب كل مسلم قادر على واحدة منهما ، أن يؤدي ما عليه ، ولا يتعامل سلباً مع المنكر ، بل أقل ما يفعله ، أن يقوم بالإنكار باللسان ، أو بالقلب .

^{١٥٩} / الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، مصدر سابق ، ج(٢) ص(٣١٩) .

أما إذا رأى ولي الأمر أن يقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
أناس بصفات معينة ، وقام بنصبهم في كل بلد ، وحصلت بهم الكفاية ،
ورفع بهم الحرج، سقط التكليف عن الآخرين .

ولا حرج عندئذ من ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في
أهل الولاية الخاصة ، كالزوجة ، والأولاد ، وغيرهم ممن يقعون تحت
دائرة الولاية الخاصة .

المبحث الثالث

وسائل دفع المنكر

المطلب الأول :

دفع المنكر (بالتعريف ، والوعظ ، والنصح ، والتعنيف ،
والتهديد).

المطلب الثاني :

دفع المنكر باليد (بالضرب والقتل والاستعانة بالغير) .

المطلب الثالث :

دفع المنكر بالقلب "بالإنكار وعدم الرضا" .

المطلب الأول

دفع المنكرات باللسان

"بالتعريف ، والوعظ ، والنصح والتعنيف والتهديد"

إن تغيير المنكر أو دفعه يكون بعدة وسائل ، تبدأ هذه الوسائل باللسان ، حيث جعله الله عز وجل وسيلة للمخاطبة والدعوة إلى دين الله عز وجل ، وفي الحديث : "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"^{١٦٠} .

قال الإمام النووي : "وأما قوله فليغيره" فهو أمر إيجاب بإجماع الأمة وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والكتاب والسنة وإجماع الأمة ، وهو أيضاً من النصيحة التي هي الدين"^{١٦١} .

وقال ابن العربي المالكي : وفي الحديث هذا من غريب الفقه أن النبي ﷺ ، بدأ في البيان بالأخير في الفعل ، وهو تغيير المنكر باليد ، وإنما بدأ باللسان والبيان ، فإن لم يكن فباليد .

يعني أن يحول بين المنكر وبين متعاطيه ينزعه عنه ، ويجذبه منه ، فإن لم يقدر إلا بمقاتلة وسلاح فليتركه ، وذلك إنما هو إلى السلطان لأن شهر السلاح بين الناس قد يكون مخرجاً إلى الفتنة وآيلاً على فساد أكثر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إلا أن يقوى المنكر مثل أن يرى عدواً يقاتل عدواً فينزعه عنه ، ولا يستطيع إلا أن يدفعه ، ويتحقق أنه لو تركه قتله ، وهو قادر على نزعها ، ولا يسلمه بحال وليخرج السلاح ، ويعني بقوله أضعف الإيمان : أنه ليس وراءه في التغيير درجة"^{١٦٢} .

فالتغيير باللسان يكون بالتعريف بالمنكر وذلك عن طريق الوعظ والإرشاد والنصح ، فإن لم يكف فاعل المنكر فيعنف ويهدد . يقول الإمام

^{١٦٠} / الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مصدر سابق ، ج(٢) ، ص(٢١) .

^{١٦١} / المصدر السابق ن ص(٢١) .

^{١٦٢} / ابن العربي ، أحكام القرآن ، مصدر سابق ، ج(١) ، ص(٢٩٣) .

الغزالي : في التعريف بالمنكر ،فان المنكر قد يقدم عليه المقدم بجهالة ،
وإذا عرف أنه منكر تركه كالسوادي يصلي ولا يحسن الركوع والسجود
فيعلم أن ذلك لجهالة بأن هذه ليست بصلاة ، ولو رضي بأن لا يكون
مصلياً لترك أصل الصلاة ، فيجب تعريفه باللفظ من غير عنف وذلك
لأن في ضمن التعريف نسبة إلى الجهل والحمق والتجهيل إيذاء وقلما
يرضى الإنسان بأن ينسب إلى الجهل بالأمر لا سيما بالشرع.

والنهي بالوعظ والنصح والتخويف بالله تعالى ، وذلك فيمن يقدم
على الأمر وهو عالم بكونه منكراً أو فيمن أصر عليه بعد أن عرف كونه
منكراً . والسب والتعنيف ، بالقول الغليظ الخشن وذلك يعدل إليه عند
العجز . عن المنع باللفظ وظهور مبادئ الإصرار والاستهزاء بالوعظ
والنصح^{١٦٣} . وذلك مثل قول إبراهيم عليه السلام : {أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} ^{١٦٤} .

وقال العلامة شمس الحق : أي فليغيره بالقول وتلاوة ما أنزل الله
من الوعيد ، عليه وذكر الوعظ والتخويف^{١٦٥} .

وقيل الدعوة إلى فعل الخير يندرج تحتها نوعان ، أحدهما :
الترغيب في فعل ما ينبغي وهو الأمر بالمعروف .

والثاني : الترغيب في ترك ما ينبغي وهو النهي عن المنكر ، فذكر
الحسن أولاً وهو الخير ، ثم أتبعه بنوعيه ، مبالغة في البيان ، والمعروف
اسم لكل فعل يعرف بالعقل والشرع حسنه والمنكر ضد ذلك ، وهو ما
عرف بالعقل والشرع قبحه^{١٦٦} .

^{١٦٣} / الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، مصدر سابق ، ج(٢) ، ص(٣٢٤ - ٣٢٦) .
^{١٦٤} / سورة الأنبياء ، الآية (٦٧) .
^{١٦٥} / العلامة شمس الحق أبادي ، عون المعبود ، مصدر سابق ، ج(١٢) ، ص(٣٣٠) .
^{١٦٦} / أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار الحديث ، ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م ،
ج(١) ، ص(٤٥٢) .

وأن على المحتسب أن يبحث عن المنكرات الظاهرة ليصل إلى إنكارها ، ويفحص عما ترك من المعروف الظاهر ، ليأمر بإقامته^{١٦٧} .

ويرى الباحث أن هذا يتمشى مع النصوص الدالة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

^{١٦٧} / الماوردي ، الأحكام السلطانية ، مصدر سابق ، ص(٢٧٨) .

المطلب الثاني

دفع المنكر باليد : "بالضرب والقتل والاستعانة بالغير"

فإن تغيير المنكر باليد من شأن السلطان أو من يوكله للقيام بتغيير المنكر باليد كالشرطة ووالي الحسبة .

وفي الحديث : "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده"^{١٦٨} . فلا يكون تغيير المنكر باليد إلا للقادر عليه .

قال الزمخشري : وأما الإنكار الذي بالقتال ، فالإمام وخلفاؤه أولى لأنهم أعلم بالسياسة ومعهم عدتها"^{١٦٩} .

أي بأن يمنعه بالفعل ، بأن يكسر الآلات ويريق الخمر ، ويرد المغصوب إلى مالكه"^{١٧٠} .

وعلى المحتسب أن يتخذ أعواناً على إنكاره لأنه عمل هو له منصوب وإليه مندوب ليكون له أقهر وعليه أقدر - وله أن يعزر في المنكرات الظاهرة لا يتجاوز إلى الحدود"^{١٧١} .

ومن تغيير المنكر باليد ، إحراق المحتسب متاع من يبيع في الشوارع إذا علم فساداً في ذلك ورأى المصلحة في إحراقه فلا يضمن ، وإحراق بيت الخمار المشهور بذلك لا يضمن إذا علم أنه لا ينزجر بدونه .

وإذا اطلع المحتسب على الخمر التي هي لمسلم وأراقها لا ضمان عليه في إراقها ، أما الإراقة فلأنه نهى عن المنكر ، وأما عدم الضمان فلأنه محسن { مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ }^{١٧٢} ، وإن أراق خمر ذمي فإن

^{١٦٨} / الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مرجع سابق ، ج(٢) ، ص(٢١) .
^{١٦٩} / الزمخشري ، الكشاف ، مصدر سابق ، ج(١) ، ص(٤٥٢ ، ٤٥٣) .
^{١٧٠} / شمس الحق أبادي ، عون المعبود شرح سنن أبي داود ، مصدر سابق ، ج(١١) ، ص(٣٣٠) .
^{١٧١} / الماوردي ، الأحكام السلطانية ، مصدر سابق ، ص(٢٧٠) .
^{١٧٢} / سورة التوبة ، الآية (٩١) .

كان غير المحتسب فهو على وجهين : إن أراقها بعدما اشتراها (أو قبل ما اشتراها ، فإن أراق مسلم خمر ذمي بعدما اشتراها) فلا ضمان عليه .

وان لم يكن المريق محتسباً لأنه لما باعها منه فقط سلطه علي إتلافه^{١٧٣} .

ويقول ابن تيمية : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتم إلا بالعقوبة الشرعية فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقران ، وإقامة الحدود واجبة على ولاة الأمور ، وذلك يحصل بالعقوبة على ترك الواجبات ، وفعل المحرمات ، فمنها عقوبات مقدرة ، مثل جلد المفتري ثمانين وقطع السارق ، ومنها عقوبات غير مقدرة قد تسمى "التعزير" ، وتختلف مقاديرها وصفاتها بحسب كبر الذنوب وصغرها ، وبحسب حال المذنب ، وبحسب حال الذنب في قلته وكثرته .

والتعزير أجناس : فمنه ما يكون بالتوبيخ والزجر بالكلام ، ومنه ما يكون بالحبس ، ومنه ما يكون بالنفي من الوطن ، ومنه ما يكون بالضرب ، فإن كان ذلك لترك واجب مثل الضرب على ترك الصلاة ، أو ترك أداء الحقوق الواجبة ، مثل ترك وفاء الدين مع القدرة عليه ، أو على ترك رد المغصوب ، أو أداء الأمانة إلى أهلها ، فانه يضرب مرة بعد مرة حتى يؤدي الواجب ، ويفرق الضرب عليه يوماً بعد يوم وان كان الضرب على ذنب ماض جزاء بما كسب نكالاً من الله له ولغيره ، فهذا يفعل منه بقدر الحاجة فقط وليس لأقله حد .

ومن لم يندفع فساده إلا بالقتل قتل ، مثل : المضرق لجماعة المسلمين والداعي إلى البدع في الدين^{١٧٤} . قال تعالى : {مَنْ أَجَلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ

^{١٧٣} / السنامي ، نصاب الاحتساب ، مصدر سابق ، ص (٢٤٤ ، ٢٩٩) .
^{١٧٤} / ابن تيمية ، الحسبة في الإسلام ، مصدر سابق ، ص (٥٠ - ٥٢) .

فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا^{١٧٥} ، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : (إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما)^{١٧٦} .

وليست هذه القاعدة المختصرة موضع ذلك ، فإن المحتسب ليس له القتل والقطع .

والتعزير يمكن أن يكون بالعقوبات المالية ، والنفي ، والحبس وغيره .

وللمحتسب أن يخرج المخنثين من الرجال ، والمترجلات من النساء من البيوت ، ذكر في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال ، وفي رواية : "المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء" وقال : أخرجوهم من بيوتكم" ، قال : فأخرج النبي ﷺ فلاناً ، وأخرج عمر فلاناً^{١٧٧} .

وقال الإمام الغزالي : التغيير باليد وذلك ككسر الملاهي ، وإراقة الخمر ، وخلع الحرير من رأسه وعن بدنه ومنعه من الجلوس عليه ، ودفعه عن الجلوس على مال الغير ، وإخراجه من الدار المغصوبة بالجر برجله ، وإخراجه من المسجد إذا كان جالساً وهو جنب ، وما يجري مجراه ، ويتصور ذلك في بعض المعاصي دون بعض ، فأما معاصي اللسان والقلب ، فلا يقدر على مباشرة تغييرها ، وكذلك كل معصية تقتصر على نفس العاصي وجوارحه الباطنة ، وفي هذه الدرجة أدبان : أحدهما : أن لا يباشر بيده التغيير ما لم يعجز عن تكليف المحتسب عليه ، فإذا أمكنه أن يكلفه المشي في الخروج عن الأرض المغصوبة والمسجد ، فلا ينبغي أن يباشر ذلك بنفسه ، فإن في الوقوف على حد الكسر نوع عسر ،

^{١٧٥} / سورة المائدة ، الآية (٣٢) .

^{١٧٦} / الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مصدر سابق ، ج(٦) ، ص(٢١) .

^{١٧٧} / أبو عبدالله إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، بيروت ، دار الجيل ، ج(٧) ، ص(٢٠٥) .

فإذا لم يتعاط بنفسه ذلك كفى الاجتهاد فيه وتلاه من حجر عليه في فعله .

والثاني : أن يقتصر في طريق التغيير على القدر المحتاج إليه ، وهو أن لا يأخذ بلحيته في الإخراج ولا برجله ، إذا قدر على جره بيده ، فإن زيادة الأذى فيه مستغني عنه ، وأن لا يمزق ثوب الحرير ، بل يحل دروزه^{١٧٨} فقط ، ولا يحرق الملاهي والصليب الذي أظهره النصاري ، بل يبطل صلاحيتها للفساد بالكسر ، وحد الكسر أن يصير إلى حالة تحتاج في استئناف إصلاحه إلى نصب يساوي نصب الاستئناف من الخشن ابتداءً ، وفي إراقة الخمر يتوقى كسر الأواني إن وجد إليه سبيلاً ، فإن لم يقدر عليها إلا بأن يرمي ظروفها بحجر فله ذلك وسقطت قيمة الظروف وتقومها بسبب الخمر ، إذ صار حائلاً بينه وبين الوصول إلى إراقة الخمر ، ولو ستر بيده لكنا نقصد بدنه بالجرح والضرب لتوصل إلى إراقة الخمر ، فإذن لا تزيد حرمة ملكه في الظروف على حرمة نفسه ، ولو كان الخمر قوارير ضيقة الرؤوس ، ولو اشتغل بإراقتها طال الزمان ، وأدركه الفساق ، ومنعوه فله كسرهما ، فهذا عذر ، وإن كان لا يحذر ظفر الفساق به ومنعهم ، ولكن كان يضيع في زمانه ، وتتعطل عليه أشغاله ، فله أن يكسرها ، فليس عليه أن يضيع منفعة بدنه وغرضه من أشغاله لأجل ظروف الخمر ، وحيث كانت الإراقة متيسرة ، بلا كسر فكسره لزمه الضمان^{١٧٩} .

وقال الماوردي : وأما السكران إذا تظاهر بسكره ، وسخف بهجره أدبه على السكر والهجر تعزيراً لا حداً لقلّة مراقبته ، وظهور سخفه^{١٨٠} .

وقال الإمام النووي : فحق المغير في التغيير ، أن يغيره بكل وجه أمكنه زواله قولاً كان أو فعلاً ، فيكسر آلات الباطل ، ويريق المسكر

^{١٧٨} / الدرر : واحدة دروز الثوب ونحوه ، أي عقدته ، وهو فارسي معرب ، ابن منظور ، لسان العرب ، مصدر سابق ، ج ٤ ، ص(٣٢٨).

^{١٧٩} / الإمام الغزالي ، إحياء علوم الدين ، مصدر سابق ، ج(٢) ، ص(٣٢٦) .

^{١٨٠} / الماوردي ، الأحكام السلطانية ، مصدر سابق ، ص(٢٨٢) .

بنفسه ، أو يأمر من يفعله وينزع المغصوب ، ويرده إلى أصحابه بنفسه ، أو بأمره إذا أمكنة ، ويرفق في التغيير جهده بالجاهل ، وبذي العزة الظالم المخوف شره ، إذ ذلك أدعى للقبول ، كما يستحب أن يكون متولي ذلك من أهل الصلاح والفضل لهذا المعنى ، ويغلظ على المتماذي في غيه ، والمسرف في بطالته ، إذا أمن أن يؤثر إغلاظه منكرًا أشد مما غيره لكون جانبه محمياً عن سطوة الظالم ، فإن غلب على ظنه أن تغييره بيده يسبب منكرًا أشد منه من قتله أو قتل غيره كف يده واقتصر على القول باللسان والوعظ والتخويف^{١٨١} .

ويرى الباحث أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يقوم به على حسب حاله وقدرته.

^{١٨١} / أنظر الإمام مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي ، مصدر سابق ، ج(٢) ، ص (٢٥) .

المطلب الثالث

دفع المنكر بالقلب "بالإنكار وعدم الرضا"

دفع المنكر بالقلب ، يعني البراءة من الإثم على المستوى الفردي دون أن يكون لذلك أثر على مستوى تغيير المنكر في الواقع ، فكأنه يريد أن لا يرضى من يرى المنكر على فعله في حال عجزه عن تغيير بيده أو لسانه .

ويكون الإنكار بالقلب في حال الخوف من أن يسبب التغيير باليد أو باللسان ضرراً أو منكراً أشد .

قال الإمام النووي : فقوله " فبقلبه " معناها فليكره بقلبه ، وليس ذلك بإزالة وتغيير منه للمنكر ولكنه هو الذي في وسعه ، وقوله " : " وذلك أضعف الإيمان " معناه والله أعلم ، أقله ثمرة - أو يقتصر على تغييره بقلبه - هذا هو فقه المسألة ، وجوب العمل فيها عند العلماء المحققين ، خلافاً لمن رأى الإنكار بالتصريح بكل حال ، وإن قتل ونيل منه كل أذى^{١٨٢} .

وقال ابن العربي : " فبقلبه " ، أنه ليس وراءه في التغيير درجة^{١٨٣} .

ومن ثم فإن الإنكار بالقلب ليس له أثر في تغيير المنكر الواقع لأنه لا ينعكس عليه منع بقول أو فعل ، وإنما هو مسألة تعبدية مطلوبة لبراءة من رأى المنكر أو حضره أن يتعامل معه بهذه الدرجة حين العجز عنه بكل الوسائل .

ويحتمل إنكار المنكر بالقلب أن يكون للجوانب التعبدية أثر في الواقع في تغيير المنكر ، وليس من أنكر بقلبه كمن لم ينكر أصلاً .

^{١٨٢} / أنظر : الإمام مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي ، مصدر سابق ، ج(٢) ، ص(٢٥) .
^{١٨٣} / ابن العربي ، أحكام القرآن ، مصدر سابق ، ج(١) ، ص(٢٩٣) .

وقد دلت السنة النبوية على براءة من أنكر بقلبه كأدنى أنواع الإنكار ، وشهدت لمن أنكر بقلبه كذلك بالإيمان ، دل على ذلك الحديث : (ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن)^{١٨٤} .

فالدفع بالقلب لا يعدو أن يكون مسألة تعبدية ، ولكن على الرغم من ذلك دلت السنة على حصول البراءة لمن أنكر بقلبه ، وهذا يعني فعل شيء حتى وإن كان ضعيفاً أو قليلاً بدلاً من عدم فعله .

والله أسأل التوفيق والسداد والقبول

خاتمة

توصل الباحث من خلال هذا البحث ، إلى النتائج والتوصيات الآتية:

أولاً : النتائج ، أن الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، هو التكليف الإلهي للمكلفين ، للقيام بواجبه ، بشتى الوسائل التي تؤدي إلى فعل المعروف ، وترك المنكر .

وعلى أساس القيام بهذا الواجب ، أو عدم القيام به ، تصلح الأمم أو تفسد . تصلح بقيام المصلحين والمرشدين الذين يوجهون الأمة ويرشدونها إلى فعل الخير، وينهونها ويمنعونها من فعل الشر .

وتفسد عندما يترك القيم بهذا الواجب ، ويفسح المجال لدعاة الشر للأمر بالمنكر ، والنهي عن المعروف ، كما كان شأن بني إسرائيل .

ثانياً : التوصيات ، وتوصل الباحث إلى التوصيات الآتية: أن يقوم أصحاب الشأن والشوكة بتنصيب من يقوم بهذا الواجب ، وينتدبون له من هو أهل له ، وقد أعد له عدته ، وتأهب له أهفته ، ويمكن القائمون به من تملك الوسائل المساعدة للقيام به ، تبعاً لتطور الوسائل ، وتجدد الأحوال

^{١٨٤} / الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، مصدر سابق ، ج(٢) ، ص(٢٧) .

التي تستجد من حين إلى آخر ، وعلى أساس تعدد الوسائل تتطور وسائل المصلحين والمرشدين في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، في شتى المجالات ، وتسخر الوسائل والإمكانات لحصول المقصد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المصادر

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- إسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- ٣- أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج ، معاني القرآن وإعرابه ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار الحديث ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .
- ٤- أبو الطيب حمد شمس الحق العظيم أبادي ، عون المعبود شرح سنن أبي داود ، الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م .
- ٥- أبو القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشري الكشاف ، دار الفكر .
- ٦- أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ، أحكام القرآن ، دار الفكر العربي .
- ٧- أبو عبد الله إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري ، بيروت ، دار الجيل .
- ٨- أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ، القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، مؤسسة مناهل العرفان .
- ٩- الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري ، صحيح مسلم بشرح النووي ، دار الفكر .
- ١٠- الإمام أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، الطبعة الثانية ، بيروت ، لبنان ، دار إحياء التراث العربي ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م .
- ١١- الإمام أبو الفرج ، عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي ، زاد المسير في علم التفسير ، الطبعة الأولى ، بيروت ، المكتب الإسلامي .

- ١٢- الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، مصر ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٥٨م - ١٩٣٩م .
- ١٣- الإمام فخرالدين محمد بن عمر بن الحسين بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي ، التفسير الكبير أو مفتاح الغيب ، الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان ، دار الكتب العلمية ، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠٠م .
- ١٤- شمس الدين محمد أبي عبدالله بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، القاهرة ، مطبعة المدني ، دار البيان العربي .
- ١٥- شيخ الإسلام تقي الدين ، أحمد بن تيمية ، الحسبة في الإسلام ، الطبعة الأولى ، دار الأرقم ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م .
- ١٦- عبدالرحمن بن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، طبعة دار الشعب بالقاهرة .
- ١٧- عبدالرحمن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ، جدة ، دار المدني ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م .
- ١٨- علاءالدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ، تفسير الخازن ، الطبعة الأولى ، بيروت ، لبنان ندار الكتب العلمية ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م .
- ١٩- علي بن حبيب البصري الماوردي ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، المكتبة التوفيقية .
- ٢٠- عمر بن محمد بن عوض السنامي ، نصاب الاحتساب ، الطبعة الأولى ، مكة المكرمة ، مكتبة الطالب ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م .
- ٢١- محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي ، لسان العرب ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .

من أهداف هذا البحث: بيان المضامين التربوية المستفادة من خطبة حجة الوداع.

وبيان إنسانية الإسلام عن طريق عرض و تحليل خطبة حجة الوداع وعرض القيم الإنسانية التي اشتملت عليها خطبة حجة الوداع. واستنباط طرق التدريس المستنبطة من طريقة عرض الرسول ﷺ خطبة حجة الوداع، وبيان الأساليب التربوية التي استخدمها الرسول ﷺ في عرض تلك القيم. وذكر أهم روايات خطبة حجة الوداع، وقسم الباحث البحث إلى ثلاثة مباحث المبحث الأول عن مفهوم القيم وما يتعلق بها، والمبحث الثاني ذكرت فيه أهم روايات خطبة حجة الوداع، والمبحث الثالث تحليل خطبة حجة الوداع وبيان قيمتها التربوية وبيان ما اشتملت عليه الخطبة من مبادئ وقيم إنسانية، ومن النتائج التي توصل إليها الباحث: تمثل خطبة حجة الوداع رسالة حضارية مفتوحة، موجهة إلى البشرية جميعاً، على اختلاف أزمانهم وألوانهم وأجناسهم وأماكنهم وعقائدهم. وإن ما جاء في هذه الخطبة من القيم والمبادئ الإنسانية بمثابة الركائز التي يقوم عليها أمر البشرية في شتى المجالات التي تحتاجها، وتعتبر خطبة حجة الوداع؛ بمثابة أول إعلان لحقوق الإنسان كافة وليس إعلان لحقوق المسلمين فقط، بما اشتملت عليه من مضامين تحفظ للإنسان كرامته وحقوقه، بصرف النظر عن دينه ولونه وجنسه.

شعب أبتدق م:

الحمد لله والصلاة والسلام علي أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم وعلي آله الطيبين الطاهرين ومن سار علي نهجه إلي يوم الدين. فإن البشرية تسير نحو الاندماج والقرية الواحدة، في ظل العولمة وتدفق المعلومات، وعلي المسلمين أن يقدموا ما لديهم من خير للإنسانية، والإسلام مؤهل لتقديم حلول لمشاكل البشرية جميعاً، إذا أحسن عرضه وتقديمه للعالم. وقد زعم بعض المؤرخين أن العلاقات الإنسانية والمعاني السامية مثل قيم الحرية والمساواة وغيرها؛ لم توجد إلا بعد قيام الثورة الفرنسية في أواخر القرن الثامن عشر وقد فات عليهم أن الإسلام قام علي هذه المبادئ، وضع النواة الأولى للقيم العالمية ومنطلقات العلاقات الإنسانية وأهتم بتربية الفرد علي أن يكون عضواً متفاعلاً مع بني جنسه متعاوناً معهم في رفع شأن البشرية ودفع الضر عنها.

وفي خطبة حجة الوداع دعا رسول الله صلي الله عليه وسلم إلي مبادئ عالمية وقيم اجتماعية صالحة لتنبثق منها ركائز العلاقات التي تهتم البشرية في كل زمان ومكان.

ش حباة لكش م

تكمن مشكلة هذا البحث في تحديد وبيان القيم الإنسانية التي اشتملت عليها خطبة حجة الوداع، وإذا أردنا إيجازها في شكل نقاط فيمكن تحديدها في الأسئلة الآتية:

- ✓ ما القيم الإنسانية التي اشتملت عليها خطبة حجة الوداع؟
- ✓ ما الأساليب التربوية التي استخدمها الرسول صلي الله عليه وسلم في عرض تلك القيم؟
- ✓ ما طرق التدريس المستنبطة من طريقة عرض الرسول صلي الله عليه وسلم لخطبة حجة الوداع؟
- ✓ ما القواعد والمبادئ الإنسانية المستنبطة من مضامين خطبة حجة الوداع؟
- ✓ ما أهم روايات خطبة حجة الوداع؟

ش حباة لاله أ:

يسعى الباحث في هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية

- ✓ بيان المضامين التربوية المستفادة من خطبة حجة الوداع.
- ✓ بيان إنسانية الإسلام عن طريق عرض و تحليل خطبة حجة الوداع
- ✓ بيان القيم الإنسانية التي اشتملت عليها خطبة حجة الوداع.
- ✓ بيان طرق التدريس المستنبطة من طريقة عرض خطبة حجة الوداع
- ✓ بيان الأساليب التربوية التي استخدمها الرسول صلي الله عليه وسلم في عرض تلك القيم؟
- ✓ بيان أهم روايات خطبة حجة الوداع

شجبا أقيم أ :

تكمّن دراسة خطبة حجة الوداع في أهمية الخطبة نفسها وما اشتملت عليه من مبادئ إنسانية تهّم البشرية في كل زمان ومكان.

ولخطبة حجة الوداع أهمية زمنية ومكانية؛ أما الأهمية الزمانية: أنها أُلقيت في الشهر الحرام وفي يوم النحر، جاءت بعد جهاد استمر أكثر من عشرين عاماً، ودانت جزيرة العرب بالإسلام، فكان آخر لقاء جامع بين الرسول وأصحابه الكرام أوصاهم فيها بوصاياهِ الأخيرة وأعلن فيها اكتمال الإسلام، وأخذ عليهم العهد والميثاق ووضع فيها آثار الجاهلية تحت قدميه الشريفتين، وكان عددهم مابين مائة وأربعة عشر ألفاً إلى مائة وثلاثين ألفاً. (١٨٥) ومن حيث المكان أنها أُلقيت في صعيد عرفات.

شجبا دود د :

إننا سنقتصر في دراستنا هذه على القيم الإنسانية والمضامين التربوية المستفادة من خطبة حجة الوداع وتشمل خطب يوم النحر وأيام التشريق.

ومن المفيد الإشارة إلى أننا سوف لن نكثر من النصوص، وسنعطي أهمية للتحليل، والاستنباط أكثر من حشد النصوص، لأننا لسنا في موقع الاستقصاء، و سوف نكتفي من الاستدلال بقدر ما تتضح به الفكرة

(١٨٥) السيرة النبوية، ابن هشام، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م. ص ٣٨٦.

شعبان ١٤٤٠ هـ

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي، والمنهج الاستنباطي والمنهج التحليل، لأن هذه المناهج من المناهج المعتمدة في البحث العلمي، ومناسبة لمن يريد تحليل النصوص واستنباط المبادئ والقيم الإنسانية منها.

واتخذ أسلوب المقارنة، بين الموقف الذي يشير إليه، على أمر من الأمور، وبين الأساليب المعاصرة، في التربية الحديثة،

وقد أعطيت أهمية إلى التنبيه، والإشارة؛ إلى كيفية الاستفادة من الموقف المعين، وكيفية إنزاله إلى الواقع التربوي.

لؤلؤاً حباً الخاضعة لهم قل أف يره

أ- أخذهم قديماً

لفظ قيم في اللغة: جمع، ومفرده: قيمة، وهي مأخوذة أصلاً من مادة: (قوم) ومنها: (قام، قياماً، فهو قائم) وأصلها (قواماً) أبدلت الواو ياءً لتجانس مع الكسرة، وتدل على عدة معان، نذكر منها^(١٨٦):

١- الدوام والثبات والاستمرار. كمال قال تعالى:

(فَاسْتَمِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ) (هود آية ١١٢).

٢ - الاتزان كقولنا: استقام الشعر أي : اتزن.

٣- العزم، والقصد. كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ) (المائدة آية ٦).

٤ - مراعاة الشيء. كقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ) (النساء آية ١٣٥)

٥ - الثمن. كقولنا قيمة الشيء: أي ثمنه.

(١) فيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٩٦م. ج ٤، ص ١٧٨.
ولسان العرب؛ جمال الدين محمد بن مكرم، دار الفكر، بيروت، (د - ط) و(د-ت)، ج ١٢ ص ٣١٦

٦ - الاعتدال والوضوح. كما قال تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) (الفاحة آية ٦).

٧ - اسم لما يقوم الشيء، كالعماد والسناد. كما قال تعالى: (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا) (النساء آية 5)

بالمعنى الحقيقي :

لا يوجد تعريف للقيم متفق عليه بين جميع العلماء وسنذكر عدداً من التعريفات ، تمثل اتجاهات مختلفة، ونعقب علي كل تعريف ببعض الملحوظات التي نراها مناسبة لذلك.

التعريف الأول:

((القيم مجموعة من القوانين والمقاييس التي تنبثق من جماعة ما، وتكون بمثابة موجّهات للحكم على الأعمال، والممارسات المادية، والمعنوية؛ وتكون لها من القوة والتأثير على الجماعة بما لها من صفة الضرورية والعمومية، وأي خروج عليها؛ أو انحراف عنها يصبح بمثابة خروج عن أهداف الجماعة، ومثلها العليا)) (١٨٧).

الملاحظة علي هذا التعريف: أنه قد جعل مصدر القيم الجماعة ، ولم يشر إلي مصدر آخر للقيم؛ وفي الإسلام أن مصدر القيم الأخلاقية هو: (الوحي الإلهي)، وليس المجتمع ، أو المنفعة، أو العقل، أو الضمير، أو العرف، ولا غير ذلك مما ذهبت إلي ذلك بعض مدارس الفلسفة الخلقية كما سنبين في المباحث القادمة إن شاء الله.

التعريف الثاني:

((القيم هي العناصر الثقافية التي تجعل الثقافات الأخرى عسيرة الفهم. أو بمعنى آخر: هي موضوع الرغبة الإنسانية والتقدير ولذلك تشمل القيم كل الموضوعات والظروف المبادئ التي أصبحت ذات معنى خلال تجربة الإنسان الطويلة، والقيم من ناحية أخرى قد تكون إيجابية أو سلبية، وأساس التميز يقوم على ما هو مرغوب فيه،

(١٨٧) القيم والتربية، لطفي بركات أحمد، دار الفكر للطباعة والبشر، (د - ط) ص ٣١.

وما هو مرغوب عنه، أي أن القيم الإيجابية قيم مرغوب فيه والقيم السلبية غير مرغوب فيه)) (١٨٨).

أشار هذا التعريف إلى نقطة مهمة وهي تقسيم القيم إلى قيم سلبية غير مرغوب فيها؛ وقيم إيجابية مرغوب فيها. وما يؤخذ على التعريف: نظرته إلى القيم باعتبارها أشياء، وموضوعات مرغوب فيها أو مرغوب عنها، بمعنى تمثل القيم كل الأهداف المرغوبة والمطلوبة التي يسعى إليها الناس في حياتهم الفردية والجماعية، لكن رغبة الإنسان وحدها لا تكون مصدراً للقيم والمعايير التي يتحدد من خلالها نشاط الإنسان، ولو ترك الأمر للإنسان ليختار ما هو مرغوب فيه وما هو مرغوب عنه لضاع الإنسان في متاهات اختلاف الأحوال والأمزجة والظروف، وذلك حسب تقلبات الزمان والمكان، والحالات النفسية التي يكون عليها الفرد أثناء الحكم على القيمة الخلقية.

التعريف الثالث:

((القيم صفات أو مثل أو قواعد تقام عليها الحياة البشرية فتكون بها حياة إنسانية وتعاير بها النظم والأفعال لتعرف قيمتها الإنسانية، من خلال ما تتمثله منها)) (١٨٩).

هذا التعريف ملائم وقريب من دراستنا للقيم من المنظور التربوي الإسلامي، ولكنه لم يشر إلى مصدر تلك القواعد والمثل التي تعاير بها النظم والأفعال.

التعريف الرابع:

أما علي عبد الحليم محمود فقد جعل الأخلاق جزءاً من القيم الإسلامية، وعرف الأخلاق بقوله: ((الأخلاق في الإسلام مجموعة من المبادئ، والقيم التي تنظم سلوك المسلم، ويحددها الوحي، لينظم بها حياة الإنسان، ويضع لها من الضوابط ما يمكنها

(١٨٨) قاموس علم الاجتماع، محمد عاطف غيث، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٨٦ ص ٥٠٦.

(١٨٩) السلفيه وقضايا العصر، عبد الرحمن بن زيد، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧، ص ٤٦٢.

من أن تحقق الغاية من وجود الإنسان على هذه الأرض، وهي عبادة الله سبحانه وتعالى والمؤدية إلى سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة)) (١٩٠).

ويمتاز هذا التعريف من بين التعريفات التي ذكرناها بأنه أشار إلى مصدر القيم كما أنه يحمل خصائص وأهداف القيم في الإسلام، وهي تنظم حياة الناس وفق تلك الضوابط التي يحددها الوحي، وتؤدي إلى إسعاد الإنسان في الدنيا والآخرة، وتحدد الغاية من وجوده في هذا الكون، وهو عبادة الله سبحانه وتعالى.

التعريف الخامس:

يوافق الباحث التعريف الرابع المذكور أعلاه في كل ما ذهب إليه ويضيف إليه تعريف مقداد يالجن للأخلاق ويجعلهما التعريف المختار، وهو: ((إن الأخلاق عبارة عن علم الخير والشر والحسن والقبح، وله قواعده التي يحددها الوحي، لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره، على نحو يحقق الغاية من وجوده، في هذا العالم على أكمل وجه)) (١٩١).

- فقد أشار هذا التعريف إلى أهم خصائص القيم الإسلامية وهي:

١- إن القيم في الإسلام عبارة عن قواعد ثابتة ومطلقة، لا تتأثر بزمان أو مكان أو ظروف أحوال الناس، لاسيما في أصولها، وأهدافها، وأن مصدرها الوحي الإلهي.

٢- بقدر التزام الأفراد بهذه القواعد تتحقق أهداف الإنسان في الحياة .

٣- هذه المعايير تمثل كل النشاط الإنساني، وتحدد السلوك المرغوب فيه (١٩٢)

و القيم في مجال الفلسفة تمثل أحد مباحث الفلسفة الثلاثة :

(١٩٠) فهم أصول الإسلام، علي عبد الحليم محمود، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٦ص ٣١.

(١٩١) موسوعة الأخلاق الإسلامية ، التربية الأخلاقية، مقداد يالجن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٩٦ص ٨١ .

(١٩٢) نظرية المنهج، جورج يوشامب، ترجمة ممدوح محمد سامي، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٨٦ص ٩٠ .

(الوجود- المعرفة - القيم)، وهي المثل والقواعد التي تقوم عليها الحياة الإنسانية متميزة بها عن الحياة الحيوانية وتتمثل في قيم عليا ومطلقة يحصرها الفلاسفة في:

(الحق، والخير، والجمال) (١٩٣)

لذا وة فينمضا اف يرد :

أ- **تغ ليين مضا:** جمع مضمون وله عدة معاني منها: ما في بطون الحوامل من كل شيء كأنهن تَضَمَّنَه؛ ومنه الحديث: أن النبي، صلى الله عليه وسلم، نهى عن بيع المَلَاقِيح والمضامين، وهي ما في أصلاب الفحول، ويقال: ضَمَّنَ الشيءَ الشيءَ: أودعه إياه. والضَّمِينُ: الكفيل، ويقال: شَرَابُكَ مُضَمَّنٌ إذا كان في كوز أو إناء. ويقال: ضَمَّنَ الشيءَ بمعنى تَضَمَّنَه؛ ومنه قولهم: مَضْمُونُ الكتاب كذا وكذا. (١٩٤)

ب- **خلاطا بينمظ:** ما يحتويه الموضوع أو النص الذي يتكون من عناصر وأجزاء، ويشتمل علي مجموعة من المعارف والمهارات والقيم والاتجاهات التي يمكن أن تحق الأغراض التربوية (١٩٥). ونعني به في هذا البحث: ما اشتملت عليه وحوته خطبة حجة الوداع من المبادئ التربوية والقيم الإنسانية والأساليب التي استخدمها الرسول صلي الله عليه وسلم في عرض تلك القيم، وقلنا تربوية: لأن التربية كانت الأداة أو الوسيلة التي استخدمها الرسول ﷺ لتحقيق تلك المبادئ.

ليذا ثلثجب:

طنبا ي ورعا وداثجب

ليوذاة تيورن: عن ابن عباس t قال: خطب النبي e الناس يوم النحر فقال: ((يا أيها الناس أي يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام. قال: فأي بلد هذا؟ قالوا: بلد حرام. قال: فأي شهر هذا؟ قالوا: شهر حرام قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا فأعادها مرارا ثم رفع رأسه

(١٩٣) السلفية وقضايا العصر، عبد الرحمن بن زيد، مرجع سابق، ص ٤٥٦.

(١٩٤) لسان العرب؛ جمال الدين محمد بن مكرم، مرجع سابق ج ١٢ ص ٣١٦

(١٩٥) معجم المصطلحات التربوية أحمد حسين اللقاني، وعلي أحمد الجمل، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

فقال: اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت). قال ابن عباس رضي الله عنهما فو الذي نفسي بيده إنها لوصيته إلى أمته فليبلغ الشاهد الغائب لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) (١٩٦).

تَيْنِئْشْةُ يَأُورْءَا: عن أبي بكرة **t** قال: خطبنا النبي **e** يوم النحر قال: (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: أليس ذا الحجة قلنا: بلى؛ قال: أي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: أليس البلد الحرام؟ قلنا: بلى؛ قال: فأى يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال: أليس يوم النحر؟ قلنا: بلى؛ قال: فإن دماءكم وأموالكم قال: - محمد وأحسبه قال وأعراضكم- عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ليلبغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه) (١٩٧).

تَيْنِئْشْةُ يَأُورْءَا: عن ابن عمر **t** أن رسول الله **e** وقف يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج فقال للناس: (أي يوم هذا؟ قالوا: هذا يوم النحر قال: فأى بلد هذا؟ قالوا: البلد الحرام قال: فأى شهر هذا؟ قالوا: الشهر الحرام قال: هذا يوم الحج الأكبر فدماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة هذا البلد في هذا اليوم ثم قال: ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم أشهد، ثم ودع الناس فقالوا: هذه حجة الوداع) (١٩٨). وفي رواية أخرى: (.... وإن

(١٩٦) البخاري، كتاب العلم، باب ليلبغ العلم الشاهد الغائب ج١ ص٥٢، وكتاب الحج، باب الخطبة أيام منى ج٢ ص٦١٩.

(١٩٧) متفق عليه، أخرجه البخاري كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، ج٥ ص٢١١٠، صحيح البخاري كتاب الفتن ج٦ ص٢٥٩٣، وكتاب التفسير، باب قول الله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) ج٦ ص٢٧١٠ مسلم، كتاب القسامة والمحاربيين والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، ج٣ ص١٣٠٦.

(١٩٨) المستدرک علی الصحیحین، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، تفسير سورة التوبة، ج٢ ص٣٦٠.

كل شيء من أمر الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين ودماء الجاهلية موضوعة تحت قدمي هاتين وأول دم أضعه دماؤنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مستر ضعاً في بني سعد فقتلته هذيل. وربا الجاهلية موضوع وأول رباً أضعه ربانا ربا العباس ابن عبد المطلب فإنه موضوع كله، اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، وإن لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإني قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله. وأنتم مسئولون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت رسالات ربك ونصحت بأمته وقضيت الذي عليك فقال: بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللهم أشهد اللهم أشهد... (١٩٩)

الرواية الرابعة: عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: دخلنا على جابر بن عبد الله، فذكر الحديث وقال: فأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عرفة، حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له فركب، حتى أتى بطن الوادي، فخطب الناس فقال: (إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام... من كان مستر ضعاً في بني سعد فقتلته هذيل... قال أبو بكر قد بينت في كتاب النكاح أن قوله لا يوطئن فرشكم... إنما أراد وطأ الفروج) (٢٠٠).

تبدأ في إيراد: عن سليمان بن عمرو بن الأحوص حدثنا أبي أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال: أي يوم أحرم؟ أي يوم أحرم؟ أي يوم أحرم؟ قال: فقال الناس يوم الحج الأكبر يا رسول الله؛ قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ألا لا يجني جان إلا على نفسه، ولا يجني والد على ولده، ولا ولد على والده، ألا إن المسلم أخو المسلم فليس يحل لمسلم من أخيه شيء إلا ما أحل من نفسه، ألا وإن كل رباً في الجاهلية موضوع....

(١٩٩) المستدرك على صحيح مسلم لأبي نعيم ج ٣ ص ٣١٦.

(٢٠٠) صحيح ابن خزيمة، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧، ج ٤ ص ٢٥١.

(٢) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي السلمي، تحقيق أحمد محمد زمرلي، وخالد السبع العلمي، دار

الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٩ كتاب التفسير، باب سورة التوبة ج ص ٢٧٣

تبدل أتي ورأى: عن ابن إسحاق... (..... ثم مضى رسول الله ﷺ على حجه فأرى الناس مناسكهم وأعلمهم سنن حجهم؛ وخطب الناس خطبته التي بين فيها ما يلي: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ((أول ما بدا به من دماء الجاهلية أما بعد أيها الناس فإن الشيطان قد يئس من إن يعبد بأرضكم هذه فاحذروه على دينكم. أيها الناس إن النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله (٢٠١)).

قال ابن إسحاق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه قال: كان الرجل يصرخ في الناس ... يقول له رسول الله ﷺ : ((قل أيها الناس إن رسول الله ﷺ يقول: ((هل تدرون أي شهر هذا؟)) فيقول لهم، فيقولون الشهر الحرام، فيقول له: ((قل لهم: إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوه كحرمة شهركم هذا، ثم يقول: قل أيها الناس إن رسول الله ﷺ يقول: ((هل تدرون أي بلد هذا؟)) .. فيقولون: البلد الحرام،)) فيقول: قل لهم إن الله حرم عليكم دماءكم و أموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة بلدكم هذا، ثم يقول... هل تدرون أي يوم هذا؟)) قال: ابن إسحاق عن عمرو بن خارجة قال: بعثني عتاب بن أسيد إلى رسول الله ﷺ في حاجة ورسول الله ﷺ واقف بعرفة، فبلغته، ثم وقفت تحت ناقه رسول الله ﷺ وإن لغامها (٢٠٢) ليقع على رأسي، فسمعتة وهو يقول: ((أيها الناس إن الله قدر إلى كل ذي حق حقه وإنه لا تجوز و صية لوارث، والولد للفراس وللعاهر الحجر ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً)) (٢٠٣).

(٢٠١) السيرة النبوية بن هشام مرجع سابق ج ٤ ص ٢٠٤

(٢٠٢) اللُّغام: زيد أفواه الإبل، أي: رغبة تخرج مع ريقه. انظر: لسان العرب ج ١٢ ص ٥٤٥. - القاموس المحيط ج ٤ ص ٧٨.

(٢٠٣) ابن هشام السيرة النبوية، مرجع سابق، ج ٤ ص ٢٠٤-٢٠٥.

ثالثاً لشجلاً ا: تبظذ ل يئذ

ة يوبز ا همية عانوا تجد بظذ تيمها:

لهذه الخطبة خصوصية، وأهمية؛ فهي تمثل آخر لقاء للرسول ﷺ بأمته. أعلن فيها اندثار الجاهلية في الجزيرة العربية بكل مظاهرها، والتي كان لها تأثير في أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية. وإعلان مبادئ جديدة تقوم عليها الحياة، وكان ذلك بعد جهاد استمر أكثر من عشرين عاماً. فهي آخر إعلان لمبادئ الإسلام وتوجيهاته تلقتها الأمة الإسلامية من فم رسول الله ﷺ في الأرض المقدسة وبين فيها كثيراً من معالم الدين، وقيم الإسلام العليا، وما ينبغي أن تكون عليه الأمة الإسلامية عبر القرون، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فهي بمثابة دستور جامع لخص فيه الرسول ﷺ أسس الدين وأوضح فيها معالم المبادئ الإنسانية وسبيل هداية البشرية، وعزتها، كما نبه على عوامل الضعف والانحلال والفساد وحذر من ذلك بأسلوب تربوي مؤثر، وهو ما كان يدعو له ويرمي إليه طول فترة الدعوة.

تيا سنا إ م قوئ ا ب من ة ظفا ه لعتمتثا ل:

ويمكن تفصيل ذلك من خلال النقاط الآتية:

أ و بي بنذا تفتب ا ﷺ ه تبظذ (بالحمد لله) وهذا الاستفتاح فيه دلالة تربوية وهو إعلان عظمة الله وأن التربية الإسلامية تربية إيمانية تقوم على أساس الإيمان بالله ووحدايته وربط العالم به، وتبيان مكانة الإنسان في هذا الكون، وموضعه الصحيح فيه، بالإضافة إلى تعليم الناس كي لا يشعر الخطيب بأنه أعلى من المخاطبين. وفيه رد الفضل إلى صاحبه، ونسبة النعمة إلى منعمها، وكان ﷺ يحافظ على هذا الأسلوب في كثير من خطبه (٢٠٤).

(٢٠٤) الوصية النبوية، فاروق حمادة، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٩٨٣، ٢٥.

أينما : وأمداداً ممدودة فقد تحدث النبي ﷺ عن حرمة الدماء، في قوله: (فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا...) وفي قوله: (...لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) (٢٠٥).

والعرب كانوا يتقاتلون لأتفه الأسباب، فمثلاً لسباق خيل تقوم حرب تستمر أربعين عاماً تأكل الأخضر واليابس، وتفضى فيها قبائل بأسرها، وكثير من الحروب التي نجدها في كتب التاريخ والأدب كانت تقوم على أسباب واهية. وقد بين الله سبحانه وتعالى إنه من قتل نفس بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعاً. وقد قال صلي الله عليه وسلم: (إن حرمة المسلم عند الله أعظم من حرمة الكعبة) (٢٠٦) والكعبة قد تنقض وتبنى علي ما كانت عليه من قبل ولكن إذاهدمت شخصية الإنسان من الذي يعيد بناءها؟! لا أحد غير الله. فكان من عدل الإسلام أن شرع القصاص فالعين بالعين والسن بالسن والجروح قصاص، ويقتل الدنيء بالشريف والشريف بالدنيء، والعربي بالعجمي والعجمي بالعربي، ويقتل العدد بالواحد، إلى غير ذلك من القواعد والضوابط الشرعية التي وضعها فقهاء الأمة سعياً لصيانة الدماء، وحفظاً لبيضتهم فالجميع سواسية عند الله، قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)) (٢٠٧) ولو تأملنا كل المبادئ التي تضمنتها خطبة حجة الوداع لوجدنا اتفاق العقلاء وأصحاب الديانات كلها على حاجة البشرية كلها إلى مثل تلك القيم والمبادئ، وأنه لا يستقيم نظام وحال أمر أي أمة في الدنيا إلا بمثل هذه المبادئ، ومنها حرمة الدماء.

ولذلك بدأ الرسول ﷺ في خطبته بالنهاي عن الاعتداء على دم امرئ إلا بحقه وحدد لها ثلاثة أمور معروفة ومعلومة في الشريعة الإسلامية، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ

(٢٠٥) البخاري، كتاب العلم، باب ليلبلغ العلم الشاهد الغائب ج ١ ص ٥٢، وكتاب الحج، باب الخطبة أيام منى ج ٢ ص ٦١٩ .

(٢٠٦) مجمع الزائد، الحافظ نور الدين أبو بكر الهيثمي ج ٣ ص ١٩٢ ..

(٢٠٧) سورة الحجرات آية ١٣ .

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ ((لَا يَحِلُّ دَمٌ أَمْرِيٍّ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثِ النَّفْسِ
بِالنَّفْسِ وَالثَّيْبِ الزَّانِي وَالتَّارِكِ دِينَهُ الْمُضَارِقِ أَوْ الْفَارِقِ الْجَمَاعَةَ)) (٢٠٨)

يقوم بها الحاكم المسلم وليس الأفراد، فمتى تجاوز هذا وتعمد قتل النفس؛
فجزاؤه القصاص في الدنيا، وجهنم في الآخرة قال تعالى: ((وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا
مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا
)) (٢٠٩).

((وإن الاستخفاف بالدماء والأرواح حالة تتكرر حين ينحط مستوى الأمم السلوكي
والفكري فيتحول المجتمع إلى غابة تحكمها قوة العصابة ويتنحى الحق فيها إلى
ركن قصي)) (٢١٠).

وما يعانیه العالم اليوم في ظل النظام العالمي الجديد والهيمنة الغربية واستعلاء
اليهود وفرض مبادئهم وأفكارهم على البشرية بالقوة. ومن لا ينصاع لذلك فيكون
مصيره الدمار والهلاك والفناء، وإهدار كرامته باسم العدالة والقانون، والشرعية
الدولية.. الخ. ونحسب أن كل هذه الفوضى التي تعانيتها البشرية اليوم سببها الابتعاد
عن تعاليم الإسلام وقيمه قال تعالى: ((وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا
وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)) (٢١١).

وقال تعالى: ((يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ
الْكَافِرُونَ)) (٢١٢).

الله ! : تِي لِهَسَا : من الأسس التي تقوم عليها الحياة الاجتماعية؛ المسؤولية
الأخلاقية، ومعنى المسؤولية: (هو ما يتحمله الشخص نتيجة التزاماته وقراراته

(٢٠٨) مسند الإمام أحمد، مؤسسة قرطبة القاهرة، (د- ط) و(د- ت) ج٢، ٢٣٦.

(٢٠٩) سورة النساء الآية ٩٣.

(٢١٠) الوصية النبوية، فاروق حمادة، مرجع سابق، ص ٥٠.

(٢١١) سورة طه الآية ١٢٤.

(٢١٢) سورة الصف الآية ٨.

واختياراته العملية من الناحية السلبية والإيجابية، أمام الله في الدرجة الأولى، وأمام ضميره في الدرجة الثانية، وأمام المجتمع في الدرجة الثالثة) (٢١٣).

فالإسلام يعتبر الإنسان مسؤولاً عن الأشياء التي حوله، سواء كانت أشياء مادية أو بشرية، قال تعالى: ((فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَإِنَّهُ لَنُذِرُكَ وَلِقَوْمَكَ وَسَوْفَ تَسْأَلُونَ)) (٢١٤).

ومن الضوابط التي بينها الرسول ﷺ في خطبته أن الإنسان مسئول بالدرجة الأولى، عن أي عمل يقوم به، ولا يتحمل أخطاء أفراد آخرين، مهما كانت قراباتهم، وبهذا قطع الطريق أمام الثارات والحروب التي كانت تستعر بسببها. وذلك في قوله: (... وإن كل شيء من أمر الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين ودماء الجاهلية موضوعة...) وفي قوله: (... ألا لا يجني جان إلا على نفسه ولا يجني والد على ولده ولا ولد على والده)

كما أعلن عدم المطالبة بالدماء التي كانت في الجاهلية وأن الإسلام يجب ما قبله...

أَجِبْ أَسَى الْإِنْسَانِ بِتَوَلُّوهِ نَفْسِهِ لِأَخِيهِ؛ وقد بين أسس التفاضل بين الناس وهو (التقوى) كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (٢١٥).

وقوله: (ألا إن المسلم أخو المسلم فليس يحل لمسلم من أخيه شيء إلا ما أحل من نفسه) فالبشر كلهم متساوون ليس الفضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى. وقد أنكرت قريش على الرسول هذا المبدأ الذي طبقه على الصحابة، وقد طلبت منه أن يطرد من مجلسه بلالاً الحبشي وصهيباً الرومي وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر وغيرهم من العبيد لكي يستمعوا إلى دعوته، وحين رفض الرسول هذا الطلب (٢١٦) قالوا: اجعل لنا يوماً ولهم يوماً، فكاد يجيب دعوتهم فأنزل الله: ((وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ

(٢١٣) التربية الأخلاقية في الإسلام، مقدادة بالجن، مرجع سابق، ص ٣٣٤. سورة الصف الآية ٨.

(٢١٤) سورة الزخرف الآية ٤٣-٤٤ .

(٢١٥) سورة الحجرات الآية ١٣.

(٢١٦) جامع البيان، الطبري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، (د- ط) ١٩٩٠ ج ٧ ص ٢٠١.

يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ)) (٢١٧).

وكانت الأمم قبل الإسلام تقوم على أساس الطبقات كالديانة البراهيمية التي تقسم الناس إلى أربع طبقات، وتجعل أعلا هذه الطبقات الطبقة البراهيمية، وتجعل أدناها طبقة السفلة، أو الأنجاس، وحرام على الطبقة الأخيرة أن تنال شيئاً من العلم والدين وإلا حل بها العذاب الأليم. وقد زعم اليهود أنهم وحدهم أبناء الله، وعلى هذا فرقوا في تشريعاتهم بين اليهود وغيرهم. والأمان قسموا الجنس البشري إلى طبقات وجعلوا أعلى الأجناس الجنس الآري حسب زعمهم، وحتى الأمم التي تدعي اليوم التحضر وتري بأن العالم مدين لها بمبادئ العدل والمساواة، لا تزال قوانينها وممارساتها العملية تخالف ذلك، وما يشاهد يومياً عبر القنوات الفضائية من أحداث يغني عن ذكر الأمثلة.

وإذا نظرنا إلى ما شرعه الإسلام من مبدأ المساواة نجد أنه لم يصل إليه أي تشريع سماوي أو أرضي (٢١٨)

ويتضمن مفهوم المساواة في الإسلام الآتي:

- ١- المساواة في القيمة الإنسانية، ومعنى هذا أن جميع أفراد الإنسانية متساوون في أصل النشأة والوجود والمصير.
- ٢- المساواة في التكاليف الإلهية، ومعنى هذا أن جميع أفراد الإنسانية مكلفون بالتصديق عما جاء عن الله والامتثال لأمره.
- ٣- المساواة في المسؤولية والجزاء، ومعنى هذا أن جميع أفراد الإنسانية مسؤولون عن جميع تصرفاتهم وسلوكهم، وسيجازون على ذلك إن خيراً فخير وإن شراً فشر (٢١٩)
- ٤- المساواة في الحقوق العامة، ومن الحقوق الإنسانية الطبيعية التي يسعى الإسلام إلى حفظها وصيانتها:

(٢١٧) سورة الأنعام الآية ٥٢.

(٢١٨) روح الدين الإسلامي، عفيف عبد الفتاح طيارة، دار العلوم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧، ص ٢٩٨.

(٢١٩) مفهوم المساواة في الإسلام، رشاد حسن خليل، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٨ ص ١٤.

- حق الحياة وهذا حق ممنوح من واهب الحياة، الله جل جلاله، فلا يجوز مصادرته من أحد، حتى من الفرد نفسه فلا يجوز الانتحار.
 - حق الحرية؛ ويدخل في هذا حرية الفكر، وحرية الاعتقاد في اختيار الإنسان الدين الذي يرغب فيه، وحرية الرأي وحرية الكلمة، وحرية التعبير.
 - حق التملك وهذا يقتضي التصرف فيما يملك، في حدود الشرع.
 - حق العمل فلا يجوز أن يمنع الإنسان من العمل والكسب لتحقيق الحياة الكريمة.^(٢٢٠) وتكمن أهمية إعلان قيم المساواة وإعلانها بين الناس في خطبة حجة الوداع، في أن بعض القبائل كانت ترى أن السيادة والقيادة لها أكثر من غيرها^(٢٢١) وتتكرر مثل هذه النظرة في كل زمان ومكان، فأراد أن يبين أسس الإسلام في ذلك. و بين لهم في خطبته ما ينبغي أن يكون عليه الناس من الأخوة الإنسانية، وبناءً على هذا أن لكل إنسان كرامته التي يجب احترامها، فالإنسان مكرم مهما كان لونه أو جنسه أو دينه، وهذه كرامة عصمة وحماية، وهذا هو المستوى الأول من مستويات الكرامة الإنسانية، قال تعالى: ((وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)) (٢٢٢)
- § يلي هذا المستوي من التكريم كرامة العزة والسيادة، قال تعالى: (...العزة لله ولرسوله وللمؤمنين...) (٢٢٣) وهذا لا ينقص من قدر إنسانية الإنسان وإنما زيادة في كرامته فهو كريم ومحمي بإنسانيته، ثم هو عزيز ومكرم بإيمانه، فهذه الكرامة تتغذى من عقيدته، يلي هذين المستويين مستوى ثالث من التكريم وهو: كرامة الاستحقاق والجدارة والسعي، وهي التي يستحقها الإنسان بعمله وسعيه وجهده، (٢٢٤) قال تعالى: ((وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفِيَنَّهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ)) (٢٢٥) وهذا يعني أن يحفظ لأهل الفضل فضلهم، وأن يقدم أهل الخير والصلاح؛ على أهل الشر والفساد، فلا يستوي العالم والجاهل، والمؤمن وغير المؤمن، دون أن ينقص من كرامة الإنسان في أصله. ومبدأ احترام المحسن أكثر من غير المحسن؛ فيه مغزى تربوي وهو تشجيع الناس

(٢٢٠) فلسفة التربية الإسلامية، أحمد رجب الأسمر، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٧ ص ٢٤٣.

(٢٢١) التربية الأخلاقية الإسلامية، مقداد يالجن، مرجع سابق ص ١٤١.

(٢٢٢) سورة الإسراء آية ٧٠.

(٢٢٣) سورة المنافقون الآية ٨.

(٢٢٤) التربية الأخلاقية الإسلامية، مقداد يالجن، مرجع سابق، ص ٥٤٢.

(٢٢٥) سورة الأحقاف آية ١٩.

علي الفضيلة، وحتى لا يتساوي الصالح مع الطالح، قال تعالى: ((أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ))^(٢٢٦). ونشير هنا إلي أن مستويات الكرامة الإنسانية، لا تكون مدخلاً لأحد ليتعدى علي حقوق الناس الطبيعية، بحجة أنهم غير مسلمين، أو غير أتقياء، وينبغي أن تحفظ حقوقهم بحكم الكرامة الإنسانية الأصلية.^(٢٢٧)

اسماء : لا أولاداً تمرد: وقد بين أسس تداولها، وجعل حرمتها كحرمة الأنفس، فلا تؤخذ إلا بحقها المشروع، فلا غارات تستبيح أموال الناس بغير حق ولا غصب من الأقياء لأموال الفقراء، بالصورة التي كانت معروفة عند العرب، وتكرر عند كل الجاهلين في كل زمان ومكان خاصة في زماننا هذا. وبين لهم حرمة ذلك قوله: (... فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا)

وامتد التشريع في الأموال إلى تحريم آفة الربا في هذه الخطبة الجامعة وفي هذا الموقف العظيم ليعلم الناس أن المال عصب الحياة الاجتماعية ومن ثم لا تساهل في المعاملات المالية ولا تلاعب بأقوات الفقراء على أيدي الأغنياء الجشعين. وذلك في قوله: (وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع...) وتقوم نظرة الإسلام للمال على ركنين أساسيين هما:

أولاً **يُرْسَدُ** : ويعني أن هذا الكون مسخر للإنسان كما قال تعالى: ((وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ))^(٢٢٨)

ثانياً **فِيْلَا خْتَسَلُ** : وهو أن الإنسان خليفة الله في الأرض، وبذلك تقع عليه مسؤوليات وحقوق^(٢٢٩)

^(٢٢٦) سورة لزمز آية ٩.

^(٢٢٧) التربية الأخلاقية في الإسلام مقداد يالجن مرجع سابق ص ٨٧.

^(٢٢٨) سورة الجاثية. ١٣.

^(٢٢٩) الإلتزام بالمعاملات والضوابط الشرعية، حسن شحاتة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، (د- ط) ١٩٩٦ ص ٣٥.

- ومن وصايا الإسلام في المعاملات المالية:
- الالتزام بأداء حق الله كالزكاة والصدقات
- الإيمان بأن الغاية من الكسب عمارة الأرض وعبادة الله، كما قال تعالى: ((... هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ)) (٢٣٠) وقوله صلى الله عليه وسلم (إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاعة أن يغرسها فليغرسها....) (٢٣١)
- الأخذ بالأسباب مع التوكل على الله، كما قال تعالى: (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها....) (٢٣٢)
- العمل في المجالات المشروعة كما قال تعالى: ((قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) (٢٣٣)
- تجنب المعاملات الربوية، كما قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)) (٢٣٤)
- الإيمان بأن المال مال الله والبشر مستخلفون فيه، وهذا الإيمان يؤدي بالعبد إلي أن يتصرف في المال وفق مراد الله كسباً وإنفاقاً (٢٣٥). وأساس ذلك قوله تعالى: ((آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ)) (٢٣٦)
- المحافظة على المال وتنميتها بالحلال، أساس ذلك قوله تعالى: ((وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا)) (٢٣٧)
- عدم الاحتكار والكنز، كما قال تعالى: ((... وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)) (٢٣٨)
- الالتزام بالقيم الفاضلة ومنها: الصدق الأمانة والاعتدال في الإنفاق، كما قال تعالى: ((وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا)) (٢٣٩)

(٢٣٠) سورة هود آية ٦١.

(٢٣١) أخرجه مسلم .

(٢٣٢) سورة الملك آية ١٥ .

(٢٣٣) المائدة آية ١٠٠.

(٢٣٤) سورة البقرة آية ١٣٢ .

(٢٣٥) الالتزام بالمعاملات والضوابط الشرعية، حسن شحاتة مرجع سابق ص ٤٢.

(٢٣٦) سورة الحديد آية ٧..

(٢٣٧) سورة النساء آية ٥.

(٢٣٨) سورة التوبة آية ٣٤.

(٢٣٩) سورة الفرقان آية ٦٧.

أدب النبي ﷺ :

وبعد هذا الإعلان لنهاية الجاهلية في كل مظاهرها بين لهم رسول الله ﷺ أن أساس وحدتهم ورابط تضامنهم، التمسك بالقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، المحفوظ بحفظ الله من الاندثار والزوال قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (٢٤٠) والسنة المشرفة، حيث قال: (... وإنني قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله...) فهما مصدرا التلقي وأساس مصادر التشريع الإسلامي سواء كان ذلك في مجال الاعتقاد أو العبادة أو الأخلاق، فهما اللذان يرسمان معالم سلوك الشخصية الإسلامية، ويحددان مسارها في هذه الحياة، بداية من قيم الإيمان بالله ومرورا بالآداب الإسلامية العامة كإمالة الأذى عن الطريق، والتبسم في وجه المسلم، وآداب التزاور والسفر وآداب الجلوس على الطرقات ؛ وصولا إلي الآداب الاجتماعية ؛ كصلة الأرحام وبر الوالدين وحقوق الجار وإكرام الضيف. كل ذلك يجب أن يكون مصدره الله سبحانه وتعالى الذي خلق الخلق ويعلم ما يصلحه وما يفسده (٢٤١). قال تعالى: [أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ] (٢٤٢).

والإنسان لم يخلق نفسه حتى يكون له حق التشريع لها، بل خلقه الله كما خلق الكون وهو خاضع لإرادة الله سبحانه وتعالى، وعاجز لأن يشرع لنفسه في أي مجال من مجالات الحياة ، إلا أن يهتدي بالوحي المنزل من عند الله (٢٤٣)

والإسلام هو النظام الوحيد في العالم الذي مصدره الوحي، غير محرف ولا مخلوط بأوهام البشر، وكل المناهج السائدة في العالم غير الإسلام مناهج مصدرها التفكير العقلي كالشيوعية الوجودية وغيرها، أو مناهج كانت إلهية في الأصل، و لكن امتدت إليها يد التحريف، مثل اليهودية

(٢٤٠) سورة الحجرات آية ١٣.

(٢٤١) الخصائص العامة في الإسلامي، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الثالثة، ١٩٨٦ ص ٤٣.

(٢٤٢) سورة الملك آية ١٤.

(٢٤٣) معالم في الطريق، سيد قطب الشروق، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٧٨م ص ٩٧.

والنصرانية، أما الإسلام فقد سلم مصدره من التدخل البشري (٢٤٤) وهو محفوظ بحفظ الله له، كما قال تعالى: [إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] (٢٤٥).

أج ١ : نزلت قمي ن آية: أعلن الرسول ٣ في هذه الخطبة عن قيمة الزمن في حياة الإنسان، حين قال: (إن الزمان قد استدار، ورجع إلى وضعه الصحيح الذي خلق عليه يوم خلق السماوات والأرض...) قال الخطابي (... كانوا يخالفون بين أشهر السنة بالتحليل والتحرير والتقديم والتأخير، لأسباب تعرض لهم منها: استعجال الحرب فيستحلون الشهر الحرام ثم يحرمون بدله شهراً غيره فتتحول في ذلك شهور السنة وتبدل فإذا أتى على ذلك عدة من السنين استدار الزمان وعاد الأمر إلى أصله، فاتفق وقوع حجة النبي صلى الله عليه وسلم). (٢٤٦)

وبعد هذا ينبغي أن يبدأ المسلمون حساب الزمن بدقة، وأن يتطابق الزمن مع أسماء الأشهر، وذلك بعد طول تلاعب بها، حيث كان العرب يجعلون حجهم في كل عامين في شهر معين من السنة، فأمرهم الرسول ٣ بعدم التلاعب بالأشهر تقديماً وتأخيراً، ولا حج بعد اليوم إلا في هذا الزمان الذي استقر اسمه ذو الحجة (٢٤٧) وأن يضبطوا عليه عباداتهم؛ من صلاة وصوم وحج؛ ومكاتبات وعهود، وتأكيدها بالزمن الدقيق دون تدخل من أحد، بتقديم أو تأخير. وأساس ذلك الآيات الكونية، (الشمس والقمر) كما قال تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ) (٢٤٨).

وقال تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (٢٤٩).

(٢٤٤) الخصائص العامة في الإسلامي، يوسف القرضاوي مرجع سابق، ص ٣٨.

(٢٤٥) سورة الحجر الآية ٩.

(٢٤٦) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٧، ج ٨ ص ٣٢٥.

(٢٤٧) فقه السيرة، محمد سعيد رمضان البوطي ص ٣٣٠.

(٢٤٨) سورة البقرة الآية ١٨٩

(٢٤٩) سورة يونس الآية ٥.

وكان العرب قبل ذلك لا يستعملون تقويماً خاصاً، وكانوا يؤرخون بالحوادث الهامة، مثل وفاة كعب بن لؤي، وعام الفيل، وفيه ولد الرسول صلى الله عليه وسلم، وأرخوا بعام الفجار وهو بعد عام الفيل بخمسة عشر عاماً، وأرخوا بإعادة بناء الكعبة وكان عمر الرسول خمسة وثلاثين عاماً^(٢٥٠) يقول الإمام الطبري: (أن العرب كانت أصحاب حروب وغارات فكان يشق عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر متوالية لا يغيرون فيه، وقالوا: لئن تواتت علينا ثلاثة أشهر لا نصيب فيها شيئاً لنهلكن، فكانوا إذا صدروا عن منى يقوم من بني كنانة ثم من بني فقيم منهم رجل يقال له القلمس، فيقول أنا الذي لا يرد لي قضاء، فيقولون: أنسنا شهراً، أي آخر عنا حرمة المحرم واجعلها في صفر، فيحل لهم المحرم. فكانوا كذلك شهراً فشهرًا حتى استدار التحريم على السنة كلها، فقام الإسلام وقد رجع المحرم إلى موضعه الذي وضعه الله فيه، وهذا معنى قوله عليه السلام: (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض) (٢٥١)

وهناك دلالة هامة تستفاد من هذا التوجيه في الخطبة وهي: أهمية الزمن في حياة الإنسان وماله من قيمة اقتصادية، واجتماعية وحضارية مهمة في الحياة. فإذا كان أفراد المجتمع يستهترون بالزمن ويضيعونه في أتفه الأعمال فهو مجتمع وهن، ليس له أهداف يحيا من أجلها ولا يتقدم، يعيش متخلفاً في الحياة، ولا يكون له ذكر في الدنيا، ويبعث نادماً يوم القيامة.

وإن مشكلة الفراغ الذي يعاني منه الشباب في المجتمعات الحديثة مشكلة أساسها الاستهتار بالزمن، ولها آثار سلبية على الفرد والمجتمع وتظهر هذه الآثار بشكل واضح في الآتي:

البطالة المقنعة وكيف تضرب البطالة بأطنابها في العديد من بلادنا الإسلامية اليوم الانحرافات الفكرية والسلوكية بين العاطلين.
الشعور بالقلق وعدم الأمان الاجتماعي.

^(٢٥٠) جامع البيان، الطبري، مرجع سابق، ج ٨ ص ٢٣٤

^(٢٥١) المرجع السابق ٣٢٧.

فقدان تقدير الذات، الشعور بالفشل الدائم وأنهم أقل من غيرهم.

القلق والكآبة وعدم الاستقرار يكثر بين العاطلين أكثر من غيرهم.

وعند الأشخاص الذين يفتقدون الوازع الديني، يقدم بعضهم على تعاطي المخدرات شرب الخمر.

ازدياد نسبة الجريمة، كالانتحار والقتل والاعتداء، يكثر بين هؤلاء العاطلين.

ومن مشاكل البطالة أيضاً، الهجرة، وترك الأهل والأوطان دون أهداف محددة.

و لهذا كان السلف يعتبرون استغلال الوقت من علامات صلاح الإنسان، لأن الوقت هو الحياة، وما الإنسان إلا سنوات تمر وشهور، وأيام وساعات ودقائق.

وعلى المربين الاهتمام بالبرامج التي فيها استغلال الوقت في توجيه تلاميذهم وأبنائهم للاستفادة من أوقاتهم وزمن فراغهم، والقرآن والسنة النبوية يشيران إلى أجزاء الزمن في النصوص الكثيرة، مثل الليل، والنهار، والضحي، والعصر... الخ وكل العبادات المفروضة محددة بزمن، مثل الحج، والصوم والزكاة والصلوات الخمس...

وهذا إذا دل على شيء إنما يدل على ما للزمن في الإسلام من قيمة دينية وحضارية واجتماعية.

لَهُ ا : قَبِيحٌ اَتَجِدَا وَقَدَان اِيْب: وذلك حين قال: (...اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وإن لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف...) فقد بين الرسول ﷺ الأساس الذي يقوم عليه البناء الاجتماعي للأسرة المسلمة، وهي النواة الأولى للمجتمع المسلم، فلا بد من أن تقوم على ركائز ثابتة بينها الرسول ﷺ في الخطبة، المتمثل في الحقوق والواجبات المتبادلة بين أفراد الأسرة وأكد على تلك الحقوق، لاسيما حقوق المرأة التي شنع الإسلام بالظلم الذي كان واقعاً عليها في الجاهلية ابتداءً من حرمانها من الميراث وانتهاءً بوأدها في التراب (٢٥٢). وبعد أن عمد الإسلام تأكيد حقوق المرأة وجعلها كياناً إنسانياً له حقوق وواجبات، أصبح لا يعرف المجتمع الإسلامي ما نسمع عنه من مشكلة المرأة، لأن الله سبحانه هو الذي حل مشكلاتها وأعطاها كامل حقوقها وبابتعادها عن نهج الله تردت في وادي البعد السحيق، وعادت مهضومة الحقوق سلعة

(٢٥٢) فاروق حمادة الوصية التربوية، فاروق حمادة، مرجع سابق، ص ٨٠.

٣- استخدم الإشارة بإصبعه بعد استجوابهم وقوله: ((ألا هل بلغت اللهم فاشهد)) (٢٥٣). وهذه الأساليب تسمى عند علماء التربية وطرق التدريس استخدام المدرس الحافظ، ومفهوم الحافظ هو كل تأثير لغوي أو إيمائي يقوم به المدرس بهدف حث المتعلمين ودفعهم على التفكير والنشاط (٢٥٤). وله أنواع منها:

أ- التعزيز اللغوي وبعضهم يسميه الحافظ، وهو تدخل المعلم المباشر بكلمة تحفيزية أثناء إجابة التلميذ على سؤال ما، أو استكمال إجابته الناقصة؛ كقوله: استمر، برهن، علل إجابتك، في الاتجاه الصحيح، وضح أكثر، أحسنت، ممتاز...

ب- التعزيز المعنوي أو التمثيلي الإيمائي: وهو عبارة عن تعبيرات جسدية للمعلم كالإيماء والتمثيل، وتغيير ملامح الوجه، أو تحريك اليد بما يتوافق مع معاني حديث المتكلم؛ كما ظهر في أسلوب الرسول ﷺ حيث كان يشير بإصبعه، وذلك لمساعدة المتعلم على الإجابة السليمة أو فهم واستيعاب الحديث.

ج- التعزيز المادي ويكون عن طريق عرض وسائل تعليمية كالخرائط والرسومات أو تقديم الهدايا للمتعلمين تحفيزاً لهم على العلم.

٤- تتجسد القدوة في شخصية النبي ﷺ وهو النموذج الحي للشخصية التربوية الإسلامية المتكاملة ويتجلى ذلك في إبطاله الربا بإبطال ربا عمه العباس، كما أبطل دم ابن عمه ربيعة بن الحارث حين قال: (... وإن كل شيء من أمر الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين ودماء الجاهلية موضوعة تحت قدمي هاتين وأول دم أضعه دماً وأنا دم بن ربيعة بن الحارث كان مستر ضعاً في بني سعد فقتلته هذيل وربي الجاهلية موضوع وأول ربا أضعه ربانا ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله) ليكون ذلك أوقع في النفوس وأدعى للاستجابة وليكون الجميع على علم بأن الرسول ﷺ أول المطبقين لأمر الله (٢٥٥).

ونحن في تربيتنا المعاصرة ينبغي أن نقتدي ونستفيد من مثل هذه الأساليب التي نقتبسها من سيرة المصطفى ﷺ فلا بد أن يكون الآباء والمربون القدوة الصالحة لأبنائهم في البيوت والمدارس والمرافق العامة في المجتمع، وذلك بالالتزام والعمل بالقيم والمثل العليا التي يقوم عليها الدين الإسلامي.

٥- إعلاء قيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيان أن الالتزام قائم على البلاغ وأن أي قيمة لا تسود إذا تخلف أهلها عن إبلاغها.

(٢٥٣) هذه الصيغة وردت في بعض روايات الخطبة .

(٢٥٤) عبدالوهاب عوض كويرات مدخل إلى طرائق التدريس ص ٢٤١.

(٢٥٥) الوصية النبوية فاروق حمادة، مرجع، ص ٧٥.

فلا بد من الإضطلاع بهذه المهمة من الدعاة مهما كانت الظروف والإمكانات. وقد استدلت العلماء على أن الدعوة إلى الله وتعليم الناس مبادئ الدين ليس له مكان ولا زمان محددين، بقوله تعالى:

(يَا صَاحِبِي السَّجْنَ أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ . مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (٢٥٦) فيوسف عليه السلام يدعو إلى التوحيد ويقارن بين قيم التوحيد وما كان عليه قومه من الشر والضلال يدعو إلى هذا وهو في السجن فهل يبقى بعد هذا عذر للناس بأنهم لم يجدوا الفرصة لعمل الخير والدعوة إلى الإسلام وقيمة؟!)

والرسول ٣ ينزل عليه قوله تعالى: (فَاصْذَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) (٢٥٧). وهو في حال لا يستطيع أن يدافع عن نفسه. وقد أشارت الآية كذلك إلى أهمية إبلاغ الدعوة للناس وعدم الخوف من المشركين المستهزئين بالدعاة، والصبر على الأذى في سبيل الله والاجتهاد في العبادة؛ كالتسبيح والإكثار من السجود، وأن يكون ذلك خط الحياة، وفلسفة البقاء في الدنيا إلى أن ينتقل المؤمن إلى الرفيق الأعلى والذي عبرت عنه الآية (يَا أَيُّهَا الْيَقِينِ) (٢٥٨).

يقول سيد قطب في تفسير آيات الصدع بالدعوة: ((الصدع بالدعوة لا يعني الغلظة المنضرة أو الخشونة وقلة الذوق والجلافة؛ كما أن الدعوة بالحسنى لا تعني التدسس الناعم وكتمان جانب من حقائق هذه العقيدة، لا هذا ولا تلك إنما هو البيان الكامل لحقائق هذه العقيدة، ووضوح جلي وفي حكمة.... ومودة ولين وتيسير)) (٢٥٩).

وأن يبدأ بالأقربين، وهذا فيه تدرج، وهو مبدأ من مبادئ التربية، في الإصلاح والتقويم حيث يبدأ الإنسان بإصلاح نفسه أولاً، ثم أهل بيته، ثم المجتمع من حوله، ثم يدعو العالم، ونبته الآية إلى قيمة التواضع؛ وضرورة الولاء والبراء من الذين لا يستجيبون لنداء الإسلام، وتحدثت عن قيمة التوكل على الحي الذي لا يموت، وأشارت إلى ضرورة الإكثار من السجود.

(٢٥٦) سورة يوسف الآية: ٣٩-٤٠.

(٢٥٧) سورة الحجر الآية ٩٤.

(٢٥٨) سورة الحجر الآية ٩٩.

(٢٥٩) في ظلال القرآن سيد قطب، مرجع سابق، ج ٤ ص ٢١٥٥.

٦- خطاب الرسول ﷺ الصحابة بقوله: (المسلم أخ المسلم) وقوله: (عباد الله) وقوله: (كلكم لآدم و آدم من تراب) هذا فيه دلالة نفسية وتربوية حيث يشعر المستمعين أنهم متساوون ولو تفاوتت درجات إيمانهم، وهذا فيه توحيد الهوية، فهم مسلمون كلهم.

٧- استخدام الرسول ﷺ عبارة: (أوصيكم بتقوى الله) فيه تلخيص لرسالة الإسلام، وكان يفتح بها خطبه قبل أن ينتقل إلى تفاصيلها.

ج نأ تذا ثملنا ا

وفي ختام هذا البحث يذكر الباحث أهم النتائج التي توصل إليها ومنها:

١- تمثل خطبة حجة الوداع رسالة حضارية مفتوحة، موجهة إلى البشرية جمعاء، على اختلاف أزمانهم وألوانهم وأجناسهم وأماكنهم وعقائدهم... ولو تأملنا كل المبادئ التي تضمنتها خطبة حجة الوداع؛ لوجدنا اتفاق العقلاء كلهم وأهل الديانات كلها وأمم الأرض أجمعها على حاجة البشرية إليها.

٢- إن ما جاء في هذه الخطبة من القيم ومبادئ الإنسانية بمثابة الركائز التي يقوم عليها أمر البشرية في شتى المجالات التي تحتاجها، وعلي المسلمون خصوصاً أن يراجعوا أنفسهم أين هم من هذه الوصايا التي وصاهم بها المصطفى ﷺ وأشهد عليهم في ذلك رب العزة والجلالة، وذلك قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى بزمن وجيز، وفي ذلك اللقاء المهيّب، لا شك أننا سنسأل عن هذه القيم كما نسأل عن تعاليم الإسلام كله، قال تعالى: (فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ) (٣٠).

٣- تعتبر خطبة حجة الوداع؛ بمثابة أول إعلان لحقوق الإنسان كافة وليس إعلان حقوق المسلمين فقط بما اشتملت عليه من مضامين تحفظ للإنسان كرامته وحقوقه، بصرف النظر عن دينه ولونه وجنسه.

٤- التقويم السنوي نوعان: قمري قائم على رؤية القمر وشمسي قائم على العمليات الحسابية وكلاهما آيتان من آيات الله، والقرآن الكريم اعتمد التقويمين معاً لأداء العبادات،

(٣٠) سورة الزخرف الآية ٤٣-٤٤.

٥- لا يوجد المتن الكامل للخطبة، بل هي أجزاء متفرقة في عدد من المراجع ومذكورة بروايات متعددة وقد حاول جمعها وتحليل مضامينها بعض العلماء منهم: فاروق حمادة، وجمع بعض الخطب محمد خليل الخطيب في كتاب خاص وقام بالتعقيب على كل خطبة بذكر المراجع التي رجع إليها وهو جهد كبير وعمل عظيم يشكر عليه، ومع ذلك فإن الكتاب يحتاج إلي من يشرحه ويحلل مضامين تلك الخطب ويستخرج منها الدروس والعبر ليستفيد منه القارئ.

هذا آخر ما قصدناه في هذا البحث، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
١. الالتزام بالمعاملات والضوابط الشرعية، حسن شحاتة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت (د - ط) ١٩٩٦م.
 ٢. إنسانية الإسلام، مرسيل بوزارة، ترجمة عفيف، منشورات دار الأدب، بيروت، لبنان' الطبعة الثانية، ١٩٨٣م.
 ٣. تاج العروس، محمد علي الزبيدي، دار الفكر، بيروت، (د- ن) و (د-ط) ١٩٩٤م
 ٤. التربية الأخلاقية الإسلامية، مقداد يالجن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٩٦م.
 ٥. جامع البيان عن تأويل القرآن' أبي جعفر محمد ابن جرير الطبري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت (د - ط) ١٩٩٠م.
 ٦. الخصائص العامة في الإسلامى يوسف القرضاوى، مكتبة وهبة القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦م.
 ٧. روح الدين الإسلامى، عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلوم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة عشرة، (دون ت).
 ٨. السلفية وقضايا العصر، عبد الرحمن بن زيد، دار الكتاب العربى، بيروت لبنان طبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
 ٩. سنن الترمذى: محمد بن عيسى ابو عيسى الترمذى السلمى، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربى، بيروت لبنان، (د - ط) و (د-ت)
 ١٠. سنن الدار مى: عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدار مى تحقيق: فواز أحمد زمر لى، وخالد السبع العلمى دار الكتاب العربى، بيروت لبنان طبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
 ١١. السنن الصغرى: احمد بن الحسين بن علي البيهقى تحقيق محمد ضياء الرحمن الاعظمى، مكتبة الدار، المدينة المنورة -السعودية ، طبعة الاولى ١٤١٠هـ-١٩٨٩م
 ١٢. السيرة النبوية، ابن هشام دار الكتاب العربى، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٩م.
 ١٣. صحيح ابن خزيمة، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.
 ١٤. صحيح البخارى، الإمام البخارى، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٩٣م
 ١٥. صحيح مسلم الإمام مسلم، دار المعرفة (د- ن) و (د - ط) و (د- ت)
 ١٦. الطبرانى (المعجم الأوسط) أبو القاسم بن احمد الطبرانى، تحقيق طارق عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم، دار الحرمين، القاهرة مصر، الطبعة الثانية، ١٩٧٨
 ١٧. فتح البارى بشرح صحيح البخارى، للحافظ أحمد بن علي بن حجر، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

- ١٨ . فلسفة التربية الإسلامية، أحمد رجب الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.
- ١٩ . فهم أصول الإسلام علي عبد الحليم محمود، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة، الطبعة الأولى ، ١٩٦٦م.
- ٢٠ . في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٧٨م.
- ٢١ . القاموس المحيط، الفيروز آبادي مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٩٦م.
- ٢٢ . قاموس علم الاجتماع، محمد عاطف غيث، دار ابن كثير دمشق، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٨٦م
- ٢٣ . القيم والتربية لطفي بركات أحمد، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت (د - ط) ١٩٩٦م.
- ٢٤ . لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم، دار الفكر، بيروت، (دون ط) و (دون ت) .
- ٢٥ . مجمل اللغة، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، أحمد فارس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت (د - ط) ١٩٩٦م.
- ٢٦ . مدخل إلى التربية والتعليم ، خالد القضاة ، دار الباز العلمية ، عمان الأردن ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م
- ٢٧ . مدخل إلى طرائق التدريس، عبد الوهاب عوض كويران، دار جامعة عدن؛ اليمن، سلسلة الكتاب الجامعي الأول ١٩٩٨م.
- ٢٨ . المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- ٢٩ . معالم في الطريق، سيد قطب، دار الشروق، بيروت لبنان، الطبعة العاشرة ١٩٨٣م.
- ٣٠ . المعجم الوسيط باب مجمع اللغة العربية
- ٣١ . المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني،
- ٣٢ . مفهوم المساواة في الإسلام، رشاد حسن خليل، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٨م.
- ٣٣ . مقدمة في علم النفس الاجتماعي، مصطفى يوسف، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٦م.
- ٣٤ . ملامح المجتمع الذي ننشده، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- ٣٥ . من أساليب الرسول في التربية، نجيب خالد العامر، دار المجتمع، السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.
- ٣٦ . الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشاطبي إبراهيم ابن موسى، مطبعة المكتبة التجارية ، (د- ت) و (د - ط) .

٣٧. نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، دار الوسيلة، السعودية جدة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
٣٨. نظرية المنهج، جورج يوشامب ترجمة ممدوح محمد سامي، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة ١٩٨٦م.
٣٩. الوصية النبوية، فاروق حمادة، دار الثقافة، الدار البيضاء، الطبعة الثانية ١٩٨٣م.
٤٠. السيرة النبوية أبو الحسن الندوي، دار الشروق جدة، (د- ط) و (د- ت).

بسم الله الرحمن الرحيم

بحث بعنوان :

الأثر القرآني في شعر التيجاني يوسف بشير
(دراسة تأصيلية)

د. محمد عبد الله سليمان

أستاذ الأدب والنقد

كلية اللغة العربية

جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم

ملخص البحث

الحمد لله حمد الشاكرين ، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين .
وبعد

فإن موضوع هذا البحث يتلخص في أنه يقدم دراسة تأصيلية للأثر العميق الذي تركه القرآن الكريم في شعر التيجاني يوسف بشير من حيث الأساليب ، والمعاني ، والمضامين ، والصور ، وكيف استفاد الشاعر من هذه الأساليب والمعاني القرآنية ووظفها في خدمة بناء قصيدته الشعرية فجاءت قصيدته جزلة ، متينة ، سلسلة ، عميقة ، ويرجع كل ذلك إلى البيئة القرآنية التي نشأ فيها الشاعر ، واهتمت بالقرآن الكريم وتحفيظه مما حفز الشاعر للارتباط بالقرآن ، وقد أحدث ذلك أثراً بالغاً في تشكيل قاموسه الشعري ، وذخيرته اللغوية ، والأسلوبية ، مما جعله يمتلك طاقة تعبيرية وتصويرية هائلة مكنته من صياغة شعره بطريقة أسلوبية متميزة ، ولاغرو في ذلك لأن القرآن هو المنبع الصافي ، والبيان الوافي ، بل هو أعلى قمة لغوية وبلاغية على الإطلاق .

وتشتمل هذه الدراسة على ثلاثة مباحث هي : المبحث الأول - حياته وثقافته ، والمبحث الثاني - ارتباطه بالقرآن الكريم ، والمبحث الثالث - أثر القرآن الكريم في شعره .

مقدمة

الحمد لله الذي أنزله : (قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ) ^(٢٦١) أي بلسان عربي مبين لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس بل هو بيان ووضوح وبرهان ^(٢٦٢) والصلاة والسلام على أفصح العرب أجمعين وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين . وبعد فإن هذا البحث يتناول (الأثر القرآني في شعر التيجاني يوسف بشير _ دراسة تأصيلية) ، فمن خلال قراءتنا لديوان (إشراقة) تبين لنا أن القرآن قد ترك أثراً عميقاً في لغته، وأجوائه، ومضامينه الشعرية ، ولاغرو في ذلك فالتيجاني حفظ القرآن في سن مبكرة ، ونشأ في عائلة الكتياب التي اشتهرت بإنشاء الخلاوي لتعليم القرآن الكريم ، وأراد الباحث بهذه الدراسة أن يؤصل لهذا الأثر الذي تركه القرآن في شعر التيجاني ، وقد تناول النقاد شعره بالدراسة من زوايا مختلفة ، ولم يتركوا شاردة ولا واردة ، ولكنهم بحسب علمنا لم يأتوا على هذا الجانب الذي نحن بصدد دراسته .

أهمية البحث : وتتمثل في الآتي :

١. أنه يُعنى بدراسة الأثر الذي تركه القرآن الكريم في شعر التيجاني يوسف بشير .
٢. و أنه يتناول شاعراً يمتلك طاقة تعبيرية وتصويرية عالية ، وقدرة بيانية فائقة ، كان للقرآن القدر المعلى في تشكيلها .

أهداف البحث : وتتمثل في الآتي :

١. يبين مدى استفادة الشاعر التيجاني من القرآن الكريم ، وأساليبه اللغوية ، والبيانية ، وانعكاس ذلك على شعره .
٢. إثراء الدراسات التي تؤصل للأدب العربي من الكتاب ، والسنة .

مشكلة البحث : تتمثل في الآتي :

١. يتطرق هذا البحث إلى جانب لم يتناوله النقاد ، والباحثون من قبل في شعر التيجاني ، وهو أثر القرآن في شعره .
٢. تُعنى هذه الدراسة بتلمس واستنباط الأثر القرآني في شعر التيجاني من حيث ، الأسلوب ، والتعابير، و المضمون، و الأجواء

^(٢٦١) سورة الزمر ، الآية ٢٨

^(٢٦٢) ابن كثير ، تفسير القرآن ، مكتبة بيت السلام ، الرياض ، ط١ ، ٢٠٠٤ ، ج٤ ، ص ١٦٦٦

القرآنية، والألفاظ القرآنية البارزة، وتكثيف الصورة، و الصورة اللونية .

الدراسات السابقة :

بحسب علمنا لا توجد دراسات سابقة لهذا الموضوع .
منهج البحث : اتبع الباحث المنهج الوصفي الاستقرائي.

الصعوبات التي واجهت الباحث :

على الرغم من أن النقاد والباحثين قد تناولوا التيجاني تناولاً موسعاً وفي موضوعات مختلفة غير أنهم لم يتناولوا "الأثر القرآني في شعره" .
مما جعل الباحث يواجه صعوبات جمة في هذا الجانب أحوجته إلى بذل الجهد، وكد الفكر، وإمعان النظر.

هيكل البحث : تناول الباحث هذه الدراسة في ثلاثة مباحث، وهي على النحو التالي :

المبحث الأول _ حياته وثقافته : ويشتمل على :

١. مولده ونشأته .
٢. تعليمه وثقافته .
٣. حياته العملية .
٤. آثاره الشعرية والنثرية .

المبحث الثاني _ ارتباط التيجاني بالقرآن الكريم : ويشتمل على الآتي :

أ _ في الخلوة . ب _ في المعهد العلمي .

المبحث الثالث _ الأثر القرآني في شعره : وقد تناوله الباحث فيما يلي :

١. في الأسلوب.
 ٢. في التعابير.
 ٣. في المضمون.
 ٤. في لأجواء القرآنية.
 ٥. في ألفاظ قرآنية بارزة.
 ٦. في تكثيف الصورة .
 ٧. في الصورة اللونية .
- الخاتمة والمصادر والمراجع .

المبحث الأول

حياته وثقافته

مولده ونشأته:

ولد أحمد التيجاني بن يوسف بن بشير الكتيابي ، بحي الركابية بأم درمان ، بمنزل كائن بالقرب من شارع كرري ، ويجاور حي المسالمة. اختلف المؤرخون لحياة التيجاني في تاريخ ولادته ، فمنهم من قال أنه ولد سنة ١٩١٠^(٢٦٣) ومنهم من قال أنه ولد سنة ١٩١٢^(٢٦٤) وقد أشار الدكتور عبد المجيد عابدين إلى أن التيجاني " توفي سنة ١٩٣٧ بعد أن قضي من العمر خمسة وعشرين عاما تقريبا " ^(٢٦٥) وبهذا ينضم إلى القائلين بأنه من مواليد سنة ١٩١٢ ، وقد كتب والد التيجاني وثيقة ^(٢٦٦) بخط يده بين فيها أن التيجاني ولد في ١٠ ربيع الأول ١٣٣٠هـ ، ووجدنا أنه يوافق ٢٨ فبراير ١٩١٢ . وبهذا يرجح الباحث أن التيجاني من مواليد سنة ١٩١٢ م . . نشأ هذا الفتى الشاعر متوقداً بالذاكرة حاد التصور ذكياً حفظ القرآن يافعا ، وطلب العلوم بمعهد أم درمان العلمي وبرز في ناحية الأدب . وأشتهر به هذه الشهرة وهو بعد كما ترى من حداثة السن وأخذ في الاشتغال بالصحافة وأجاد فيما انصرف إليه من ضروب الخطابة الحقة ، ماجعله اليوم أكثر استعداداً للبحث والمناظرة والحديث ساعات في أدق المواضيع

* (٢٦٣) هنري رياض ، التيجاني يوسف بشير شاعرا وناثرا ، دار الثقافة بيروت ، لبنان ، ص ، ١٨ .

* التيجاني يوسف بشير ، إشراق ، مطبعة التمدن بالخرطوم ، ط ، ٤ سنة ١٩٦٤ (تعريف بحياة الشاعر العظيم) ص ، ٣

* (٢٦٤) محمد عبد الرحيم ، نفقات اليراع في الأدب والتاريخ والاجتماع ، شركة الطباعة والنشر الخرطوم ، سنة ١٩٣٦ ، ص ٢٢٣ .

* محمد عبد الحى ، بكرى بشير ، التيجاني يوسف بشير ، السفر الأول ، الآثار النثرية الكاملة ، مطابع راي لميند ، سنة

١٩٧٨ ، " نبذة عن حياة التيجاني يوسف بشير " ، الغلاف الأخير .

* إبراهيم التكنية ، التيجاني يوسف بشير أضواء على حياته ، ط ١ ، نوفمبر ١٩٧٥ ، ص ، ١٤ .

* (٢٦٥) ن . عبد المجيد عابدين ، التيجاني شاعر الجمال ، ط ٣ ، سنة ، ١٩٦٢ ، ص ، ٣ .

وأعمقها بلغة يتمنى الكثيرون أن لو كان لهم منها شيء وهم يكتبون
" (٢٦٧)

وأسرة الكتياب التي ينتمي إليها الشاعر هي فرع من الجعليين الذين سكنوا
حول شندي ، وهي من تلك الأسر المعدودة في هذه المنطقة التي وجهت
عنايتها منذ قديم إلى التعليم الديني وإنشاء الخلوات " الكتاتيب " .
هاجرت أسرة التيجاني من موطنها القديم بين الكتياب إلى أم درمان ،
كما هاجرت إليها بعض أفراد الكتياب وأنشأوا في أم درمان بعض الخلوات
لتحفيظ القرآن " (٢٦٨)

ففي هذه البيئة الصالحة نشأ التيجاني ، وترعرع في أسرة فاضلة ذات
تعاليم وتقاليد ، وعرفت بحب العلم والورع والتصوف ، ونشر العلوم
الدينية .

تعليمه وثقافته :

حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة في خلوة عمه عبد الوهاب الكتيابي ثم
التحق بالمعهد العلمي ودرس فيه علوم اللغة العربية والعلوم الإسلامية
وقد سأل هنري رياض عن ثقافة التيجاني صديقه محمد عبد القادر
كرف فأملى عليه مايلي : " كان التيجاني أثناء دراسته في المعهد ،
يدمن الاطلاع في الكتب الأدبية والتاريخية وكتب المتصوفة . ومن
أشهر الكتب التي قرأها ، كتاب ، " الملل والنحل " لابن الفتح محمد عبد
الكريم أبي بكر أحمد الشهرستاني ، " والرسالة القشيرية " لأبي القاسم
عبد الكريم هوازن ، " والحكم " لابن عطاء الله السكندري وكان لهذه
الكتب ، وغيرها أثر بعيد في إرهاب حسه ، مما أضفى على أسلوبه ذلك
الغموض الذي يبدو هنا وهناك في بعض تعابيره وخاصة في قصائده :

(٢٦٦) محمد عبد الحي ، التيجاني يوسف بشير الأعمال النظرية الكاملة، الوثائق ، ص ، ١٧٧ محمد عبد الرحيم ، نفقات اليراع ، ص ٢٢٣

(٢٦٧) محمد عبد الرحيم ، نفقات اليراع ، ص ٢٢٣

(٢٦٨) عبد المجيد عابدين ، مقدمة ديوان إشراقه ، مطبعة التمدن بالخرطوم ، ط ، ٤ سنة ١٩٦٤ ، ص ٥

"قلب الفيلسوف " و " الله " و "أنبياء الحقيقة " و " الصوفي المعذب " (٢٦٩)
والتيجاني كواحد من الشعراء المتمعقين في اللغة في عصره كان
يذاوم على قراءة القاموس المحيط حتى كاد أن يحفظه " (٢٧٠)

وقرأ التيجاني ثقافة وأدب محيطه العربي ، " وكان التيجاني دائم
الاطلاع على المجالات المصرية ، مثل البلاغ الأسبوعي ، والمقطم والهلال
والمجلة الجديدة وأبولو وعلى آخر منتجات الفكر العربي عامه والمصري
خاصة " (٢٧١)

وكان للجمعيات الثقافية أثر في تشكيل ثقافة التيجاني يقول الأستاذ
حسن نجيلة في دراسته " التيجاني كما عرفته " : " نشأت جمعيات
القراءة في المنازل واشتهرت بعض أحياء أم درمان بها ، وكانت ذات أثر
بعيد في حياتنا الأدبية ، وفي تيارات النهضة الوطنية عندما قدر لها أن
تبرز إلى حيز الوجود بعد أن كانت تحضر وتعد سراً في الخفاء ، وكنا
نلتقى في جمعيات القراءة هذه

كل من الزملاء الذين يشعر بالتقارب الفكري معهم .. وكانت في أم
درمان جمعيتان مشهورتان إحداهما في " الهاشماب " والأخرى في " أبي
روف " يلتف حولهما عدد كبير من شباب ذلك الجيل كان لأكثرهم
أثر بارز في تاريخنا الوطني فيما بعد ، وكنت أسمع من بعض أصدقائي
عن جمعية أخرى لبعض شباب المعهد العلمي تجتمع في دار خلوة الكتيابي
بأم درمان قوامها ثلاثة من شباب المعهد هم ، التيجاني يوسف بشير ،
ومحمد عبد الوهاب القاضي ، ومحمد عبالقادر كرف المدرس بالمدارس
الثانوية والشاعر المعروف (٢٧٢)

(٢٦٩) هنري رياض ، التيجاني يوسف بشير شاعراً وناثراً ، ص ، ٣٠ .

(٢٧٠) نقلاً عن جاد الله الطاهر النذير ، التيجاني يوسف بشير حياته وعصره -شعره ، قاتلاً " هكذا روى لي الشيخ أحمد عبد الرازق زميل التيجاني في المعهد " ص ١٢٧

(٢٧١) هنري رياض ، المرجع السابق ، ص ، ٣١

(١) حسن نجيلة ، دراسات في شعر التيجاني ، التيجاني كما عرفته ، ص ، ٩ ، ١٠ .

حياته العملية :

كان التيجاني مرهف الإحساس يحس كل شيء بعاطفة الشاعر ، ومن ذلك مشاعره تجاه أسرته التي كانت تعاني مرارة الفقر ، وتعيش الكفاف والده صانع وبائع أحذية بسوق أم درمان يكسب عيشه بشق الأنفس ليلبي بعض ضرورات الحياة لأسرته ، " وكان التيجاني يقيم مع والده في منزل من الطين ، مكون من عدة غرف ، كأكثر بيوت أم درمان ... ولم يكن بمنزل والده مواسير للمياه ، ولعلها لم تتصل بمنزله إلا بعد أن عم انتشارها عام ١٩٣٢ تقريباً ، كذلك لم يكن به تيار للنور الكهربائي ، فكان لكي يواصل التيجاني قراءته ليلاً ، يجلس وضوء لمبة صغيرة بجانبه ، كانت تشتري بمليم واحد . وقيل أنه لطالما واصل القراءة ، حتى يفرغ غاز اللمبة ليترك دخانها القائم أثراً على جبهته " (٢٧٣) هذا الوضع الأسرى جعل التيجاني يستشعر المسؤولية تجاه عائلته ، ويدرك أنها في حاجة لمعونته المالية وهو طالب في المعهد العلمي ، مما جعله وهو في تلك السن الباكرة أن " يلتحق بالجريدة التجارية عام ١٩٣١ ليعمل مصححاً بها وكاتباً لبعض المقالات النقدية والأدبية ، تلك التي أصدرها المرحوم سليمان داود منديل عام ١٩٢٨ ، والتي

أضحت تسمى " ملتقى النهرين " منذ صدور العدد رقم ١٦٠ بتاريخ ٣٠/٣/١٩٣١ ولم يكن يتقاضى أول الأمر إلا أجراً رمزياً على جهده في التصحيح ، وأنه لما ظل يعمل بملتقى النهرين حتى عام ١٩٣٢ ، لربما تقاضى أجراً أسبوعياً لا يتجاوز خمسين قرشاً وكان العمل بالجريدة التجارية وملتقى النهرين يوجب عليه الحضور إلى الخرطوم ، في الصباح الباكر ، على ألا يعود إلى منزله إلا بعد الثالثة ظهراً " (٢٧٤) وعمل في شركة سنجر بعد أن ترك العمل بجريدة ملتقى النهرين " التحق بالعمل في شركة سنجر " فرع أم درمان " وكان يتقاضى أجراً أسبوعياً قدره أربعين قرشاً . وكان عمله هو تحصيل قيمة الماكينات من المشتريين . ورغم أنك تجد اسم التيجاني يوسف بشير في سجلات الشركة ، إلا أنك لا تعثر على ملف خدمته ، فقد عبثت به أيدي الضياع ، ولكن موظفي الشركة يرجحون أنه عمل بها عام ١٩٣٣ لمدة لا تتجاوز العام " (٢٧٥)

(٢٧٣) هنري رياض ، التيجاني شاعراً وناثراً ، ص ٤٦ .

(٢٧٤) هنري رياض ، المرجع السابق ، ٤٧ .

(٢٧٥) * هنري رياض ، المرجع السابق ، ٤٧ .

وقد عانى التيجاني من البطالة المباشرة تارة والمقنعة تارة أخرى ، " ثم التحق التيجاني بجريدة النيل عام ١٩٣٥ في وظيفة مصحح . بأجر أسبوعي لا يتجاوز خمسين قرشاً. ولكنه لم يستمر كثيراً في وظيفته الأخيرة . ويخيل إليّ أن البطالة قد ظللته بجناحيها مرة أخرى ، لفترة غير قصيرة ، حتى التحق في منتصف سبتمبر ١٩٣٦ بمجلة أم درمان ، التي أصدرها المؤرخ محمد عبد الرحيم ، وعين التيجاني محرراً بها ولكن لم يقيم التيجاني إلا بتحرير ستة أعداد فحسب " (٢٧٦) اتفق المؤرخون والمترجمون للتيجاني على أن تاريخ وفاته كان في سنة ١٩٣٧ بداء الصدر يقول هنري رياض " التيجاني يوسف بشير توفى سنة ١٩٣٧ ، بعد أن قضى من العمر خمسة وعشرين عاماً تقريباً ، ظهر فيها نبوغه ، وخلف لنا مجموعة قيمة من الشعر ، قام على نشرها نضر كرام ، أحسنوا صنعا بإذاعة هذا الشعر على الناس " (٢٧٧) .

آثاره الأدبية

ديوان إشراقه :

عرف بعض الأدباء والشعراء والنقاد في مصر والسودان مكانة التيجاني الأدبية منذ أن كان ديوانه (إشراقه) مخطوطة لم تطبع بعد ، وهذا ما سجله الدكتور الشاعر إبراهيم ناجي في " مهرجان ذكرى شاعر السودان التيجاني يوسف بشير " الذي أقامته لجنة التأليف والترجمة الحديثة بمصر ، بنادي نقابة الصحفيين بالقاهرة يوم ١٤ مايو ١٩٤٦ تكريماً للنبوغ والعبقرية ، وإحياء لذكرى نابغة الشرق الشاعر العبقرى التيجاني يوسف بشير ، وقد ألقى في الحفل كلمات وبحوث قيمة ومهمة نشرتها لجنة التأليف والترجمة في كتيب ، يقول الدكتور إبراهيم ناجي : " زارني

* عبد المجيد عابدين ، مقدمة ديوان إشراقه ، ص ٧

(٢٧٦) هنري رياض ، التيجاني شاعرا ونائرا ، ص ٥١

(٢٧٧) هنري رياض ، التيجاني شاعرا ونائرا ، ص ٣٥

أحد أصدقائي الشعراء الممتازين ومال علي وسلم إليّ كراسة صغيرة فيها شعر مخطوط ، وهمس في أذني أن في هذه الكراسة شعراً نادراً ... فأخذته منه وفي نفسي ارتياب.. ولكني ما كدت أقرأ بيتين حتى أغلقتها باحترام إلى حين ، منتظراً أن أخلو بها وليس بيننا ثالث ! ... وفعلاً خلوت بها ذات ليلة إلى مطلع الفجر ... وتكررت تلك الليلة .. أجل تكررت : والشعر العبقري ... متعة وسحر ودوار وخيال ، وظماً ثم ري ، ثم ظماً وسفر مع النجوم ، وانتقال إلى اللانهاية ، ورحيق لا ينسى وعبق ينصب في ذاكرة الروح ... غير أن أصحابها الأصليين جاءوا لاسترداد وديعتهم فمأطلت حتى هؤلاء ... وانهالت علي الخطابات من مصر والسودان ... فأحياناً كنت أدعي أنها فقدت وأحياناً أداور ثم لنت أخيراً بشرطين الأول أن أحاضر عن التيجاني في النادي السوداني والثاني أن أكتب مقدمة لديوانه فلا الأول ولا الثاني أراد الله أن يكون .. وصدر ديوان إشراقة ثم بزغ ثم اختفى ، وتحافظته أيد قليلة...^(٢٧٨)

وديوان " إشراقة " هو المرجع الوحيد الذي يعتمد عليه الباحثون في شعر التيجاني وهو ديوان شعر جمعه التيجاني في حياته وكتب عليه الجزء الأول مما يؤكد لنا أن التيجاني كان ينوي إصدار أجزاء أخرى من " إشراقة " " فنسخ الجزء الأول منه وقدمه سنة ١٩٣٤^(٢٧٩)

حسب قانون المطبوعات وقد علق عليه إدوارد عطية مدير المخابرات بهذه العبارة الموجودة في المخطوطة التي عند والد الشاعر " رخص بالطبع للمؤلف وليس هذا الترخيص بمانع للمسؤولية التي يشترك فيها الطابع

(٢٧٨) إبراهيم ناجي ، مهرجان ذكرى شاعر السودان التيجاني يوسف بشير ، " هذا هو التيجاني " القاهرة

١٤ مايو ١٩٤٦ ، ص ٢١

(٢٧٩) كتب عليه " إشراقة " الجزء الأول ... وهو يتضمن سبعا وخمسين قصيدة حسب ترتيب الطبعة الثانية تبدأ بقصيدة قطرات

ص ١ ، وتنتهي بقصيدة مدامع ومجامر ص ٧٥

والمؤلف حالة ما إذا جدد أو زيد في الكتاب ما يكون له مساس بجانب الحكومة وهذا طبق قانون المطبوعات الجديد " (٢٨٠)

ولم يطبع الديوان ويقال أن السبب يرجع إلى أن التيجاني أضاف إليه قصائد جديدة عن مصر فممنع طبعه ، ولكن الباحث يرى أن السبب الذي وقف حائلاً دون طبعه هو ضيق ذات اليد .

وقد توفي التيجاني ١٩٣٧ وفي نفسه حسرة ، لأن ديوانه لم يطبع ، فقد كان يمني نفسه أن يرى ديوانه مطبوعاً ، حتى يتأكد أن هذا الأدب الرائع قد كتب له الخلود ، ووجد مكانه في نفوس الناس، ولكن أقدار الله شاءت أن لا يرى الديوان النور إلا في سنة ١٩٤٢ ، في طبعته الأولى على " نفقة الأستاذ علي البرير بمعاونة أو مساهمة من محمد محمود جلال، الذي قدم الطبعة الأولى ويغلب على الظن أن الطبعة الأولى لم تكن تتجاوز ألفي نسخة ، وزع أكثرها بمصر ، ووزع القليل منها بالسودان " (٢٨١)

آثاره النظرية :

لقد ترك التيجاني آثارا نظرية في العديد من الصحف في عصره ، وقد جمع الدكتور محمد عبد الحي نثر التيجاني المبعثر في هذه الصحف في كتاب سماه " ، التيجاني يوسف بشير ، الآثار النظرية الكاملة " وقد كان لنثر التيجاني دلالات ثقافية واجتماعية وسياسية ، أما فيما يتعلق بالدلالات الثقافية فإنه يعبر عن إيمان التيجاني العميق في تطوير الإنسان وتغيير المجتمع والانتقال به نحو النهضة والرفعة والسمو ففي مقالاته النظرية توجيهات صائبة ، وحوارات عميقة ، ونقد متجدد ، ومعلومات ثرة يستفيد منها القارئ ، وأفكار ممتعة أهم ما يميزها عنصر الجودة والابتكار والاستنارة العقلية والثقافية التي يتمتع بها التيجاني ويدل بحثه " في المستوى الشعري للأمم " على إلمام واسع بأفاق الشعر محلياً وعربياً وعالمياً وعلى اطلاع متأن في الأدب العربي ، وعلى أكثر ما ترجم من الآداب العالمية فتجده ملماً إمام الحاذق الخبير بهذه الآداب فتجده

(٢٨٠) جاد الله الطاهر النذير، التيجاني حياته وشعره وعصره ، رسالة ماجستير مخطوطة ، ص ١١

(٢٨١) هنري رياض ، التيجاني شاعراً وناثراً ، ص ٨

يحلل ويرسم السمات العامة لكل أدب منها في دقة ، ويبدى ملاحظاته عل الأدب العربي الحديث في مصر وسوريا وعلى الأدب العالمي في فرنسا وإنجلترا والهند واليونان وغيرها ويدل هذا على ملاحظاته الدقيقة للاتجاهات الشعرية العامة بين الأمم المختلفة . ومن الدلالات الاجتماعية لنشره مقاله " الكسكتة " إنه يعالج قضية اجتماعية هي انجراف الشباب وراء العادات والتقاليد الغربية وتركهم لتراثهم الوطني وموروثهم الاجتماعي في الزي " يتميز كل شعب بميراثه الخاص من كل شيء سيما الأزياء إذ كانت هي التي تجسم عزة الأمة وذاتيتها تجسماً حقيقياً وتهبها بعض الاستقلال والحرية التي يشاء الله أن يفقدها هذا البلد في كل جانب " (٢٨٢) أما دلالات نشره السياسية فموزعة بين موضوعات عديدة في نشره منها " ضرورة الوحدة الأدبية بين مصر والسودان " حيث يقول " والآن لقد بلغ الإنجليز ما أرادوا . وضربت يد الغدر والمطامع على كل شيء ، حتى لتوشك أن تضرب على النيل فلا يعود يعرف أين تكون مصر " (٢٨٣)

(٢٨٢) التيجاني يوسف بشير ، الكسكتة ، مجلة أم دزمان ، ١٨٣ ،
(٢٨٣) التيجاني يوسف بشير ، مجلة الرسالة المصرية ، العدد ٧٨ ، مارس ١٩٣٥ ، ص ٣٤٩

المبحث الثاني

ارتباط التيجاني بالقرآن الكريم

ارتبط التيجاني بالقرآن الكريم ارتباطاً وثيقاً منذ طفولته الباكرة ، حيث أنه نشأ في بيت علم ودين فكان للخلوة والمعهد العلمي أثرهما الكبير في توطيد هذه العلاقة .

أ - في الخلوة :

التحق التيجاني بخلوة عمه الشيخ عبد الوهاب القاضي الكتيابي ، ليتلقى فيها دروسه الأولى في القراءة والكتابة ، وقد حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة (٢٨٤) ، وكانت الخلوة معبداً له يقضي فيها جل وقته ، يتوجه نحوها منذ الصباح الباكر ، يدغدغ عينيه ، متبرماً ، ساخطاً ، حانقاً ، وقد ضاقت نفسه ، وبكى قلبه ، يجرر رجليه متثاقلاً في الذهاب إليها ، " ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن كل من درس في الخلوة أو الكتاب ، يجد في قصيدته "الخلوة" مرآة لنفسه في أيام دراسته الأولى " (٢٨٥) والتي يقول في مطلعها :

هب من نومه يدغدغ عينيه مشيحاً بوجهه في الصباح (٢٨٦)

وتكاد تشتم رائحة الدواة (٢٨٧) المميزة وهي تضحك ثوبه ، وتروى رأسه ، بعبيرها الفواح في قوله :

ضمخت ثوبه الدواة وروت رأسه من عبيرها الفواح (٢٨٨)

وصورة شيخ الخلوة المرسومة في ذهن كل طالب درس فيها ، هو ذلك الرجل ، المهيب ، الجاد ، الذي يعاقب الطالب على كل كبيرة وصغيرة ، ولا تفوته شاردة ولا واردة ، هذا الحزم الذي تتطلبه ظروف مهنته حتى تتحقق الجدية المطلوبة التي تنجز

(٢٨٤) هنري رياض ، التيجاني شاعراً وناثراً ، ص ١٩

(٢٨٥) هنري رياض ، المرجع السابق ، ص ١٩

(٢٨٦) التيجاني يوسف بشير ، ديوان اشراقه دار الجبل بيروت لبنان ط ٨ ، سنة ١٩٨٧ ، ص ، ٧٣ .

(٢٨٧) هي المداد الذي يكتب به الطالب في الخلوة ، و تصنع من المادة السوداء التي تعلق بصاج العصيدة ، فيحكها الطالب ويضيف إليها قليلاً من الماء والصبغ

العربي والشعر وجودتها يتحكم فيها الطالب بحسب خبرته في صناعتها ، و قلمها من فصوص القصب يبريه الطالب بطريقة معينة ويكتب به على (اللوح

الذي يصنع من الخشب .

(٢٨٨) التيجاني يوسف بشير ، ديوان اشراقه ، ص ، ٧٣

الهدف ، ولكن هذا الحزم من الشيخ يزرع نوعا من الخوف ، في نفس الطالب ، مما يجعله في حالة توتر دائم ، وفي حالة ارتباط نفسي دائم بالخلوة حتى ولو كان خارجها ، ونظرة التيجاني النافذة إلى أعماق شيخة وقراءة ما خفي من مناحيه لهي تعبير صادق عن هذه الحالة ، ولم يجد التيجاني لفظا مناسباً يستخدمه ليصف به شيخه إلا لفظ " الجبار " :

ورمى نظرة إلى شيخه الجبار مستبطناً خفي المناحي

نظرة فسرت منازع عينيه ونمت عما به من جراح^(٢٨٩)

وانظر إليه وهو يرسم صورة لزملائه وقد أصاب نفوسهم الإعياء ، والرهق وهم مرتكزون على ألواحهم ، وقد أخذتهم سنة قصيرة سرعان ما قطعها صوت الشيخ القاصف، المدوي، المرزم الصاخب، فتستعيد النفوس صحوها ، فتعود الأصوات من جديد تهمهم بأي الذكر الحكيم :

ونفوس سجي الكرى في حواشيتها ودب الفتور فى الأرواح

فارجحت مهومات وماتبرح مركوزة على الألواح

كلما لفها النعاس وأضفى فوقها عالما ندي الجناح

قصف الرعد في المكان ودوى مرزما صاخبا قوي الصياح

فاستفاقت وهيمنت بعض أشيا ء وعادت وعاد قصف الرياح^(٢٩٠)

ولكن برغم ذلك فإن التيجاني تنتابه حالة من الحنين الدافق إلى أيام " الخلوة " ، وتتوق نفسه إلى ذكراها ، فذكريات الخلوة صور غراء من الماضي الحبيب إلى نفسه يعيشها بكل تفاصيلها الدقيقة ، فكل ما يربطه بالصبا عنده جميل :

حبذا خلوة الصبي ومرحى بالصبا الغض من ليال وضاح

(٢٨٩) التيجاني يوسف بشير ، المرجع السابق ص ، ٧٣

(٢٩٠) التيجاني يوسف بشير ، المرجع السابق، ص، ٧٤.

صور الصبا الأغر موشا ة بأحلامه وضوء الصباح
يدفق البشر من مفاتن دنيا ها وتفتر عن سنا وضاح (٢٩١)

ب - في المعهد العلمي

بعد أن حفظ التجاني القرآن الكريم في خلوة عمه الشيخ الكتيابي ، التحق بالمعهد العلمي^(٢٩٢) بأم درمان سنة ١٩٢٦ ، وكان الدارس في المعهد آنذاك يتلقى العلوم الدينية ، واللغة العربية ، ولم تكن العلوم الحديثه من مقررات المعهد ، " ولا بأس من إلقاء نظرة عابرة على الكتب المنهجية التي درسها التجاني في السنوات الخمس التي قضاها في المعهد ، ومن ذلك التوحيد ، العقباوية والخريدة ، ثم السنوسية الصغرى فالجوهرة ، والفقه ، الصفتي والعزية وأقرب المسالك ، أما النحو فالأجرومية والأزهرية وقطر الندى والألفية شرح ابن عقيل ، والصرف ، الظرف في علم الصرف ، وصرف الألفية ، أما السيرة النبوية ، فسيرة ابن هشام ، والسيرة النبوية للشيخ محمد هارون ، والبيان رسالة الدرديري ، ثم السمرقندية ، أما الأدب فدراسات عامة لكل العصور ... والحساب ضرورة أملت الحاجة الماسة لهذا الضن في تقسيم الموارد وبالتالي فطالب المعهد لابد أن يعرف الكسور والنسب المئوية من عمليات الضرب والطرح

(٢٩١) لتيجاني يوسف بشير ، المرجع السابق ، ص ، ٧٤

(٢٩٢) أنشئ المعهد العلمي في أم درمان سنة ١٩٠١ لتدريس العلوم الدينية في جامع أم درمان ولكنه بدأ نهضته الحقيقية سنة ١٩١٢ عندما تولى رئاسته الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم ، وكان الشيخ أبو القاسم عندما عين شيخا للعلماء خلفا للشيخ محمد البدوي أقنع الحكومة ببناء مسجد جديد ، ومعهد ديني يلحق بالمسجد على قطعة أرض موقوفة تحيط بالمسجد القديم بأم درمان هذا المعهد أطلق عليه (المعهد العلمي) وجعلت منهج التدريس فيه تابعة لمنهج الأزهر . ومراحل التعليم في هذا المعهد هي ثلاثة : الأولية والوسطى والعالية ، تمنح في كل منهما شهادة دراسية . فالأولية أربع سنوات يحصل بعدها الطالب على الشهادة الأولية وهي فترة يقضيها الطالب في غير المعهد ؛ والمرحلة الوسطى أربع سنوات أخرى يحصل بعدها على الشهادة الأهلية ؛ والمرحلة العليا مدتها أربع سنوات يحصل بعدها على الشهادة العالمية .

والقسمة " (٢٩٣) وقد كان المعهد في ذلك الوقت يضم المدرسين المتخصصين^(٢٩٤) في الفروع المختلفة .

ولذلك نهل التيجاني قسطاً وافراً من العلوم الأدبية ، وصادف ذلك هوى في نفسه الميلالة أصلاً إلى الأدب والعاشقة له فسيطر الجانب الأدبي على تفكيره ، وكان شغله الشاغل وبالرغم من أن التيجاني كان كثير الاطلاع إلا أنه لم يطلع على علوم الاقتصاد والسياسة والاجتماع وركز على كتب الأدب والتاريخ والتصوف.

ويرى هنري رياض أن السبب في ذلك " يرجع إلى أن المجتمع الذي كان يعيش فيه ، قد مال إلى الأدب ميلاً كبيراً ، بأكثر من ميله للسياسة ، ولأن الاستعمار لم يكن يسمح بنشر الثقافة الحديثة في أرجاء السودان ، ولأن الصحافة كانت تخشى التطرق إلى المواضيع السياسية المواضيع التي كانت تشغل أذهان الناس في العالم الكبير أو الصراحة في مواجهة الاستعمار " (٢٩٥)

واستمر التيجاني مواصلاً لدراسته في المعهد ، وممارساً لنشاطه الأدبي والثقافي، وبدأ يظهر نبوغه الأدبي ، ولاحظ ذلك زملاؤه ، وأساتذته ، ومدير المعهد ، " وظهرت ملامح النجابة والذكاء عليه ، وشاعت بين طلاب المعهد ومدرسيه ، وجعل شيخ المعهد الأول أبو القاسم أحمد هاشم يعجب بنجابة التيجاني وفرط ذكائه ، ولم تكن تطاوعه نفسه المتوثبة إلى المعرفة ، أن يقف مكتوف اليدين أمام ما يلقي عليه صباح مساء من

(٢٩٣) سجلات المعهد ، بواسطة الشيخ على سسيماوي ، ١٩٦٠ ، عن جاد الله الطاهر النذير ، التيجاني حياته وعصره وشعره ، ص ٧٥ .

(٢٩٤) نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الشيخ محمد الأمين الترابي الذي اشتهر بالميراث ، والشيخ محمد الأمين الضرير الذي اشتهر بالفقه والشيخ النذير الذي اشتهر بالعقائد ،

والشيخ العاقب الذي اشتهر بالنحو والبلاغة والشاعر الأديب الأستاذ حسين منصور الذي اشتهر بالرياضيات ، وقد رعى التيجاني في محاولاته الشعرية الأولى.

(٢٩٥) هنري رياض ، المرجع السابق ، ص، ٢٢

زملائه الطلاب ومن أساتذته ، من الموضوعات الأدبية والدينية فكان يناقشها ويبدى فيها رأيه " (٢٩٦)

إن ملكة التيجاني وموهبته الشعرية قد تفتقت وهو لم يزل طالباً بالمعهد العلمي ، إذ نظم بعض القصائد ، وتبارى في النظم مع زملائه ، ومطارحة الشعر ، وخاصة مع محمد عبد القادر كرف ، والهادي عثمان العمرابي ، ومحمد عبد الوهاب القاضي .

وعلى الرغم من كل ما حدث له في المعهد إلا أنه ظل مخلصاً له فخورا به معتزاً بدوره الذي يلعبه وقد صاغ ذلك نثراً وشعراً ، وقد حدثنا التيجاني في مقاله (المعهد العلمي في ربع قرن) قائلاً : " ذلك الاعتراز الذي كان جميلاً يوم ألقى إليّ صديقي الأستاذ العالم الجليل الشيخ إبراهيم يعقوب ، أن يدعو إلى الكتابة عن (المعهد العلمي في ربع قرن) وهو من الأبيكار الذين خرجهم المعهد العلمي ... فليس بدعاً أن يحرص على أن يؤرخ للمعهد الذي نشأه وسوى منه عالماً ينضج من غلة هذا البلد الضامئ وينشر بين أبنائه نور المعرفة والعلم والإيمان . لقد كان ذلك أقل ما نرقبه من إخواننا طلبة المعهد وخريجيه في وقت أحوج ما يكون المعهد فيه إلى حركة كهذه تحفظ له آثاره وتدعو له بين هذه الأمة التي يتداركها الله في وقت يجهل فيه بعض الناس أن في السودان معهداً علمياً خرّج حتى الساعة من عليه القوم العلماء المحققين عشرات وعشرات وما تزال بين يديه الآن مئات العلماء من الشباب الذين ليس بينهم وبين هذا الشرف العلمي إلا أن تهبهم المشيخة أوراق الشهادات " (٢٩٧)

(٢٩٦) مقدمة ديوان إشراقه ، عبد المجيد عابدين ، ص ٦ .

(٢٩٧) التيجاني يوسف بشير ، (المعهد العلمي في ربع قرن) ، مجلة أم درمان ، السنة الأولى ، العدد الرابع ،

وهكذا تتضح لنا العلاقة الحميمة بين التيجاني ومعهدده ، وحرصه على توثيق تاريخ المعهد خوفاً من الضياع والاندثار ، ويرى أن هذا العمل الجليل الضخم لا يستطيع أن يقوم به فرد بل يحتاج إلى لجنة تتوخى فيه الدقة والتحقيق " وفكرة الأستاذ إبراهيم ليست حديثة العهد ولا جديدة على الأسماع فلقد كان يتحدث بها إليّ قبل سنتين طالباً إليّ في ثقة الصديق الذي له بالمعهد نازع عرق أن أنهض بهذا العمل وحدي بعد أن أكون قد جمعت له من الوثائق والمعلومات ما يكفل لي القيام به على أتم أوجهه . وكنت أرى يومئذ أن يوكل هذا العمل إلى لجنة تبحثه وتتقري جوانبه حتى تستوثق من صحة ما تكتب . معتمدة على الوثائق الرسمية المحفوظة بإدارة المعهد فيما يختص بالناحية الحكومية والأهلية منه وفيما يتعلق بإنشائه وكيف سار وكم يدا أسبق على هذا البلد وما إلى هذا مما يحفل به تاريخه المجيد " (٢٩٨)

وكيف لا يولى التيجاني المعهد جل اهتمامه ؟ وهو ابن سرحته الذي غنى به ، وهو محط عهد صباه ، الذي يحفظ له الود وحسن الصنيع ، وهو الذي ودع عهد صباه تحت ظلاله وكانت سنواته التي قضاها فيه من أجمل سنوات عمره :

السحر فيك وفيك من أسبابه دعة المدل بعقري شبابه
يا معهدي ومحط عهد صباي من دار تطرق عن شباب نابيه
ودعت غض صباي تحت ظلاله ودفنت بيض سني في محرابه

(٢٩٨) التيجاني يوسف بشير ، " المعهد العلمي في ربع قرن " ، مجلة أم درمان ، السنة الأولى ، العدد الرابع ،

هو معهدي ولئن حفظت صنيعة فأنا ابن سرحته الذي غني به (٢٩٩)

ويبدو أن التيجاني كان عاتباً على طرق التدريس التقليدية التي كانت سائدة في المعهد ، وخاصة فيما يتعلق بالطريقة النمطية التي كانت تدرّس بها مادة النحو ، وهذا الاحتجاج إن دلّ على شيء إنما يدل على عقلية التجديدية ، التي كانت تبحث دائماً عن الجديد المبتكر وعدم الوقوف عند الطريقة الواحدة بل تخطيها وابتداع طرق جديدة مواكبة لروح العصر ، وهذا ما لمسناه في قوله :

ولقيت من عنت " الزيود " مشاكلا وبكيت من " عمرو " ومن إعرابه (٣٠٠)

المبحث الثالث

الأثر القرآني في شعره

القرآن بأسلوبه ولغته له تأثير على كل شاعر وناثر بدرجة ما ، بيد أن التيجاني يتميز بكثرة اقتباساته من الألفاظ القرآنية، بل إننا نجد في كثير من قصائده يحوم حول الأجواء القرآنية: في ارتباطه بالعبارة أو المضمون أو الأسلوب، و التيجاني قد حفظ القرآن في سن مبكرة ، وكان لذلك الأثر الكبير على لغته ، فصي لغة التيجاني كثيراً ما نقع على تركيب أو جملة مأخوذة من القرآن أصلاً، يسوقها في شعره كما هي بمعناها الأول أو في سياق جديد. وليس سبيلنا أن نذكر في كل استعمال كيف كان في القرآن وكيف غدا عند التيجاني إلا إذا وجدنا ضرورة تحتم ذلك. ومن أساليب القرآن المتنوعة وجدنا بعض الاستعمالات في شعر التيجاني جمعناها لنشير بأنه اقتبسها من القرآن الكريم .

(٢٩٩) التيجاني يوسف بشير ، يوان اشراقة، ص ، ٧٧ ، ٧٨ .

(٣٠٠) التيجاني يوسف بشير ، يوان اشراقة، ص ، ٧٧ ، ٧٨ .

ونحن هنا لا نتحدث عن مواضيع القرآن في تناولنا المضمون، بل نقف عند الآية ذاتها، وكيف كانت عند التيجاني، ودليلنا إلى ذلك وجود كلمة أو أكثر توحى لنا بالأصداء القرآنية، وما من شك في أن الشاعر بكثرة استفادته من القرآن الكريم قد حافظ على جزالة اللغة، واقترب من المألوف اللغوي. وقد بدا تأثير القرآن على التيجاني فيما يلي:

١- في الأسلوب. ٢- في التعبيرات. ٣- في المضمون. ٤- في الأجواء القرآنية. ٥- في ألفاظ قرآنية بارزة. ٦- في تكثيف الصورة. ٧- في الصورة اللونية.

١- في الأسلوب :

في القرآن أساليب مختلفة من تكرار ونداء واستفهام وتمنٍ وإيجاز وحذف وغيرها، وإليك بعضاً من هذه الأساليب التي استعملها التيجاني :

أ- التكرار :

ظاهرة تلازم شعر التيجاني، ولها أصول في القرآن، وعلى سبيل المثال ما ورد في سورة الرحمن، ونحن هنا لا نجزم أنه استفاد التكرار من القرآن مباشرة، بل نؤكد أن أسلوب التكرار وارد كثيراً في القرآن، وربما كان له تأثيره على الشاعر. ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُدْهَامَتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾^(٣٠١) ونجد التكرار عند التيجاني في بعض المواضع فقد كرر هاذين البيتين ثلاث مرات في قصيدة الخرطوم :

وَهَامَ فِيهَا الْقَمَرُ الرَّافَهُ يَعْرِفُ مِنْ حِينَ إِلَى آخِرِ

(٣٠١) سورة الرحمن، آية ٦٢ - ٦٩

قَصِيدَةُ أَلْهَمَهَا إِلَهَهُ يِرَاعَةُ الْفَنَانِ وَالشَّاعِرِ (٣٠٢)

ب - النداء: فقد أكثر التيجاني من استخدام أسلوب النداء متتبعا

النسق القرآني ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَسْمَاءُ أَفْلَحِي وَغِيضَ الْمَاءِ ﴾

(٣٠٣)

فالتيجاني يقول :

يا أرض فاقْتَصِدِي ويا سَحْبِ إقْصِدِي جَدَّتِ الطُّفُولَةَ بِالْعَرِيضِ الْمَاطِرِ (٣٠٤)

ج - الاستفهام والتكرار في أداته : فاقراً قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ

السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ

وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ... ﴾ (٣٠٥)

مَنْ لِهَذَا الْأَنَامِ يَحْمِيهِ عَنِّي قَلَمِي صَارِمِي وَطَرْسِي مَجْنِي

إِنَّهَا ثَوْرَةَ الْحَيَاةِ فَمِنْ لِلْكَو ن يَحْمِيهِ مِنْ قَدَائِفِ رَعْنِ (٣٠٦)

د - استعمال المفعول المطلق :

وهو عند التيجاني كثير نذكر منه :

وَالْعَقْلُ يَنْصَبُ مِنْ حَبَائِلِهِ نَصَبًا مَعَاقِدَهَا مِنَ الشُّوْكَ (٣٠٧)

(٣٠٢) التيجاني ، إشراقه ، ص ٢٤

(٣٠٣) سورة هود، آية ، ٤٤

(٣٠٤) التيجاني ، إشراقه ، ص ٩٢

(٣٠٥) سورة ، يونس آية ، ٣١

(٣٠٦) التيجاني ، إشراقه ، ص ٦٦

(٣٠٧) التيجاني ، إشراقه ، ص ٥٠

وما أكثر هذه الصيغة في القرآن الكريم وقد ورد في قوله تعالى :
﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾^(٣٠٨) وحتى أن بعض الكلمات يكررها التيجاني كما هي :

﴿ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ، ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴾^(٣٠٩) .

فيقول التيجاني :

إِنَّهُ صَانِعُ الْقُلُوبِ الَّتِي تَنْصَبُ فِي قَالِبِ الْمَحَاسِنِ صَبًّا^(٣١٠)

ز - استعمال "من" الزائدة ، وتكون مسبوقه بنفي أو استفهام : كقوله تعالى : ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴾^(٣١١) والتيجاني يستعمل هذا الأسلوب في مواضع كثيرة منها على سبيل المثال قوله : "

وَبِقَلْبِي نَظَرْتُ إِشْعَاعَ مَا يَبِيرُ قِ مِنْ رِقَّةٍ عَلَيْكَ وَسُودُودٍ^(٣١٢)

٢ - استعمال تعابير وتراكيب قرآنية :

فالمثل الذي سقناه، " تنصب في قالب المحاسن صبا " مأخوذ كلماته كما قلنا من القرآن ، وما أكثر ما يضمن التيجاني تراكيب قرآنية في شعره :

فِي يَمِينِي يِرَاعٍ نَابِغَةَ الْفِصِّ حَى وَكُلُّ أَمْرِي رَهِينٌ يِرَاعِهِ^(٣١٣)

يبدو أن الشاعر نظر إلى الآية ﴿ كُلُّ أَمْرٍ إِيمًا كَسَبَ رَهِينًا ﴾^(٣١٤)

^(٣٠٨) سورة الفتح الآية ١

^(٣٠٩) سورة عبس الآية ٢٥

^(٣١٠) التيجاني ، إشراقه ، ص ١٥١

^(٣١١) سورة الذاريات ، آية ٥٧

^(٣١٢) التيجاني المرجع السابق ، ص ٤٨

^(٣١٣) التيجاني ، المرجع السابق ، ص ٤٦

^(٣١٤) سورة الطور ، آية ٢١

وفي القرآن: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (٣١٥) وها هو التيجاني يقتبس من الآية السابقة :

ما لها زلزلت وماجت بنا الأَرْضُ أَلَمْ تَغْتَمِضْ عِيُونَ الْقُبُورِ (٣١٦)

ويقتبس التيجاني من قوله تعالى في كلامه مع موسى عليه السلام :
﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ (٣١٧) فيقول :

وَمَا تِلْكَ فِي جَنَابَاتِ الطَّرِيقِ قَذَفْتَ بِهَا كَانِفِجَارِ الْحَمَمِ (٣١٨)

ويقول التيجاني:

ثُمَّ أَوْحَى إِلَيْهِ إِنْ قَدْ تَخَيَّرَ تَكَ هَدِيًّا فَاصْدَعْ بِأَمْرِ الْقَدِيرِ (٣١٩)

فسرعان ما يتبادر إلى أذهاننا تركيب ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ (٣٢٠). تبين لنا مما سلف أن الشاعر يتناول التركيب القرآني ويدخله في نسيج شعره، ولم نلاحظ فيما تتبعنا أنه اقتبس آية بكاملها، كما عهدنا ذلك في بعض "اللاقتباسات" البلاغية القديمة.

٣ - في المضمون :

الشاعر يتأثر بمضامين القرآن، فهو يتحدث عن خلق الله للإنسان..
وكأنه يستذكر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا

(٣١٥) سورة الزلزلة، آية ١

(٣١٦) التيجاني، إشراقه، ص ١٨

(٣١٧) سورة طه، آية ١٧

(٣١٨) التيجاني، إشراقه، ص ٨١

(٣١٩) التيجاني، المرجع السابق، ص ١٩

(٣٢٠) سورة الحجر، آية ٩٤

الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ
الْخَالِقِينَ * ﴿٣٢١﴾

فيقول التيجاني:

تَبَارَكَ الَّذِي خَلَقَ مِنْ مُضْغَةٍ وَمِنْ عَلَقٍ
سُبْحَانَهُ مُصَوِّرًا مِنْ حَمَاءِ الطِّينِ حَدَقَ ﴿٣٢٢﴾

والشاعر يرسم صورة خلق الإنسان كما وضحاها القرآن الكريم فهو مخلوق من طين ، ويمر بمراحل قبل ولادته (نطفة فعلقة فمضغة ...)
فقدم الشاعر المضغة على العلقة لضرورة القافية :

ويقول التيجاني في الرثاء :

فَاسْتَبَقَ أَجْرَكَ فِيهِ عِنْدَ مُهَيْمِنٍ حَسْبِي وَحَسْبِكَ مِنْهُ أَجْرُ الصَّابِرِ ﴿٣٢٣﴾

وهذا يذكرنا بقوله تعالى في جزاء الصابرين على المصائب : ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ
بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿٣٢٤﴾

ويقول التيجاني :

رَبِّ فِي الْإِشْرَاقَةِ الْأُوَى لِي عَلَى طِينَةِ آدَمِ
أُمَّم تَزْخُرُ فِي الْغَيْبِ بِ وَفِي الطِّينَةِ عَالَمِ
وَنُفُوسٍ تَزْحَمُ الْمَاءِ وَأَرْوَاحٍ تَحَاوَمِ
سَبَّحَ الْخَلْقَ وَسَبَّحَتْ وَآمَنْتِ وَآمَنَ ﴿٣٢٥﴾

(٣٢١) سورة المؤمنون ، آية ١٢ - ١٤

(٣٢٢) التيجاني ، إشراقه ، ص ١٤٧

(٣٢٣) التيجاني ، المرجع السابق ، ص ٩٣

(٣٢٤) سورة البقرة ، آية ١٥٥

وهذه الابيات مستمدة من مضمون قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ (٣٢٦) وقال وهو يرجو رحمة الله التي وسعت كل شيء :

لِي رَجَاءٌ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ لَمَّا وَسَعَتْ فِي الْحَيَاةِ مَا لَا يُطَاقُ (٣٢٧)
وكانه يشير على قوله تعالى :

﴿وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ (٣٢٨)
ويقول في قصيدته " الروح " :

الرُّوحُ مَا الرُّوحُ إِلَّا طَائِرٌ غَرَدَ لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ نُورٍ وَظَلْمَاءِ

يَا أَيُّهَا الرُّوحُ كَمْ تَدْنُو بِمَقْرُبَةٍ وَأَنْتَ أَبْعَدُ مَنْ يُوْحِ وَعَلْوَاءِ

لَأَنْتَ صَعِبَ عَلَى الْأُلَى نَزَلُوا مِنْ ظَهْرِ آدَمَ أَوْجَاؤُوا بِحَوَاءِ (٣٢٩)

فالتيجاني يتأثر مباشرة بمضمون الآية التي تتحدث عن الروح :
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٣٣٠)

ويقول الشاعر عن الطفل الوليد :

مُفْتَرِعًا مِنْ فَمِهِ سِرَّ الْبَيَانِ فَنَطَّقُ (٣٣١)

فهو قد استذكر قوله تعالى : ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ (٣٣٢)

(٣٢٥) التيجاني ، المرجع السابق ، ص ١٢٥ - ١٢٦

(٣٢٦) سورة الأعراف ، آية ١٧٢

(٣٢٧) التيجاني ، إشراقه ، ص ١٦٠

(٣٢٨) سورة الأعراف ، آية ١٥٦

(٣٢٩) التيجاني ، إشراقه ، ص ١٦٤

(٣٣٠) سورة الإسراء ، آية ٨٥

(٣٣١) التيجاني ، إشراقه ، ص ١٤٧

(٣٣٢) سورة الرحمن ، آية ٤

وكلمة (السماء) ارتبطت بكلمة (الرقى) في القرآن الكريم : ﴿ أَوْ تَرَقَّىٰ
فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَفِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ ﴾ (٣٣٣) فلا عجب إذا
رأينا استعمالها عند الشاعر .

فَالْيَوْمَ لَا مَرْكَبَ الضُّحَى عَسِرَ وَلَا مَرَاقِيَ السَّمَاءِ مُمْتَنِعَهُ (٣٣٤)

٤ - الأجواء القرآنية والإيحاء:

لعل أبرز ما يوحى لنا بهذه الأجواء بعض الكلمات التي تشير إلى الصورة
القرآنية، فعندما يقول الشاعر:

عودوا الحُسن بالرقى أو خذوني أنا تعويذة لكعبة رُوحى

عودوا طفلها وصونوا فتاها بجديد من الرقى أو أثير (٣٣٥)

فان كلمة "عودوا" تستدعي تذكرنا للمعوذتين "الناس" ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾
(٣٣٦) " والفلق" ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ (٣٣٧) ويقول الشاعر:

قَبَسٌ مِنْ هُدَىٰ وَنُورٍ وَإِشْعَا عٍ مِنْ الْحَقِّ مَالَهُ مِنْ قِنَاعٍ (٣٣٨)

فكلمة (قبس) تحيلنا إلى قول الله تعالى: ﴿ أَنْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ ﴾ (٣٣٩)

وتفجير العيون وارد في القرآن بصيغة خبرية وكذلك أورده التيجاني :

﴿ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴾ (٣٤٠) وقوله تعالى : ﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَىٰ

الْمَاءُ ﴾ (٣٤١) فبدل العيون استخدم الشاعر لفظ الينابيع وهو يؤدي ذات المعنى :

(٣٣٣) سورة الاسراء ، آية ٩٣

(٣٣٤) التيجاني ، المرجع السابق ، ص ١٣٣

(٣٣٥) التيجاني ، المرجع السابق ، ص ٤٠

(٣٣٦) سورة الناس آية ١

(٣٣٧) سورة الفلق ، الآية ١

(٣٣٨) التيجاني ، إشراقة ، ص ٦٣

(٣٣٩) سورة الحديد، آية ١٣

وَوَهَبْنَا لَكَ الْحَيَاةَ وَفَجَّرْنَا نَابِيعَهَا لِعَيْنِكَ قُرْبَى (٣٤٢)

ويقول النيجاني :

أَنَا إِنْ مُتْ فَالْتَمَسْنِي فِي شَعْرِي تَجْدُنِي مَدْتِرًا بِرِقَاعِهِ (٣٤٣)
فلنحظ أن كلمة " مدثرا " توحى لنا بالآية الكريمة : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَدْتِرُ ﴾ (٣٤٤)

يقول التيجاني :

حَتَّى يَكُونَ الْمَجْدَ وَهُوَ مَصُوحٌ فِي الْأَرْضِ مُنْقَلَبٌ عَلَى أَعْقَابِهِ (٣٤٥)

ويقول أيضا "

فِي الشَّرْقِ تَنْطَلِقُ الْقَرَائِحُ فَجَّةً وَالشَّرْقُ مُنْقَلَبٌ عَلَى أَعْقَابِهِ (٣٤٦)

وهو اقتباس من قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ﴾ (٣٤٧)

ويقول التيجاني :

إِلَهَ الْعَظِيمِ وَالْحَقِّ أَكْبَرَ بَرَأَ الْخَلْقِ مِنْ تَرَابٍ وَقَدَّرَ

رَبِّ نَفْسٍ مِنْ عُنْصُرِ الْفِكْرِ سِوَا هَا وَنَفْسٍ مِنْ حَمَاءِ الطِّينِ صُورَ

(٣٤٨)

(٣٤٠) سورة يس ، آية ٣٤

(٣٤١) سورة القمر، آية ١٢

(٣٤٢) التيجاني ، المرجع السابق ، ص ١٥١

(٣٤٣) التيجاني ، إشراقه ، ص ٤٦

(٣٤٤) سورة المدثر آية ١

(٣٤٥) التيجاني ، المرجع السابق ، ص ٧٨

(٣٤٦) التيجاني ، إشراقه ، ص ١٥٦

(٣٤٧) سورة آل عمران ، آية ١٤٤

فالتراب و "والحمأ" يتعلقان بخلق الإنسان: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ (٣٤٩)

ويقول التيجاني:

أَثَقَلَتْ ظَهْرَهُ الْأَمَانَةُ دَهْرًا يَعْلَمُ اللَّهُ كَيْفَ عَبَّ الْأَمَانَةُ (٣٥٠)

وهذا مضمون قرآني من الآية: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا﴾ (٣٥١) فالشاعر استعمل أداة الاستفهام ليبين حال من يقع عبء الأمانة على عاتقه ، وتقلها على ظهره في إشارة لطيفة إلى الآية السابقة .

٥ - ألفاظ قرآنية بارزة :

ليس سبيلنا هنا أن نقف عند كل لفظة قرآنية، وإنما نقف عند بعضها، فكللمات مثل: الكوثر، الفردوس ، وخسف ، ولدن ، وغيرها كثير نميزها على أنها وردت في القرآن... وتذكرنا بآيات قرآنية. وشاعرنا مولع بالألفاظ القرآنية كلفظة : (الفردوس) فيقول:

فَإِذَا هَفَّتْ بِكَ أَنْ نَعَمَ مِنْ جَانِبِ الْفَرْدُوسِ أَسْمَعَهَا تَحِيَّةَ شَاعِرٍ (٣٥٢)

تارة يأتي بها مفردة وتارة يأتي بها جمعاً :

أَنْتَ يَا نَيْلَ يَا سَلِيلَ الْفَرَادَيْسِ نَبِيلٌ مُّوَفَّقٌ فِي مَسَابِكِ (٣٥٣)

فانظر إلي ذلك الأثر في شعر التيجاني ، فالنيل سليل الفراديس أي أنه نهر من أنهار الجنة كما جاء في الحديث الصحيح " النيل والفرات

(٣٤٨) التيجاني ، المرجع السابق ، ص ١٤

(٣٤٩) سورة الحجر ، آية ٢٦

(٣٥٠) التيجاني ، المرجع السابق ، ص ١١٩

(٣٥١) سورة الأحزاب ، الآية ٧٢

(٣٥٢) التيجاني ، إشراقه ، ص ٩٢

(٣٥٣) التيجاني ، المرجع السابق ، ص ١٤٣

وسيحان وجيحان من أنهار الجنة " (٣٥٤) وجاء اللفظ في عدة آيات من القرآن الكريم منها : ﴿الَّذِينَ يَرْتُونَ الْفُرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣٥٥) .
والفُرْدَوْسُ: الروضة؛ والفُرْدَوْسُ: خُضرة الأعناب. والفُرْدَوْسُ: حديقة في الجنة (٣٥٦) ولفظ الكوثر من الألفاظ المحببة عند التيجاني :

وَجَادَهَا الْمَرْهَمَ وَالْوَاكِفَ بِالْكَوْثَرِ الْفَيَاضِ مِنْ أَنْهَرِهِ (٣٥٧)

وهو مأخو من قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (٣٥٨) وهو نهر في الجنة - حوض النبي صلى الله عليه وسلم - ترد عليه أمته .ومن المفردات القرآنية التي استخدمها الشاعر كلمة (لذن):

يَسْتَنْزِلُ الْإِلَهَامَ مِنْ لِدْنِ الَّذِي بَرَأَ الْعَصَامِيِّينَ مِنْ أَعْتَابِهِ (٣٥٩)

فقد وردت في قوله تعالى : ﴿الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لُدْنٍ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (٣٦٠) من ذلك لفظ (خسف) :

مَا بِهَا إِنْ تَسَامَ فِي الْأَرْضِ خَسْفًا أَوْ تَعَادِي فِي رَأْيِهَا أَوْ تَكْفُرًا (٣٦١)

فقد ورد في قوله تعالى : ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ (٣٦٢) وكذلك لفظ (تبيد) من الألفاظ القرآنية التي استخدمها التيجاني :

(٣٥٤) صحيح مسلم ، رقم الحديث ٧٣٤٠

(٣٥٥) سورة المؤمنون ، آية ١١

(٣٥٦) ابن منظور ، لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي ص ٦ ج ، ص ١٦٣

(٣٥٧) التيجاني ، إشراقه ، ص ٢٤

(٣٥٨) سورة الكوثر ، آية ١

(٣٥٩) التيجاني ، إشراقه ، ص ١٥٥

(٣٦٠) سورة هود ، آية ١

(٣٦١) التيجاني ، إشراقه ، ص ١٤

أُحِبُّكَ حَتَّى تَبِيدَ السَّمَاءُ وَيَبْتَلَعُ النَّيِّرَاتِ الْأَبَدَ (٣٦٣)

يقول تعالى : ﴿ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴾ (٣٦٤)

واستعمال فعل الأمر (سل) على الطريقة القرآنية : ﴿ سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ﴾ (٣٦٥)

فيقول التيجاني متأثراً وتأثراً واضحاً بهذه الطريقة :

سَلْ هَزَارَ الْحَقْلَ مِنْ أَنْبٍ تَهُ وَرَدًا وَزَهْرًا

وَسَلِ الْوَرْدَةَ مَنْ أَوْ دَعَهَا طَيِّبًا وَنَشْرًا (٣٦٦)

٦ - تَكثِيفُ الصُّورَةِ : وقد تآثر التيجاني بهذا الأسلوب القرآني في

تكتيف الصورة كما في قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ (٣٦٧)

ويبدو تكتيف الصورة في قول التيجاني :

فِي دُجَى مَطْبِقٍ وَيَوْمٍ دَجُوجِي وَلَيْلٍ مَقْفَقْفٍ مَقْرُورٍ (٣٦٨)

وأيضاً في قوله :

(٣٦٢) سورة القصص، آية ٨١

(٣٦٣) التيجاني ، المرجع السابق ، ص ٦١

(٣٦٤) سورة الكهف، آية ٣٥

(٣٦٥) سورة البقرة، آية ٢١١

(٣٦٦) التيجاني ، المرجع السابق ، ص ١٢٤

(٣٦٧) سورة النور، آية ٤٠

(٣٦٨) التيجاني ، إشراقة ، ص ١٨

في الليل عمق وفي الدجى نفق لو صب فيه الزمان لابتلعه (٣٦٩)

٧- في الصورة اللونية :

كان للقرآن الأثر الكبير في تشكيل صورة التيجاني اللونية ، وهي صورة متميزة ، فاللون في شعره يحمل دلالات دينية ونفسية وفكرية عميقة ، وقد تناول الألوان الأخضر ، فالأبيض ، فالأسود ، فالأحمر ، فالخمري فالداكن على الترتيب . وهذا الجدول يرصد استعماله للألوان بحسب نسبها في ديوانه إشراقة:

عدد المرات	اللون
١٠	الأخضر
٩	الأبيض
٦	الأسود
٤	الأحمر
١	الخمري
١	الداكن

ولعلنا نلاحظ أن اللون الأخضر هو المتفوق ويعزي الباحث هذا التفوق إلى تأثير البيئة الدينية التي نشأ فيها الشاعر، فاللون الأخضر عادة ما يعجب أهل الإسلام فيجعلونه رمزا للسلام والرخاء والفأل الحسن ، متأثرين في ذلك بمدلولات معانى الخضرة التي وردت في القرآن الكريم

(٣٦٩) التيجاني ، المرجع السابق ، ص ١٣٢

وارتبطت بالطمأنينة والسعادة ، كما في قول الله تعالى : ﴿ عَالِيَهُمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعًا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾^(٣٧٠) وفي قوله تعالى : (أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا)^(٣٧١) ومن ذلك قوله تعالى : (وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنَ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)^(٣٧٢) « فأخرجنا منه خضرا » أي زرعاً وشجراً أخضراً ثم بعد ذلك خلق فيه الحب والتمر (٣٧٣)

فانظر إلى هذه الصورة الرائعة التي يرسمها التيجاني ويلونها بالأخضر في الأبيات التالية فالنيل تكسوه الخضرة وتحضنه الملائكة ذات الأجنحة الخضراء ، فاجتمعت في الصورة خضرتان ، خضرة النيل وخضرة أجنحة الملائكة ، فهو يلون لوحته بلون واحد ولكنها تبدو في قمة الحسن والبهاء.

أنت يا نيل يا سليل الفردائيس نبيل موفق في مسابك
 حصنتك الأملاك في جنة الخُ لد وركت على وضيء عبابك
 وأمدت عليك أجنحة خضرا ء وأضفت ثيابها في رحابك^(٣٧٤)

^(٣٧٠) سورة الإنسان ، الآية : ٢١ - ٢٢

^(٣٧١) سورة الكهف : ٣١

^(٣٧٢) سورة الأنعام : ٩٩

^(٣٧٣) ابن كثير ، تفسير القرآن ، مكتبة بيت السلام ، الرياض ، ط١ ، ٢٠٠٤ ، ج٢ ، ص ٦٨٢

^(٣٧٤) التيجاني ، إشرافه ، ص ١١٤

ويصف الروح بالطائر الغرد الذي له جناحان من نور وظلماء ، ويغادر خضراء لخضراء فلنتخيل هذه الصورة الرائعة صورة الطائر ذو الجناحين المكونين من السواد والبياض ، وتحضنه الخضرة إنها صورة بديعة تسلب الألباب ، وتأسر القلوب .

الرُّوحُ ما الرُّوحِ إِلاَّ طائرٌ غَرَدٌ لَهُ جَنَاحانِ مِنْ نورٍ وظَلَماءِ

كَطائرِ الرِّوضِ إِلاَّ أَنَّهُ أَبَدًا يَشْدو هُنالكِ شَدو الحائرِ النَّائي

يَظَل يَهبطُ مِنْ دوحٍ لَموتَلقِ وَقَد يُغادرُ خُضراءِ لَخُضراءِ (٣٧٥)

واللون الأبيض عند التيجاني يأتي بعد الأخضر مباشرة في الترتيب بفارق درجة واحدة ، ولعل هذا يعطينا مجالا للتفكير في التفاؤل والأمل القادم ، الذي ظل شعره يحمله في الغالب الأعم ، فرؤى الشاعر المتفائلة ملتفة في أجنحة بيضاء ، ويلبس ثوبا جميلا :

كَم تَظَل الرُّوى بِهِ شارِعاتِ فِي يَنابِيعِ مِنْ جَلالِ نَدِي

يَتَلَفَن في جَوانِحِ بِيضاءِ ءِ وَيَسحِبَن مِنْ رِداءِ وَضِي (٣٧٦)

يقول الله سبحانه وتعالى : (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌُ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌُ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ، وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ " (٣٧٧) فابيضاض الوجوه في هذه الآيات دليل على السعادة والسرور واسودادها دليل على الحزن والكآبة ويقول تعالى: (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ

(٣٧٥) التيجاني المرجع السابق ، ص ١٦٤

(٣٧٦) التيجاني ديوان إشراقه ، ص ١

(٣٧٧) آل عمران : ١٠٦ الآيات - ١٠٧

إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ^(٣٧٨) أي من غير برص ولا أذى ومن غير شين^(٣٧٩) ويقول تعالى: "يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ، بِيَضَاءٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ، لَأَ فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ"^(٣٨٠) قال مالك عن زيد بن أسلم خمر جارية بيضاء أي لونها مشرق حسن بهي لا كخمر الدنيا في منظرها البشع الرديء من حمرة أو سواد أو اصفرار أو كدرة إلى غير ذلك مما ينظر الطبع السليم وقوله عز وجل (لذة للشاربين) أي طعمها طيب كلونها وطيب الطعم دليل على طيب الريح بخلاف خمر الدنيا .^(٣٨١) ويتضح لنا جليا من خلال الآيات السابقة أن اللون الأبيض هو رمز السلام والأمل والسعادة والسرور .

وأجمل سنوات صبا شاعرنا التيجاني هي تلك التي قضاها في معهده العلمي فهي سنوات وصفها بأنها بيضاء دلالة على السعادة والهناء :

وَدَعْتَ غَضَّ صِبَايَ تَحْتَ ظِلَالِهِ وَدَفَنْتَ بِيضَ سَنِي فِي مِحْرَابِهِ^(٣٨٢)

ويصف قصائده بأنها براقاة الضفاف بيضاء كاللآلئ ذات لمعان وبريق :

وَهِيَ بَرَاقَةُ الضِّفَافِ وَمَرْمُومِ قَةِ بِيضِ اللَّائِي الْبَرَاقَةِ^(٣٨٣)

ويأتي التيجاني بالصور التي تجمع بين اللونين الأبيض والأسود كهذه الصورة التي أراق فيها مزادته المملأى بالماء في صحراء ظامئة فانحدرت بيضاء كالروح دليل على الصفاء في صخرة سوداء ملساء صماء دليل على التعكير ، وهي صورة تعبر عن حالته النفسية المتأرجحة بين الصفاء والكدر :

^(٣٧٨) سورة النمل : الآية ١٢

^(٣٧٩) ابن كثير ، تفسير القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٧ ، ج ٣ ، ص ٣١٤

^(٣٨٠) الصافات ، الآيات ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧

^(٣٨١) ابن كثير ، تفسير القرآن ، مكتبة بيت السلام ، الرياض ، ط ١ ، ٢٠٠٤ ، ج ٤ ، ص ١٥٧٦

^(٣٨٢) التيجاني ديوان إشراقه ، ص ٧٧

^(٣٨٣) التيجاني ، المرجع السابق ، ص ٧

غَرَّنَ بِي وَبِحَسْبِي أَنْ رَاوَيْتِي مَلَأَى هَرِيقَتَ عَلَيَّ ظَمَأَى مِنَ الْبِيدِ

أَفْرَعَتْهَا وَبَرَغَمِي أَنَّهَا إِنْحَدَرَتْ بِيضَاءَ كَالرُّوحِ فِي سَوْدَاءِ

صَيْخُودٍ (٣٨٤)

أما اللونين الأحمر والأسود فيستخدمهما في المضاجع ، فعندما يبكي عزيزاً عليه اختطفته المنيا يذرف الدموع الحمراء تعبيراً عن الأسى والحزن :

لَوْ لَمْ أَكُنْ أَخْشَى أَثَاماً دُونَهُ لَهَرَقْتُ مِنْ أَسْفٍ عَلَيْهِ مُحَابِرِي

وَمَرِيتُ مِنْ عَيْنِي آخِرَ عِبْرَةٍ حَمْرَاءَ حَتَّى مَا أَكُونُ بِقَادِرٍ

وَتَلَهَبَتْ ثَوْرَ الْأَسَى وَمَتَى أَشَأْ أَوْقَفْتُ مِنْ فَلَكَ الزَّمَانَ الدَائِرِ

لَكِنْ بِحَسَبِ مُحَمَّدٍ مِنْ ذَلِكَ دَمَعَ الْقَرِيضُ وَدَمَعَ ذَاتَ مُحَابِرِي (٣٨٥)

و يقرن بين المنيا والسواد :

لِلْمَنِيَا السُّودِ أَمَا لِي وَلِلْمَوْتِ رَجَائِي (٣٨٦)

وذكر اللون الداكن مرة واحدة لأجنحة الأوز :

وَفِي الضِّفَافِ أَوْزٌ دَكَنَ الْجَوَانِحَ كَثْرًا (٣٨٧)

وكذلك اللون الخمرى لشمس الخرطوم " الخمرية المشرقة " :

وَشَمْسُهَا الْخَمْرِيَّةُ الْمُشْرِقَةُ تَفْرَغُ كَأْسَ الضَّوْءِ فِي بَدْرِهَا (٣٨٨)

(٣٨٤) التيجاني المرجع السابق ، ص ٢٢

(٣٨٥) التيجاني المرجع السابق ، ص ٩٢

(٣٨٦) التيجاني المرجع السابق ، ص ١٢٦

(٣٨٧) التيجاني المرجع السابق ، ص ٤٢

(٣٨٨) التيجاني المرجع السابق ، ص ٢٣

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين
محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وآتم التسليم . وبعد

فإنه من خلال ما تقدم نستخلص من هذا البحث النتائج التالية :

١. أن أثر القرآن بارز في لغة التيجاني الشعرية من حيث الجزالة ،
والمتانة ، والسلاسة .

٢. أن الشاعر التيجاني في تأثره بالقرآن أسلوباً ومضموناً وتراكيباً لم
يقتبس على الطريقة البلاغية القديمة في الاقتباس - وذلك ، كأن
ينقل الآية أو جزءاً منها كقول ابن الرومي:

لقد أنزلت حاجاتي بواد غير ذي زرع

بل كان يستفيد من القرآن وأساليبه ، ويستخدم هذه الاستفادة بعد
هضمها باتجاه الآية ، أو بمعنى آخر ينشده .

٣. أثر القرآن الكريم تأثيراً بالغاً على صورة التيجاني اللونية فاستخدم
الألوان التي أكثر القرآن من استخدامها لاسيما اللون الأخضر الذي
يحبذه أهل الإسلام .

التوصيات :

١. ربط الدراسات والبحوث في الأدب عامة والأدب السوداني خاصة
بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

٢. كتابة المزيد من الدراسات الأدبية والنقدية في الأدب السوداني لاسيما
وأنه لم ينل حظاً وافراً من هذه الدراسات .

والحمد لله رب العالمين .

المراجع والمصادر

القرآن الكريم .

ابن كثير ، تفسير القرآن ، مكتبة بيت السلام ، الرياض ، ط ١ ، ٢٠٠٤

ابن كثير ، تفسير القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٧ .

صحيح مسلم .

ابن منظور ، لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي ج ٦ .

هنري رياض ، التيجاني يوسف بشير شاعرا وناثرا ، دار الثقافة بيروت ، لبنان .

التيجاني يوسف بشير ، إشراقة ، مطبعة التمدن بالخرطوم ، ط ٤ ، سنة ١٩٦٤

محمد عبد الرحيم ، نفثات اليراع في الأدب والتاريخ والاجتماع ، شركة الطباعة والنشر الخرطوم ، سنة ١٩٣٦ .

محمد عبد الحي ، وآخر ، التيجاني يوسف بشير ، السفر الأول ، الآثار النثرية الكاملة ، مطابع راي لميتد ، سنة ١٩٧٨ .

إبراهيم التكيينة ، التيجاني يوسف بشير أضواء على حياته ، ط ١ ، نوفمبر ١٩٧٥ .

د. عبد المجيد عابدين ، التيجاني شاعر الجمال ، ط ٣ ، سنة ١٩٦٢ .

حسن نجيلة ، دراسات في شعر التيجاني ، التيجاني كما عرفته .

التيجاني يوسف بشير ، " المعهد العلمي في ربع قرن " ، مجلة أم درمان ، السنة الأولى ، العدد الرابع ، ٣١ أكتوبر ١٩٣٦ .

جاد الله الطاهر النذير ن التيجاني حياته وعصره - وشعره ، رسالة ماجستير مخطوطة ، جامعة الخرطوم ، ١٩٧٣ .

عبد المجيد عابدين ، مقدمة ديوان إشراقة ، مطبعة التمدن بالخرطوم ،
ط ، ٤ سنة ١٩٦٤

إبراهيم ناجي ، مهرجان ذكرى شاعر السودان التيجاني يوسف بشير ،
هذا هو التيجاني " القاهرة ١٤ مايو ١٩٤٦

مجلة أم درمان، العدد السابع ، الصادر في ١٥/١٢/١٩٣٦

التيجاني يوسف بشير ، الكسكتة ، مجلة أم درمان .

عبد المجيد عابدين ، مقدمة ديوان إشراقة، مطبعة التمدن بالخرطوم ،ط
٤ سنة ١٩٦٤

التيجاني يوسف بشير ، مجلة الرسالة المصرية ، العدد ٧٨ ، مارس ١٩٣٥ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بحث بعنوان :

المبالغة والتكثير في سورة البقرة

إعداد :

د. محمد الإمام إبراهيم الإمام

أستاذ النحو والصرف بجامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المخلص:

خلصت هذه الدراسة إلى بيان سنن العربية في المبالغة والتكثير، وقد تناولت المبالغة والتكثير في سورة البقرة.

كما هدفت هذه الدراسة إلى تطبيق منهج النحو الوظيفي والتدرج به من بطون الكتب إلى آفاق التطبيق.

والمنهج الذي اتبعته هذه الدراسة هو المنهج الاستقرائي التحليلي وقد اشتملت الدراسة على ثلاثة مباحث، المبحث الأول هو صيغ المبالغة في سورة البقرة، والمبحث الثاني هو المبالغة بالفعل في سورة البقرة، والمبحث الثالث المبالغة بالمصدر في سورة البقرة.

وفي الختام توصلت الدراسة إلى نتائج تمخضت عنها توصيات هي:-

١- ضرورة تطبيق النحو الوظيفي.

٢- دعوة الباحثين لأن يصبوا جلاً جهدهم في دراسة الظاهرة النحوية التي يحفل بها القرآن الكريم.

المقدمة :-

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه ، وعظيم سلطانه ، له الحمد في
الأولى والآخرة ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى
آله وصحبه وإخوانه من الرسل والأنبياء .

وبعد

تميزت اللغة العربية بتنوع صيغها ، وتعدد دلالات هذه الصيغ
ومعانيها ، فالصيغة الواحدة قد تدل على عدة معان مثل صيغ الزيادة ،
فصيغة " أفعل " مثلاً تدل على التعدية ، والصيرورة ، والتعريض ،
والسلب والإزالة وغيرها ، وكما أن الصيغة الواحدة تدل على عدة معان
فإن المعنى الواحد يأتي بعدة صيغ مثل صيغ المبالغة ، فصيغة فعّال،
ومفعال ، وفعول ، وفعليل ، وغيرها تدل على المبالغة علاوةً على دلالتها
على اسم الفاعل.

ولما كان كثير من الصيغ يدل على المبالغة رأيت أن أفرد لها بحثاً
يفضح عنها ، ويبين هذه الصيغ ويجمع شتيتها ، وأن يكون محور الدراسة
القرآن الكريم ، حيث استوقفني ورود هذه الصيغ من سورة البقرة لذلك
رأيت أن تكون هذه السورة مجال التطبيق لهذه الدراسة.

والمنهج الذي اتبعته في هذا البحث هو المنهج الاستقرائي التطبيقي
الذي يعتمد على جمع النصوص وتحليلها ثم الوصول إلى نتائج ، هذا من
حيث المضمون ، أما من حيث الشكل فقد قسمته إلى أربعة مباحث خصصت
الأول لصيغ المبالغة في العربية بينت فيه معنى المبالغة وصيغها.
وخصصت المبحث الثاني لصيغ المبالغة التي وردت في سورة البقرة ،
وعدد مرات ورودها ، والآيات التي وردت فيها . وخصصت المبحث الثالث
للمبالغة بالفعل ، بينت فيه الصيغ التي أفادت المبالغة ، وأوردت الآيات
التي وردت فيها هذه الصيغ في سورة البقرة. وجعلت المبحث الرابع

للمبالغة بالمصدر ، وأوردت المصادر التي دلت على المبالغة في سورة البقرة.

والله ولي التوفيق

المبالغة والتكثير في اللغة العربية

جاءت دلالة المبالغة والتكثير في اللغة العربية بعدة طرق منها :-

(١) صيغ المبالغة:-

والصيغة واحدة من جملة الوسائل التعبيرية التي تستعين بها اللغة العربية على الأداء ، وصيغ المبالغة واحدة من عشرات الأمثلة ، فهي صورة لفظية تضيف معنى صرفياً زائداً على معنى اسم الفاعل ، وهو الكثرة والمبالغة ، ولصيغ المبالغة أبنية متعددة تتفاوت في شهرتها وشيوعها ، وقد نص سيبويه^{٣٨٩} على الصيغ الخمس الأكثر وروداً في الاستعمال.^{٣٩٠}

(٢) المبالغة بالفعل:-

من سنن العربية المبالغة بالفعل ، فقد نص اللغويون على دلالة صيغة "فعل" على المبالغة ، فإذا أردت المبالغة والتكثير حولت الفعل إلى هذه الصيغة ، ولا تقتصر المبالغة على تضعيف العين أو تكرارها . وهناك صيغ أخرى تدل على المبالغة مثل افعول و افعول و افعل وغيرها.^{٣٩١}

(٣) المبالغة بالمصدر:-

لم تقتصر اللغة العربية دلالة المبالغة والتكثير على صيغ المبالغة والفعل وإنما تعدتها إلى المصدر. و

^{٣٨٩} - هو عمرو بن عثمان بن قنير. إمام البصريين في النحو . الأعلام ٨١/٥ .

^{٣٩٠} - الكتاب - سيبويه . تحقيق - عيد السلام محمد هارون . دار الجيل - بيروت - الطبعة الأولى "د - ط" ١١٠/١ .

^{٣٩١} - الخصائص - ابن جني - تحقيق - عبد الحميد هنداوي - دار الكتب العربية - بيروت - الطبعة الثانية - ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ - ٥٠٧/١ .

صيغ المصدر التي أفادت المبالغة هي : التفعيل ، والتفعال ، والفعيلي ،
الفعالة.^{٣٩٢}

^{٣٩٢} - الكتاب - سبويه - ٨٣/٤.

المبحث الأول

صيغ المبالغة في اللغة العربية

تعريفها:-

هي صيغ مشتقة من الفعل للدلالة على الحدث وفاعله ، دلالة تفيد التكثير والمبالغة ، فإذا قلت : " هذا رجل صابر " عنيت أنه يتصف بالصبر ، ولكنك لم تحدد درجة صبره من حيث الكثرة والقلة ، لأن صيغة فاعل لا تدل بذاتها على الكمية ، أما إذا قلت : أنه صبور فإن صيغة فعول تضيف معنى التكثير والمبالغة لصبر الرجل ، فالفرق بين صبور وصابر إنما هو في الكمية ، ولذلك حمل النحاة صيغ المبالغة على اسم الفاعل لأنها تتفق معه في الدلالة على الحدث وفاعله مع إفادتها معنى المبالغة والتكثير. فقد ذهب سيبويه إلى أنهم أجروا اسم الفاعل إذا أرادوا^{٣٩٣} المبالغة في الأمر مجراه إذا كان على بناء فاعل^{٣٩٤}.

وذهب المبرد^{٣٩٥} إلى ذلك فقد نص على أن صيغ المبالغة مأخوذة من اسم الفاعل إلا أنها تفيد التكثير^{٣٩٦}

أوزانها :-

لصيغ المبالغة أوزان متعددة تتفاوت في كثرة استعمالها وقلته وأكثر الأوزان استعمالاً الأوزان الآتية^{٣٩٧} :-

(١) فَعَالٌ بِتَشْدِيدِ الْعَيْنِ

وهذه الصيغة أكثر صيغ المبالغة استعمالاً نحو كَذَابٌ وَكَفَّارٌ وقول الشاعر^{٣٩٨} :-

أخا الحرب لبأساً إليها جلالها " وليس بولاج الخوائف

" أهلا "

^{٣٩٣} - سبق تـ ترجمته.

^{٣٩٤} - الكتاب - سيبويه ١٠/١.

^{٣٩٥} - هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ، إمام العربية ببغداد - الأعلام ٧/١٤٤.

^{٣٩٦} - المقتضب - المبرد - تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة - الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٩٩ - ١٠٢/٢.

^{٣٩٧} - الكتاب - سيبويه - ١١٤/١.

^{٣٩٨} - قائله القلاخ بن حزن - الخزائن ١٥٧/٨.

وسر الدلالة على المبالغة في هذه الصيغة أنها تدل على التكرار فالقتال : هو الذي قتل مرة بعد مرة ، والوهاب : هو الذي يتكرر منه تقديم الهبات ، ولا يسمى الإنسان ضرباً إلا إذا ضرب غير مرة ، وذهب المبرد إلى أن " فعلاً " في المبالغة أصل الفعل في الصناعة جاء في المقتضب^{٣٩٩} " وإنما أصل هذا التكرير الفعل كقولك : هذا رجلٌ ضرباً ، ورجل قتال ، أي يكثر منه ، وكذلك خياط فلماً كانت الصناعة كثيرة المعاناة للصنف فعلوا به كذلك " . وإلى ذلك ذهب الرضي^{٤٠٠} حيث قال : ((إلّا أنّ فعلاً لما كانت في الأصل لمبالغة الفاعل ، ففعال الذي بمعنى ذي كذا لا يجئ إلا في صاحب شيء يزاوئ ذلك الشيء ويعالجه ويلازمه^{٤٠١} .

وذهب أبو طلحة إلى أن فعلاً في الصناعة أصل لفعال في المبالغة لأن الأصل في المبالغة هو النقل من شيء إلى آخر فتحصل عند ذاك المبالغة^{٤٠٢} . والعرب تنسب إلى الصنعة والحرف بصيغة "فعال" غالباً نحو النجار والنساج فنقل هذا البناء إلى المبالغة تقول " كذاب " كان المعنى كما هو شخص حرفته النجارة^{٤٠٣} .

وصيغة فعال تدل على الحرفة والصنعة تقتضي الاستمرار والتجدد وكذلك صيغة المبالغة التي على "فعال" نحو "أواب" والأواب هو التواب الكثير الرجوع إلى الله وطلب مرضاته ، ومن عادته أن يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه . وقد تلحق هذه الصيغة التاء لتزيدها مبالغة مثل علامة وفهامة^{٤٠٤} .

(٢) فعول

^{٣٩٩} - المقتضب - المبرد - ١٦١/٣ .
^{٤٠٠} - الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن - بغية الوعاة ٥٦٨/١ .
^{٤٠١} - شرح شافية ابن الحاجب - الرضي - تحقيق - محمد نور الحسن وآخرين - دار الكتب العلمية - بيروت - " د - ط " - ٨٥/٢ .
^{٤٠٢} - همع الهوامع في شرح جمع الجوامع - السيوطي - تحقيق - أحمد شمس الدين - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٨ - ١٩٩٨ - ٩٧/٢ .
^{٤٠٣} - شرح المفصل - ابن يعيش - عالم الكتب - بيروت - " د - ط " ١٣/٦ .
^{٤٠٤} - المغني الجديد في علم الصرف - محمد خير حلواني - دار الشرق العربي - بيروت - الطبعة الخامسة ١٤٢٠ - ١٩٩٩ ص ٢٥٤ .

وهذا البناء يدل على دوام الفعل واستمراره من الموصوف به نحو:
ظلوم وصبور، وقيل هو : لمن كثر منه الفعل نحو ضروب وكفور
ومنه قول الشاعر^{٤٥}:

ضروب بنصل السيف سوق سمانها إذا عدموا زادا فانك عاقر
وبعضها يدل على قدرة أصيلة للقيام بالفعل مثل : عفو وطحون
وهضوم. واستوى في هذه الصفة المذكر والمؤنث إذا عرف الموصوف
ذكراً أو سياقاً قال تعالى^{٤٦} : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً
نَّصُوحًا } ويقال : امرأة عجوز وهمة طموح ، وقال أحد الأعراب : اللهم
ارزقني ضرساً طحوناً ومعدةً هضوماً^{٤٧}.

(٣) مفعال

ذكر اللغويون أن مفعلاً لمن اعتاد الفعل أو دام منه ، قال الثعالبي^{٤٨}
: " أكثر العادات في الاستكثار على مفعال"^{٤٩} وتقول العرب ، إنه لمنحار
بوائكها^{٥٠}، وقيل لمن صار له الفعل كالآلة نحو : حرب مسعار والمعنى :
أن الموصوف كالآلة التي تسعر بها الحرب ، وكذلك امرأة مذكر
يقصدون أنها كالآلة التي تنتج الذكور ، ويستوي في مفعال المذكر
والمؤنث إذا عرف الموصوف تقول : أبي معطاء ، وأمي معطاء.^{٥١}

والأصل في "مفعال" أن تكون للدلالة على الآلة كالمفتاح آلة الفتح ،
والمنشار آلة النشر ، والمحراث آلة الحرث ، وعندما تقول : مهذار كان
المعنى آلة للهدر ، ومعطار آلة للعطر ، وهذه الصيغ لا تقبل التأنيث ، ولا
تجمع جمع مذكر سالماً للأصل فكما لا تقول : مفتاحة ولا منشار ، ولا
تقول : معطارة ولا مهذار ، ولا تجمع جمع مذكر سالماً ، وإنما تجمع

^{٤٥} - البيت لأبي طالب بن عبد المطلب - الخزانة - ١٦١/٣ .

^{٤٦} - الآية ٨ سورة التحريم .

^{٤٧} - الفروق في اللغة - أبو هلال العسكري - الناشر حروس بروس - الطبعة الأولى ١٣/١٢ .

^{٤٨} - هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي - وفيات الأعيان ١٧٨/٣ .

^{٤٩} - فقه اللغة وأسرار العربية - الثعالبي أبو منصور عبد الملك بن محمد . تحقيق - امسليين نسيب - دار الجيل - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٨ - ١٩٩٨ - ص ٥٥٥ .

^{٥٠} - شرح شذور الذهب - ابن هشام - دار الفكر - بيروت - ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ - ص ٥١٤ .

^{٥١} - معاني الأبنية في العربية - فاضل صالح السامرائي - جامعة الكويت - الطبعة الأولى ١٤٠١ - ١٩٨١ - ص ١١٢ .

جمع الآلة ، تقول : المهاذير والمعاطير كالمفاتيح والمناشير جمع مفتاح
ومنشار^{١٢}

(٤) فَعِيل

وهي في المبالغة تدل على معاناة الأمر ، وتكراره حتى كأنه أصبح
خِلقةً في صاحبه ، وطبعةً فيه مثل : عليمٌ أي : هو لكثرة نظره في
العلم وتبحره فيه^{١٣}. قال أبو طلحة : " هو لمن صار له كالطبيعة"^{١٤}،
وهذا البناء منقول من "فَعِيل" في الصفة المشبهة لأن بناء فَعِيل في
الصفة المشبهة يدل على الثبوت على ما هو خِلقةٌ أو بمنزلتها كطويل
وفقيه .

(٥) فَعَل

وهو لمن صار له الفعل كالعادة^{١٥}. نحو حذر في قول الشاعر^{١٦}

حذر أموراً لا تضير وآمن ما ليس منجيه من الأقدار

وقوله تعالى^{١٧} : {وَأِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ} قرأ ابن كثير^{١٨} حَذِرُونَ ،
محذرون جمع حذر وهو المطبوع على الحذر^{١٩}

وقد وردت أوزان أخرى للمبالغة لكنها قليلة قياساً على الأوزان
السابقة^{٢٠} والأوزان هي :-

١- فَعِيل :-

-
- ٤١٢ - المغني الجديد في علم الصرف - محمد خير الطواني - ص ٢٥٧.
٤١٣ - معاني الأبنية في العربية - فاضل صالح السامرائي - ص ١١٧.
٤١٤ - همع الهوامع - السيوطي ٥٩/٣.
٤١٥ - المصدر نفسه ٥٩/٣.
٤١٦ - قائله أيان اللاهقي - الخزائن - ١٦٩/٨.
٤١٧ - الآية ٥٦ سورة الشعراء.
٤١٨ - هو عبد الله بن كثير بن عمرو شيخ مكة وإمامها في القراءة - لطائف الإشارات ٩٥/١.
٤١٩ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - ابن عطية - تحقيق - عبد السلام عبد الشافي - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٢٢ - ٢٣٢/٤.
٤٢٠ - قسم الصرفيين صيغ المبالغة إلى فياسية وسماعية حيث عدوا فعال ومفعال وفعل وفعل وفعل صيغاً قياسية وما عداها سماعية - الكتاب - ١١٤/١ .

وهذه الصيغة تدل على التكرار ، وتضيف إليه الولوع بالشيء فالصديق هو الكثير الصدق والمولع به والمداوم عليه ، وهذا ما ذهب إليه ابن قتيبة^{٤٢١} حيث قال : " ولا يقال لمن فعل الشيء مرة أو مرتين حتى يكثر منه أو يكون له عادة ، والشريب هو من يشرب المسكرات بكثرة ويداوم على شربها"^{٤٢٢}

وقال الرازي^{٤٢٣} في تفسير كلمة " الصديق " في قوله تعالى^{٤٢٤} :
{يُوسَفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ} صديق مبالغة في كونه صادقاً وهو الذي يكون عادته الصدق ، لأن هذا البناء ينبئ عن ذلك يقال : رجل خمير وسكير للمولع بهذه الأفعال^{٤٢٥}. وسمي أبو بكر صديقاً لكثرة ما صدق في تصديقه بالحقائق وصدق في مبادرته إلى الإيمان وما يقرب من الله.

٢- فاعول

وهذه الصيغة منقولة عن الآلة في المبالغة نحو : فاروق كان المعنى كأنه آلة للفرقان لأن هذا البناء من أبنية أسماء الآلة وتستعمل فيها كثيراً كالساطور والناقور وهو ما ينقر فيه قال تعالى^{٤٢٦} : {فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ}

٣- مفعيل

وتكون هذه الصيغة لمن دام منه الفعل مثل معطير وهذا الوزن أصله مفعال ، فالمعطير أصلها المعطار غير أنهم نحووا بها منحى الإمالة التامة المؤدية إلى الإبدال.^{٤٢٧}

٤- مفعل

٤٢١ - هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، من أئمة الأدب - الأعلام ٤٥٨/١ .
٤٢٢ - أدب الكاتب - عبد الله بن مسلم - تحقيق محمد الدالي - مؤسسة الرسالة - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٨٢ .
٤٢٣ - هو محمد بن عمرو بن الحسن بن الحسين الإمام المفسر - الأعلام - ٣١٣/٦ .
٤٢٤ - الآية ٤٦ سورة يوسف .
٤٢٥ - التفسير الكبير - الرازي - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١١ - ١٩٩٠ / ١٠ / ١٧٢ .
٤٢٦ - الآية ٨ سورة المدثر .
٤٢٧ - معاني الأبنية في العربية - السامرائي - ١١٦ .

وهذه الصيغة منقولة عن الآلة في المبالغة تقول محرب. والأصل في
مفعل أن يكون للآلة نحو مبرد ومشرط وقال الراغب^{٤٢٨}

" رجل محرب كأنه آلة في الحرب "^{٤٢٩} وهذا يفيد أن الموصوف كآلة
التي تسعر بها الحرب^{٤٣٠}

٥- فيعول

وهذه الصيغة للدلالة على من كثر منه الفعل مثل : حيسوب وهو
الحدق في الحساب والمكثر منه^{٤٣١}.

٦- فعُول

وهذه الصيغة للدلالة على المبالغة نحو قُدوس وهو المنزه عن
النقص^{٤٣٢}

٧- فعُلة

وهذه الصيغة للدلالة على من كثر منه الفعل نحو همزة و لمزة
في قوله تعالى : { وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ } فهمزة ولمزة صيغة بوزن
فُعلة تدل على كثرة صدور الفعل المصاغ منه وأنه صار عادة
لصاحبه وغالبا ما تدل على صيغة ذميمة في صاحبها مثل الهمزة وهو
الذي يكثر همز الناس أي : اغتياهم ، وضحكة : فهو الذي يكثر منه
الضحك من الناس ، واللعنة هو الذي يلعن من قبل الناس بكثرة^{٤٣٣}.

٨- فعُال

وهذه الصيغة تستعمل مبالغة لفعال ، وقد تستعمل لغيره. قال
الرضي^{٤٣٤} " والظاهر أن فعُالاً مبالغة فعيل في المعنى فطُوال أبلغ
من طويل وإذا اردت المبالغة شددت العين فقلت طُوال " وقال الرازي

٤٢٨ - هو الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني المعروف بالراغب - الأعلام ٢/٢٥٥.

٤٢٩ - المفردات في غريب القرآن - الراغب الأصفهاني - تحقيق - محمد سيد كيلاني مادة " حرب " .

٤٣٠ - المغني الجديد في علم الصرف - محمد خير الحلواني - ٢٥٧.

٤٣١ - المصدر نفسه - ٢٦٠.

٤٣٢ - تصريف الأسماء والأفعال - فخر الدين قباوة - مكتبة المعارف - بيروت - الطبعة الثالثة ١٤١٩ - ١٩٩٨ - ص ١٥٥.

٤٣٣ - المغني الجديد في علم الصرف - محمد خير الحلواني - ٢٦٠.

٤٣٤ - شرح شافية ابن الحاجب - الرضي - ١٣٦/٢.

في قوله تعالى^{٤٣٥} : { وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا } " وهو مبالغة في الكبير فأول المراتب الكبير والأوسط الكبار بالتخفيف والنهاية الكُبار بالتثقيل " ^{٤٣٦}

المبحث الثاني

صيغ المبالغة في سورة البقرة

صيغ المبالغة التي وردت في سورة البقرة هي : فعيل ، فعول ، فعال ، فيعول ، مضاعف ، وتفاصيل ورودها كالاتي :-
(أ) فعيل

هي أكثر صيغ المبالغة وروداً في سورة البقرة ، فقد وردت ثلاث عشرة مرة هي

١- أئيم في قوله تعالى^{٤٣٧} : { يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ } .

أئيم مبالغة من الفعل "أثم" وذكر الأئيم على سبيل المبالغة والتوكيد وجاءت توكيد لكفار وذلك لتغليظ أمر الربا^{٤٣٨}

٢- بشير في قوله تعالى^{٤٣٩} : { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا } . بشير مبالغة على وزن فعيل ، وبشير من صفات السجايا وهو ما تفيده صيغة فعيل^{٤٤٠}

٣- بصير في قوله تعالى^{٤٤١} : { وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ } والبصير هو العليم بالشيء الخبير به كقولهم : بصير بالطب^{٤٤٢} ، قال الشاعر^{٤٤٣} :

^{٤٣٥} - الآية ٢٢ سورة نوح.
^{٤٣٦} - تفسير الرازي - ١٤٢/٣٠ -
^{٤٣٧} - الآية ٢٧٦ .
^{٤٣٨} - النهر الماد من البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي - مكتبة النصر - " د - ط " ٣٣٦/٢ .
^{٤٣٩} - الآية ١٩ .
^{٤٤٠} - البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي - تحقيق - حسن محمد جميل - دار الفكر - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤٢٥ - ٢٠٠٥ - ٢٨٨/١ .
^{٤٤١} - الآية ٩٦ .

فإن تسألوني بالنساء فإنني بصير بأدواء النساء طبيب

٤- خبير في قوله تعالى^{٤٤٤} : [وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ].

وخبير على معنى المبالغة ، وخبير أي عالم بأخبار أعمالكم ، وقيل : أي عالم ببواطن أموركم ، وقيل : هو العلم بما لطف والتقصي له ، وقيل خبير بمعنى مخبر^{٤٤٥}

٥- الرحيم في قوله تعالى^{٤٤٦} : {قَتَلْتَنِي أَدَمٌ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}.

الرحيم مبالغة من رحم وهي على وزن فعيل قال العكبري^{٤٤٧} " الرحمن في أبنية المبالغة ، وفي الرحيم مبالغة أيضا ، إلا أنّ فعلاّن أبلغ من فعيل^{٤٤٨} " وقال أبو حيان^{٤٤٩} " الرحيم من أبنية المبالغة " وقال الزمخشري^{٤٥١} " وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم " وفي "الفروق اللغوية"^{٤٥٣} : " وعندنا أنّ الرحيم مبالغة لعدوله ".

٦- السميع في قوله تعالى^{٤٥٤} : {إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} . سميع مبالغة على

وزن فعيل ، والسميع من صفات الله وأسمائه الحسنی ، ولا يعزب عن إدراكه مسموع وإن خفى ، فهو يسمع من غير جارحة^{٤٥٥} .

٧- شهيد في قوله تعالى^{٤٥٦} : {وَلَا يُضَارُّكَ تَبُّهُ وَلَا شَهِيدٌ} شهيد مبالغة على وزن فعيل ، وكأنهم أمروا بأن يستشهدوا من كثرت منه الشهادة ، وما يشهد فيه لتكرير ذلك منه ،

٤٤٢ - اشتقاق أسماء الله الحسنى - أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي - تحقيق - عبد الحسين المبارك - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثانية ١٤٠٦ - ١٩٨٦ ص ٦٥ .
٤٤٣ - قاتله جرير ديوانه ٢٦٦ .
٤٤٤ - الآية ٢٣٤ .
٤٤٥ - لسان العرب - ابن منظور - مادة خير .
٤٤٦ - الآية ٣٧ .
٤٤٧ - هو عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري - الأعلام ٨٠/٤ .
٤٤٨ - النبيان في إعراب القرآن - العكبري - تحقيق - محمد حسين شمس الدين - دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩ - ١٩٩٨ .
٤٤٩ - هو محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي - بغية الوعاة ٢٨٠/١ .
٤٥٠ - البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي - ٢٩/١ .
٤٥١ - هو محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي - الأعلام ١٧٨/٧ .
٤٥٢ - الكشاف - الزمخشري - راجعه يوسف الحمادي - مكتبة مصر " د - ط " ١٤/١ ..
٤٥٣ - الفروق اللغوية - أبو هلال العسكري ص ١٦٠ .
٤٥٤ - الآية ١٢٧ .
٤٥٥ - اشتقاق أسماء الله الحسنى - الزجاجي ص ١١٥ .
٤٥٦ - الآية ٢٨٢ .

فأمرُوا بطلب الأَكمل^{٤٥٧} . والشهيد في اللغة : الشاهد الذي يشهد بما عاين وحضر
كما يقال : فلان شاهد كقوله تعالى^{٤٥٨} : { وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا }.

٨- العزيز في قوله تعالى^{٤٥٩} : { إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } . عزيز مبالغة على وزن
فعليل ، والعزيز هو الجليل العظيم ، وقيل : هو الذي يَقهر ولا يُقهر ، وقيل : هو
الغالب أو المنيع الذي لا مثل له^{٤٦٠} .

٩- عليم في قوله تعالى^{٤٦١} : { وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } . عليم صيغة مبالغة على

وزن فعليل ومعنى عليم : الواسع العلم والذي أحاط علمه بجميع الأشياء .
قال أبو حيان^{٤٦٢} : عليم من أمثلة المبالغة ، وقد وصف الله تعالى نفسه
بعالم وعليم وعلا مة ، وهذان للمبالغة ، والمبالغة بأحد أمرين : إما
بالنسبة لتكرير وقوع الوصف وإما بالنسبة إلى تكثير المتعلق لا تكثير
الوصف ومن هذا الثاني المبالغة في صفات الله تعالى ، لأن علمه تعالى
واحد لا تكثير فيه .

١٠- غني في قوله تعالى^{٤٦٣} : { وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ } .

غنيّ مبالغة على وزن "فعليل" ، والغني في كلام العرب هو الذي ليس
بمحتاج إلى أحد^{٤٦٤}

١١- نصير في قوله تعالى^{٤٦٥} : { وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ }

نصير مبالغة على وزن فعليل ، قال أبو حيان : وأتى بنصير على وزن
فعليل لمناسبة ولي في كونها على فعليل^{٤٦٦}.

^{٤٥٧} - البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي - ١٤/٢ .

^{٤٥٨} - الآية ٤١ سورة النساء .

^{٤٥٩} - الآية ١٢٩ .

^{٤٦٠} - البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي ٦٢٧/١ .

^{٤٦١} - الآية ٢٩ .

^{٤٦٢} - البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي ٢٢٠/١ .

^{٤٦٣} - الآية ٢٦٣ .

^{٤٦٤} - البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي ٦٥٠/٢ .

^{٤٦٥} - الآية ١٠٧ .

^{٤٦٦} - البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي - ٥٤٤/١ .

١٢- ولي في قوله تعالى^{٤٦٧} : { وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ }

وليّ مبالغة على وزن فعيل ، والله ولي المؤمنين وناصرهم ومصلح شؤونهم ، أي بصيغة فعيل من ولي لأنها أبلغ من فاعل ، ولأن ولياً أكثر استعمالاً من " وال " ولهذا لم يجيء في القرآن إلا في قوله تعالى^{٤٦٨} :
(وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِن وَالٍ)^{٤٦٩} .

١٣- نذير في قوله تعالى^{٤٧٠} : (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا)

نذير مبالغة على وزن " فعيل " ، وهذه الصيغة غير قياسية لأن فعيل يصاغ من الثلاثي ونذير صيغ من الرباعي أنذر ، قال أبو حيان^{٤٧١} :
" عدل إلى فعيل " للمبالغة لأن فعيل من صفات السجايا ، والعدل في " بشير " للمبالغة مقيس عند سيبويه ، إذا جعلناه من " بشر " لأنهم قالوا " بشر " مخفضاً ، وليس مقيساً في " نذير " لأنه من أنذر .

(ب) فعول

وردت صيغة " فعول " للمبالغة في سورة البقرة ثلاث مرات هي

١- ذلول في قوله تعالى^{٤٧٢} : (قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ)

ذلول مبالغة على وزن فعول ، وإذا وقع فعول صفة لم يدخله الهاء للتأنيث تقول : امرأة صبور وشكور وهو بناء للمبالغة^{٤٧٣} . والذلول :
الريض الذي زالت صعوبته ، وقال أبو حيان في تفسير قوله^{٤٧٤} : (هُوَ الَّذِي

^{٤٦٧} - الآية ١٠٧ .

^{٤٦٨} - الآية ١١ سورة الرعد .

^{٤٦٩} - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون - السمين الحلبي - دار القلم - دمشق - الطبعة الأولى ١٤٠٦ - ١٩٨٦ - ٦٤/٢ .

^{٤٧٠} - الآية ١١٩ .

^{٤٧١} - البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي ٥٨٨/١ .

^{٤٧٢} - الآية ٧١ .

^{٤٧٣} - التبيان في إعراب القرآن - العكبري ٧٢/١ .

^{٤٧٤} - الآية ١٥ سورة الملك .

جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا (الذلول : فعول للمبالغة أي مذلولة^{٤٧٥} وقال الزمخشري^{٤٧٦}

: " لا ذلول " صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني : لم تذلل للكراب وإثارة الأرض^{٤٧٧} ، ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث^{٤٧٨}

٢- رءوف في قوله تعالى^{٤٧٩} : (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ)

رءوف مبالغة على وزن فعول^{٤٨٠} . وفيها دلالة على كثرة الرأفة ثم أكد الله ذلك بقوله رحيم إشارة إلى سعة رحمته ، والرأفة أشد الرحمة وهي أخص منها^{٤٨١} ، قال أبو حيان : ولما كان نفي الجملة السابقة مبالغا فيها بيان واللام وبالوزن على مفعول وفعل " إن الله بالناس لرءوف رحيم " كل ذلك إشارة إلى سعة رحمته وكثرة الرأفة^{٤٨٢} .

٣- غفور في قوله تعالى^{٤٨٣} : (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

غفور مبالغة على وزن فعول فأخبر الله بأنه غفور للعصاة إذا تابوا رحيم بهم فأولى ألا يؤاخذ بما رخص فيه ومن رحمته أنه رخص^{٤٨٤} .
(ج) فعّال

وردت صيغة فعّال للمبالغة في سورة البقرة مرتين اثنتين هما:

١- التواب في قوله تعالى^{٤٨٥} : (إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)

تواب مبالغة على وزن فعّال وذلك لكثرة قبوله توبة عباده ، ولكثرة من يتوب إليه ، وهذا كله ترغيب من الله للعبد في التوبة

٤٧٥ - البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي ٢٢٥/١٠ .

٤٧٦ - الكشاف - الزمخشري - ١٤١/١ - ١٤٢ .

٤٧٧ - الكراب وإثارة الأرض : قلب الأرض بالحرث وإثارتها للزرع - الكشاف ١٤١/١ .

٤٧٨ - يسنى عليها : ليست من البقر التي تغلف في السواقي لإخراج الماء - الكشاف ١٤١/١ .

٤٧٩ - الآية ١٤٢ .

٤٨٠ - إعراب القرآن - أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس - تحقيق د.محمد محمد تامر وآخرين - دار الحديث - القاهرة - " د - ط " ٩٨/١ .

٤٨١ - الدر المصون - السمين الحلبي - ١٥٩/٢ .

٤٨٢ - البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي ٢١/٢ .

٤٨٣ - الآية ١٧٣ .

٤٨٤ - الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - تحقيق عبد الحميد هندواي - المكتبة العصرية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٢٧ - ٢٠٠٦ -

٤٩٦/١ .

٤٨٥ - الآية ٣٧ .

والرجوع إلى الطاعة^{٤٨٦}، والتواب من أسماء الله الحسني وهو الكثير القبول لتوبة العبد، أو الكثير الإعانة عليها^{٤٨٧}.

٢- كَفَّارٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى^{٤٨٨}: (وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ)

كَفَّارٌ مبالغة اسم الفاعل من كفر يكفر، والمعنى أن آكل الربا مبالغ في الكفر، وأتى بصيغة المبالغة من "كافر واثم" وقد أجرى الكفار مجرى الكفور في قوله^{٤٨٩}: (إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) أي كفور^{٤٩٠}.

(د) فيعول

وردت صيغة فيعول للمبالغة في سورة البقرة مرة واحدة في قوله تعالى^{٤٩١}: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)

القيوم مبالغة على "فيعول" في قام الأمر أي يقوم به، وأصله قيوم اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت في الياء فصارت قيوم، ولا يجوز أن يكون فعولاً من هذا، لأنه لو كان بذلك لكان قووماً بالواو، لأن العين المضعفة أبداً من جنس العين الأصلية مثل: سبوح وقدوس فلما جاءت الياء دلّ أنه فيعول^{٤٩٢}.

(هـ) مفعيل

وردت صيغة مفعيل للمبالغة في سورة البقرة مرة واحدة في قوله تعالى^{٤٩٣}: (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ) مسكين مبالغة على وزن مفعيل، ومفعيل عند اللغويين لمن دام منه الفعل، والمسكين الدائم السكون إلى الناس لأنه لا شيء له كالمسكير للدائم السكر^{٤٩٤}؛

المبحث الثالث

- ٤٨٦ - الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٢٤٣/١.
٤٨٧ - البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي ٢٧٠/١.
٤٨٨ - الآية ٢٧٦.
٤٨٩ - الآية ٢٤ سورة إبراهيم .
٤٩٠ - الكشاف - الزمخشري ٢٨٥/١ - الحر المحيط - أبو حيان الأندلسي ٧١٠/٢.
٤٩١ - الآية ٢٥٥.
٤٩٢ - الدر المنصور - السمين الحلبي ٥٤٠/٢ - والتبيان في إعراب القرآن - العكبري - ١٦٩/١.
٤٩٣ - الآية ١٨٤.
٤٩٤ - معاني الأبنية في العربية - فاضل صالح السامرائي - جامعة الكويت - الطبعة الأولى ١٤٠١ - ١٩٨١ - ص ١١١.

المبالغة بالفعل في سورة البقرة

لم تختصر الدلالة على المبالغة صيغ المبالغة الموضوعية لها بل تعدتها إلى الفعل والمصدر.

والفعل لا يدل على المبالغة إلا بما ينضم إليه من أحرف الزيادة وبما يطرأ عليه من التضعيف والتكرير لأحد أحرفه وذلك حال بقائه محتفظاً بأصل دلالة مجردة نفسها ، فلا يكون للزيادة حينئذٍ من دلالة غير المبالغة .

وجاءت دلالة الفعل على المبالغة في الآتية :-

أولاً :- فعـ لـ ٩٥؛

نص الصرفيون واللغويون على دلالة " فعـ لـ " المضعف على التكرير والمبالغة ويقول ابن الحاجب ٩٦؛ : " وفعلٌ للتكثير غالباً نحو غلّقت وقطّعت ٩٧؛ " ويقول الرضي ٩٨؛ : " والأغلب في فعلٌ أن يكون لتكثير فاعله أصل الفعل ٩٩؛ " ويقول ابن يعيش ٥٠٠؛ : " ومجيئه للتكثير هو الغالب عليه كقولك قطّعت الثياب وغلّقت الأبواب ٥٠١؛ "

ويقول الجوهري ٥٠٢؛ : " وكسّرتَه شدد للتكثير والمبالغة ٥٠٣؛ " ويقول ابن منظور ٥٠٤؛ : " نصّبَت الخيل آذانها شدد للكثرة أو المبالغة ٥٠٥؛ " والتكثير في فعلٍ إما أن يكون في الفعل أو في الفاعل أو في المفعول فالتكثير في الفعل نحو : جوّلت وطوّفت بمعنى أكثرت الجولان

٤٩٥ - ففعلٌ تفيد التعدية نحو أدبت الصبي ، والتكثير نحو ذبّحت الغنم ، والسلب نحو : مرّدت البعير ، والتوجه نحو : شرّق ، واختصار الحكاية نحو : هلل ، وبمعنى فعل مخفف العين نحو : بشر - همع الهوامع ٢٦٦/٣ .
٤٩٦ - هو عثمان بن عمر بن أبي بكر - الأعلام - ٢١١/٤ .
٤٩٧ - شرح شافية ابن الحاجب - رضي الدين محمد بن الحسن - تحقيق محمد نور الحسن وآخرين - دار الكتب العلمية - بيروت .
" د - ط " ٩٢/١ .
٤٩٨ - رضي الدين محمد بن الحسن - بغية الوعاة - ٥٦٨/١ .
٤٩٩ - شرح شافية ابن الحاجب - الرضي - ٩٢/١ .
٥٠٠ - هو يعيش بن علي بن يعيش - الأعلام - ٢٠٦/٨ .
٥٠١ - شرح المفصل - ابن يعيش - عالم الكتاب - بيروت - " د - ط " ١٥٩/٧ .
٥٠٢ - هو إسماعيل بن حماد الفارابي صاحب الصحاح - الأعلام ٣١٣/١ .
٥٠٣ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - الجوهري - تحقيق أحمد عبد الغفار - مادة كسر .
٥٠٤ - هو محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين بن منظور - الأعلام ١٠٨/٧ .
٥٠٥ - لسان العرب - ابن منظور مادة نصب .

والطواف ، والتكثير في الضاعل نحو : مَوَّتَ الإِبِلَ أي أكثر فيها الموت
والتكثير في المفعول نحو غلّقت الأبواب ، وذبّحت الشاة ومن ثم لا يقال
غلّقت الباب وذبّحت الشاة قال سيبويه : " إذا أردت كثرة العمل قلت :
كسّرته وقطّعته - جرّحته أكثرت الجراحات في جسده ٥٠٦ "

فع ل الدال على المبالغة في سورة البقرة

وهو أكثر أوزان الفعل الدالة على المبالغة وروداً في سورة البقرة
حيث ورد أربع عشرة مرة هي :-

١- قوله تعالى ٥٠٧ : (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ) قرأ قتادة ٥٠٨
ومورق العجلي ٥٠٩ " وما يَخْدَعُونَ " من خدّع المشدد والتشديد للتكثير
والمبالغة ٥١٠ ، والخدع ، أن يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه
٥١١

٢- في قوله تعالى ٥١٢ : (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) قرأ ابن عامر ٥١٣ وابن
كثير ٥١٤ ونافع ٥١٥ وأبو عمرو ٥١٦ بتشديد "الذال" في يكذبون على جهة
المبالغة لأن من كذب الرسول كذب أيضاً فدلّ التشديد على الكذب
وزيادة ٥١٧.

٥٠٦ - الكتاب - سيبويه ٦٤/٤ .

٥٠٧ - الآية ٩ .

٥٠٨ - هو قتادة بن دعامة بن قنادة البصري - الأعلام ١٨٩/٥ .

٥٠٩ - هو الإمام أبو المعتمر البصري - سير أعلام النبلاء - ٤٠٠/٧ .

٥١٠ - الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ١٥٨/١ .

٥١١ - الكشاف - الزمخشري - ٥٦/١ .

٥١٢ - الآية ١٠ .

٥١٣ - هو أبو عمران عبد الله بن عامر إمام أهل الشام - لطائف الإشارات ٩٤/١ .

٥١٤ - هو عبد الله بن كثير بن عمرو شيخ مكة وإمامها في القراءة - لطائف الإشارات ٩٥/١ .

٥١٥ - هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم - لطائف الإشارات ٩٦/١ .

٥١٦ - هو زيان بن العلاء إمام أهل البصرة - لطائف الإشارات ٩٤/١ .

٥١٧ - البحر المحیط - أبو حيان الأندلسي ٩٨/١ .

٣- في قوله تعالى^{٥١٨} : (يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ) قرأ زيد بن علي^{٥١٩} " يخطف " بضم الباء وكسر الطاء المشددة وهذا التضعيف للمبالغة والتكثير والخطف هو الأخذ بسرعة^{٥٢٠}.

٤- في قوله تعالى^{٥٢١} : (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا) والتشديد في " نزلنا " بمعنى التكثير ومصدره التنزيل الذي هو دون الإنزال^{٥٢٢} ، وذهب أبو حيان إلى أن التشديد للنقل لا للتكثير والمبالغة لأن التضعيف هنا دخل على فعل لازم^{٥٢٣}

٥- في قوله تعالى^{٥٢٤} : (وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ)

٦- والتضعيف في بشر يدل على المبالغة والتكثير ، وبشرته أخبرته بسارٍ بسط بشر وجهه^{٥٢٥} .

٧- في قوله تعالى^{٥٢٦} : (وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ)

قرأ الجمهور بالتخفيف وكسر الفاء وقرأ أبو حيو^{٥٢٧} بتشديد السين ، والتشديد هنا يفيد التكثير والمبالغة^{٥٢٨} ، والسفك هو الصب والإراقة ، ولا يستعمل إلا في الدم^{٥٢٩}.

٨- في قوله تعالى^{٥٣٠} : (يَذَبْحُونَ آبَاءَكُمْ)

٥١٨ - الآية ٢٠ .
٥١٩ - هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - الأعلام ٥٩/٣ .
٥٢٠ - المحتسب في تبيين وجه شواذ القراءات - ابن جني - تحقيق على النجدي وعلي عبد الفتاح ٥١/١ .
٥٢١ - الآية ٢٣ .
٥٢٢ - الكشاف - الزمخشري - ٩١/١ .
٥٢٣ - البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي ١٦٨/١ .
٥٢٤ - الآية ٢٥ .
٥٢٥ - البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي ١٨٠/١ .
٥٢٦ - الآية ٣٠ .
٥٢٧ - هو شريح بن يزيد بن حيو^{٥٢٧} الحضرمي - صاحب قراءة شاذة - غاية النهاية - ٣٢٥/١ .
٥٢٨ - التبيان في إعراب القرآن - العكبري ٤٨/١ .
٥٢٩ - الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٢٠٩/١ .
٥٣٠ - الآية ٤٩ .

قرأ الجمهور بتشديد الذال " يذبحون " على التكثير وهو أولى لظهور تكرار الفعل باعتبار متعلقاته^{٥٣١} ، وقال القرطبي^{٥٣٢} : والتشديد أولى إذ الذبح متكرر ، والذبح هو الشق^{٥٣٣}

٩- في قوله تعالى^{٥٣٤} : (وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ) قرأ الزهري^{٥٣٥} بالتشديد^{٥٣٦} ، والتشديد يفيد التكثير والمبالغة ، لأن المسالك كانت اثنا عشر مسلماً على عدد أسباط بني إسرائيل ، وفهم التكثير من تعداد الأسباط ، والتفرق لأصله للتكثير ، ويقال ذلك في تشتيت الشمل والكلمة^{٥٣٧}.

١٠- في قوله تعالى^{٥٣٨} : (وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ)

قرأ على " يقتلون " بالتشديد لظهور المبالغة في القتل^{٥٣٩}.

١١- في قوله تعالى^{٥٤٠} : (فَأَمَّتْهُ قَلِيلًا)

١٢- قرأ الجمهور من السبعة " فأمته " مشدداً والحجة لمن شدد تكرير الفعل ومداومته^{٥٤١}.

١٣- في قوله تعالى^{٥٤٢} : (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ)

١٤- قرأ نافع وابن عامر " وأوصى " وقرأ الباكون " ووصى " بالتشديد^{٥٤٣}؛ وأوصى ووصى لغتان قال الزجاج^{٥٤٤} : " ووصى أبلغ من أوصى لأن أوصى جائز أن يكون مرة ، ووصى لا يكون إلا في مرات كثيرة " ^{٥٤٥}؛ فالفعل وصى بالتشديد يدل على المبالغة والتكثير .

^{٥٣١} - البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي ٣١٣/١.

^{٥٣٢} - هو محمد بن أحمد بن أبي بكر الأندلسي - الأعلام ٣٢٢/٥.

^{٥٣٣} - الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ٢٨٥/١.

^{٥٣٤} - الآية ٥٠.

^{٥٣٥} - هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري - الأعلام ٩٧/٧.

^{٥٣٦} - وهذه القراءة شاذة - القراءات الشاذة لابن خالويه ص ٥.

^{٥٣٧} - البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي - ٣١٩/١.

^{٥٣٨} - الآية ٦١.

^{٥٣٩} - البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي ٣٨٢/١.

^{٥٤٠} - الآية ١٢٦.

^{٥٤١} - الحجة في القراءات السبع - ابن خالويه - تحقيق عبد العال سالم مكرم - عالم الكتاب - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤٢٨ - ٢٠٠٧

- ص ٨٨.

^{٥٤٢} - الآية ١٣٢.

^{٥٤٣} - حجة القراءات - لأبي زرعة - جامعة بنغازي - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثانية - ١٣٩٩ - ١٩٧٩ - ص ١١٥.

^{٥٤٤} - هو إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق الزجاج - الأعلام ٤٠/١.

^{٥٤٥} - معاني القرآن وإعرابه - الزجاج - تحقيق - عبد الجليل شلبي - دار الحديث - القاهرة - الطبعة الأولى - ١٤١٤ - ١٨٥/١.

١٥- في قوله تعالى^{٥٤٦} : (أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا)

قرأ الجمهور أن "يطوف" بتشديد الواو^{٥٤٧} ، والتشديد فيها على المبالغة والتكثير قال الزجاج " من طوف إذ أكثر التطواف " ^{٥٤٨} .

١٦- في قوله تعالى^{٥٤٩} : (وَلِتَكْمَلُوا الْعِدَّةَ) قرأ شعبة بتشديد الميم ، والتشديد يفيد تكرير فعل الصيام في الشهر إلى تمام عدته^{٥٥٠} .

١٧- في قوله تعالى^{٥٥١} : (فِيضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً) قرأ ابن كثير وابن عامر " فيضعفه " بالتشديد من " ضع ف " والحجة لمن شدد تكرير الفعل ومداومته^{٥٥٢} .

ثانياً :- افوعل

وهو بناء موضوع للمبالغة قالوا : خشن المكان إذا حسن فإذا أرادوا المبالغة والتوكيد قالوا : اخشوشن ، وقالوا أعشبت الأرض ، فإذا أرادوا العموم والكثرة قالوا: اعشوشب لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو ، فمعنى عشب وخشن دون اعشوشب واخشوشن ، وقوة اللفظ مؤذنة بقوة المعنى إذ الألفاظ قوالب المعاني^{٥٥٣} .

افوعل الدال على المبالغة في سورة البقرة

لم ترد صيغة افوعل الدال على المبالغة في سورة البقرة.

وليس في القرآن لفظ على افوعل^{٥٥٤} .

ثالثاً :- تفعّل^{٥٥٥}

^{٥٤٦} - الآية ١٥٨ .
^{٥٤٧} - البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي ٦٧/٢ .
^{٥٤٨} - معاني القرآن وإعرابه - الزجاج - ٢٠٤ / ١ .
^{٥٤٩} - الآية ١٨٥ .
^{٥٥٠} - الحجة في القراءات السبع - ابن خالويه ص ٩٣ .
^{٥٥١} - الآية ٢٤٥ .
^{٥٥٢} - الحجة في القراءات السبع - ابن خالويه ص ٩٨ .
^{٥٥٣} - الخصائص - ابن جني - تحقيق - عبد الحميد هندراوي - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الثانية - ٢٠٠٣ - ١٤٢٤ -
٥٠٨/١ .
^{٥٥٤} - الإتيان في علوم القرآن - السيوطي - المكتبة الثقافية - بيروت - ١٩٧٣ - ١٦٣/٢ .
^{٥٥٥} - تفهيم المطاوعة ، والتكلف ، والاتخاذ والتجنب - شرح الرضي على الشافية ١٠٤/١ .

ومن معانيه المبالغة والتكثير نحو قط عته فتقط ع ، ويكون مطاوعاً للفعال الدال على الكثرة نحو : جر عتك فتجرعته ، أي كثرت لك جرع الماء فتقبلت ذلك التكثير^{٥٥٦}

تفَعَّل الدال على المبالغة في سورة البقرة

لم ترد صيغة تفَعَّل الدالة على المبالغة في سورة البقرة .

رابعاً :- افتعل^{٥٥٧}

وهي من الصيغ التي تدل على المبالغة والتكثير يقول ابن

جني^{٥٥٨} : ومثله باب فعل وافتعل نحو : قدر واقتدر ومنه قوله تعالى^{٥٥٩} :

(أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ) فمقتدر أوفق من قادر من حيث كان الموضوع

لتفخم الأمر وشدة الأخذ^{٥٦٠} قال الزبيدي : (أَقْتَرَبَ الوَعْدُ أي تقارب

... واقترب أخص من قرب فإنه يدل على المبالغة من القرب)^{٥٦١}

افتعل الدال على المبالغة في سورة البقرة

لم ترد صيغة افتعل الدال على المبالغة في سورة البقرة .

خامساً :- افعوّل

وتوصف به المبالغة في حصول الفعل نحو : أعلوّل البعير إذ ركب

عنقه وهو كافعوعل لأنه على زنته إلا أن المكرر هناك العين وهنا الواو

الزائدة^{٥٦٢} .

افعول الدال على المبالغة في سورة البقرة

لم ترد افعول الدال على المبالغة في سورة البقرة

^{٥٥٦} - شرح شافية ابن الحاجب - الرضي - ١٠٤/١ .

^{٥٥٧} - ومن معانيها المطاوعة والاتخاذ والتفاعل - شرح شافية ابن الحاجب ١٠٨/١ .

^{٥٥٨} - هو أبو الفتح عثمان بن جني - الأعلام ٢٠٤/٤ .

^{٥٥٩} - الآية ٤٢ سورة القمر .

^{٥٦٠} - الخصائص - ابن جني - ٥٠٨/١ .

^{٥٦١} - تاج العروس - الزبيدي - مكتبة الحياة - بيروت - الطبعة الأولى - ١٣٠٦ - مادة قرب .

^{٥٦٢} - شرح المفصل - ابن يعيش - ١٦٢/٧ .

المبحث الرابع

المبالغة بالمصدر

المصدر هو الاسم الذي يدل على الحدث مجرداً من الزمان والشخص والمكان ، وعرفه ابن جني بأنه " كل اسم دل على حدث ^{٥٦٣} وعرفه ابن الحاجب " اسم حدث ^{٥٦٤} وعرفه ابن عصفور ^{٥٦٥} بأنه " اسم لفعل ^{٥٦٦} ، فالمصدر يتفق مع الفعل في أنه يدل على الحدث ، إلا أن الفعل يدل على الحدث مقروناً بالدلالة على الزمان .

مبالغة المصدر

لا تقتصر دلالة المبالغة على صيغ المبالغة والفعل وإنما تتعداها إلى المصدر . فإن من أبنية المصدر ما هو موضوع للدلالة على المبالغة ، كما أن المصدر بدلالته المطلقة دونما تحديد على الحدث أو على المعنى إنما يكون دالاً على المبالغة حينما يوصف به .

وأبنية المصدر التي تؤدي الدلالة على المبالغة هي ^{٥٦٧}

١/ التفعيل ٢/ التفعال ٣/ الضعالة ٤/ الضعيلي

١/ التفعيل :-

هو مصدر لفعـل مضاعف العين صحيح اللام غير مهموزها نحو :
" قومٌ تقويماً " " وقصّر تقصيراً " وفي القاموس ^{٥٦٨} " والتجميع
مبالغة الجمع " وقال الزبيدي : " وقالوا إن التفعيل يدل على المبالغة

^{٥٦٣} - المنصف - ابن جني - تحقيق إبراهيم مصطفى - عبد الله أمين ١/١٨٠ ..

^{٥٦٤} - شرح كافية ابن الحاجب - الرضي - ٤٦٩/٣ .

^{٥٦٥} - هو علي بن مؤمن بن محمد الأشيبلي - الأعلام - ٢٧/٥ .

^{٥٦٦} - المقرب ابن عصفور - تحقيق أحمد عبد الستار - عبد الله الجبوري - الطبعة الأولى ١٣٩١ - ١٩٧١ - ١٤٤/١ .

^{٥٦٧} - سنن العربية في الدلالة على المبالغة والتكثير - خليل بنيان الحسون - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى - ٢٠٠٩ -

ص ١٢١ .

^{٥٦٨} - القاموس المحيط - الفيروز أبادي - بيروت - " د - ط " مادة جمع .

والتكرير"^{٥٦٩} ، وقال الرضي : " ولذلك سماوا الكتاب العزيز تنزيلاً لأنه لم ينزل جملة واحدة بل سورةً سورةً وآيةً آيةً"^{٥٧٠}

المبالغة بالتفعيل في سورة البقرة

وردت المبالغة بالتفعيل في سورة البقرة ثلاث مرات هي :-

(أ) في قوله تعالى^{٥٧١} : (الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَاِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ اَوْ تَسْرِيحٌ بِاِحْسَانٍ) تسريح على وزن تفعيل مصدر سَرَّحَ يسرِّحُ ، وتسريح يدل على المبالغة لأن المعنى : تركها حتى تتم العدة من الطلقة الثانية وتكون أملك لنفسها وهذا قول السدي^{٥٧٢} والضحاك^{٥٧٣} وقيل : أن يطلقها ثلاثة فيسرحها وهذا قول مجاهد^{٥٧٤} وعطاء^{٥٧٥} وهو للوجه التالية :-

الأول :- ما رواه الدار قطني عن أنس أن رجلاً قال : يا رسول الله قال الله " الطلاق مرتان"^{٥٧٦} فلم صار ثلاثاً ؟ قال^{٥٧٧} : (فَاِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ اَوْ تَسْرِيحٌ بِاِحْسَانٍ)^{٥٧٨} .

الثاني :- أن التسريح من ألفاظ الطلاق ألا ترى أنه قد قرئ^{٥٧٩} : (وإن عزموا السراح)

الثالث :- أن فعلاً تفعيلاً يعطي أنه أحدث فعلاً مكرراً على الطلقة الثانية^{٥٨٠} .

وذهب الزمخشري إلى أن معنى التسريح : ألا يراجعها حتى تبين بالعدة ، أو بالأ يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها و ضرارها ، وقيل : بأن يطلقها الثالثة في الطهر الثالث والتفعيل في الفعل قد أحدث فعلاً مكرراً وفي هذا مبالغة وتكثير دل عليها المصدر^{٥٨١} .

^{٥٦٩} - تاج العروس - محمد مرتضى الزبيدي - الكويت - مادة جمع .

^{٥٧٠} - شرح شافية ابن الحاجب ٩٣/١ .

^{٥٧١} - الآية ٢٢٩ .

^{٥٧٢} - هو إسماعيل بن عبد الرحمن السدي ، تابعي - حجازي الأصل ، سكن الكوفة - الأعلام ٣١٧/١ .

^{٥٧٣} - هو الضحاك بن مزاحم الهلالي - سير أعلام النبلاء ٥٩٨/٢ .

^{٥٧٤} - هو مجاهد بن جبر ، تابعي ، مفسر لكتاب الله ، من أهل مكة - تهذيب التهذيب ٣٨/١٠ .

^{٥٧٥} - هو أبو محمد عطاء بن أبي رباح وإليه إلى مجاهد فتوى مكة - وفيات الأعيان ٢٦١/٣ .

^{٥٧٦} - الآية ٢٢٩ .

^{٥٧٧} - الآية ٢٢٩ .

^{٥٧٨} - الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ٨٢/٢ .

^{٥٧٩} - البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي ٤٦٦/٢ .

^{٥٨٠} - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - ابن عطية - ٣٠٦/١ .

^{٥٨١} - الكشاف - الزمخشري - ٢٤٧/١ .

(ب) في قوله تعالى^{٥٨٢} : (وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ) تصريف مصدر صرف وتصريف الرياح في هبوبها قبولاً ودبوراً ، جنوباً وشمالاً ، وفي أوصافها حارة وباردة ، ولينة وعاصفة ، وعقيماً ولواقح ونكباء ، وقيل باردة بالرحمة وحارة بالعذاب فدل التفعيل على الكثرة والمبالغة^{٥٨٣} وهذا يوافق قراءة من جمع "الريح"^{٥٨٤}

(ج) في قوله تعالى^{٥٨٥} : (ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ) وتخفيف مصدر خفف يخفف ويدل على التكثر لأن هذه الأمة قد خيرت بين القصاص والدية والعفو، وأما أهل الكتاب لم يخيروا لأن أهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة وحرّم العفو وأخذ الدية ، وعلى أهل الإنجيل العفو وحرّم القصاص والدية^{٥٨٦} .

٢ / التفعال :-

ذهب سيبويه إلى أن التفعال مصدر يدل على التفعيل^{٥٨٧} ، وقال الرضي : "إذا قصد المبالغة من مصدر الثلاثي بنيته على التفعال"^{٥٨٨} وقال الكوفيون : إن التفعال أصله التفعيل الذي يفيد التكثر قلبت ياؤه ألفاً فأصل التكرار التكرير" واختلفوا في هذا الباب قياسي أم سماعي . فذهب سيبويه إلى أن هذا الباب في الثلاثي لا غير ، فينبغي أن يكون سماعياً^{٥٨٩} . وقال الكوفيون إنه قياسي وأصله التفعيل وقال الزمخشري : إن هذا المصدر كثير الاستعمال فينبغي أن يكون قياسياً^{٥٩٠} .

المبالغة بالتفعال في سورة البقرة

- ٥٨٢ - الآية ١٦٤ .
 ٥٨٣ - الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - ٤٧١/١ .
 ٥٨٤ - حجة القراءات - ابن خالويه - ص ٩١ .
 ٥٨٥ - الآية ١٧٨ .
 ٥٨٦ - الكشاف - الزمخشري ٢٠٢/١ .
 ٥٨٧ - الكتاب - سيبويه - ٨٣/٤ .
 ٥٨٨ - شرح شافية ابن الحاجب - الرضي ١٦٧/١ .
 ٥٨٩ - الكتاب - سيبويه ٨٣/٤ .
 ٥٩٠ - شرح المفصل - ابن يعيش ٥٥/٢ .

لم يرد المصدر بوزن التفعال في سورة البقرة .

٣/ الفعالة :-

ذهب المبرد إلى أن المصدر الذي على وزن " فعالة " يدل على المبالغة حيث قال : والمصادر تقع على فعالة للمبالغة يقال عزعزاً وعزعزة كما يقال : الشراسة والصرامة . ومن ذلك قول الشاعر^{٥٩١}

تنوفهم غير كل يومٍ كفعل أخى العزازة بالذليل

وقد استعمل نوح عليه السلام السفاهة نفيًا لما اتهموه به في قوله تعالى^{٥٩٢} : (إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) فرد عليهم في قوله تعالى^{٥٩٣} : (قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ) فلم ينف المصدر نفسه وصفته وإنما استعاض عنهما بالمبالغة المغنية عنها والموافقة لهما في مقدار الوصف^{٥٩٤}.

المبالغة بالفعالة في سورة البقرة

لم يرد المصدر بوزن فعالة للدلالة على المبالغة في سورة البقرة .

٤/ الفعيلي :-

وهذا المصدر يدل على المبالغة قال سيبويه : وأما الفعيلي فتجيء على وجه آخر تقول : " كان بينهم رمياً " فليس يريد " رمياً " ولكن يريد ما كان بينهم من الترامي وكثرة الرمي ولا يكون من واحد ، وأما الدليلي فإنما يريد كثرة علمه ، وكذلك الخليفي ويراد به كثرة تشاغله بالخلافة وامتداد أيامه فيها^{٥٩٥} .

وهذا ما أشار إليه الرضي بقوله " وكل ما يدل على مبالغة المصدر من المكسور ما قبله المشدد عينه : الرمياً والخليفي^{٥٩٦} .

المبالغة بالفعيلي في سورة البقرة

^{٥٩١} - قائله عمارة بن عقيل - الكامل ١/ ١٦٧ .
^{٥٩٢} - الآية ٦٠ سورة الأعراف .
^{٥٩٣} - الآية ٦١ سورة الأعراف .
^{٥٩٤} - الكامل - المبرد - ١/ ٦٧ س .
^{٥٩٥} - الكتاب - سيبويه - ٨٥/٤ .
^{٥٩٦} - شرح شافية ابن الحاجب - الرضي ٢/ ٣٢٨ .

لم يرد المصدر بوزن فعّلي للدلالة على المبالغة في سورة البقرة .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم وبعد:

في خاتمة هذا البحث نشير بإيجاز إلى أهم النتائج التي توصل إليها
الباحث في النقاط الآتية:-

- ١-تعدد صيغ المبالغة والتكثير في سورة البقرة.
 - ٢-تنوع صيغ المبالغة وتعددتها يؤكد سعة اللغة العربية.
 - ٣-لصيغ المبالغة والتكثير تأثير في فهم النص القرآني وتحديد المعنى إذ
أن معنى الكلمة يتحدد وفق الصيغة التي يرد بها.
 - ٤-وردت سنن المبالغة في سورة البقرة بالاسم وبالفعل.
 - ٥-صيغ المبالغة التي وردت في سورة البقرة هي: (فعل) وهي أكثر
الصيغ وروداً، و(فعل) و(فعال) و(فيعول) و(مفعيل).
 - ٦-وردت المبالغة بالفعل في سورة البقرة على وزن (فعل) فقط.
 - ٧-وردت المبالغة بالمصدر في سورة البقرة على وزن (تفعيل) فقط.
- ومن خلال الدراسة والتحليل توصل الباحث إلى التوصيات الآتية:-
أ) ضرورة تطبيق منهج النحو الوظيفي.
ب) دعوة الباحثين لأن يصبوا جل جهدهم في دراسة الظاهرة النحوية التي
يحفل بها القرآن الكريم.

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- اشتقاق أسماء الله الحسنى - أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي - تحقيق عبد الحسين المبارك - مؤسسة الرسالة - الطبعة الثانية ١٤٠٦ - ١٩٨٦ .
- ٣- إعراب القرآن - أبو جعفر أحمد بن إسماعيل النحاس - تحقيق محمد محمد تامر وآخرين - دار الحديث القاهرة " د - ط " .
- ٤- الأعلام - الزر كلي - دار العلم - بيروت - الطبعة الخامسة ١٩٨٠ .
- ٥- البحر المحيط - أبو حيان الأندلسي - تحقيق صدقي محمد جميل - دار الفكر - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٢٥ - ٢٠٠٥ .
- ٦- بغية الوعاة من طبقات اللغويين والنحاة - السيوطي - تحقيق محمد الفضل إبراهيم - المكتبة العصرية - بيروت - " د - ط " .
- ٧- تاج العروس - الزبيدي - مكتبة الحياة - بيروت - الطبعة الأولى ١٣٠٦ .
- ٨- التبيان في إعراب القرآن - عبد الله بن الحسين العكبري - تحقيق محمد حسين شمس الدين - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٩ - ١٩٩٨ .
- ٩- تصريف الأسماء والأفعال - فخر الدين قباوة - مكتبة المعارف - بيروت - الطبعة الثالثة ١٤١٩ - ١٩٩٨ .
- ١٠- التفسير الكبير - الرازي - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١١ - ١٩٩٠ .
- ١١- الجامع لأحكام القرآن - القرطبي - تحقيق عبد الحميد هنداوي - المكتبة العصرية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٢٧ - ٢٠٠٦ .
- ١٢- الحجة في القراءات السبع - ابن خالويه - تحقيق عبد العال سالم مكرم - عالم الكتاب - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤٢٨ - ٢٠٠٧ .

- ١٣- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب - عبد القادر محمد البغدادي - تحقيق عبد السلام محمد هارون - دار الكتاب العربي - القاهرة ١٣٨٩ - ١٩٦٩.
- ١٤- الخصائص - ابن جني - تحقيق عبد الحميد هنداوي - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الثانية - ١٤٢٤ - ٢٠٠٣.
- ١٥- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون - السمين الحلبي - دار القلم - دمشق - الطبعة الأولى - ١٤٠٦ - ١٩٨٦.
- ١٦- سنن العربية في الدلالة على المبالغة والتكثير - خليل بنيان الحسون - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ٢٠٠٩.
- ١٧- شرح شافية ابن الحاجب - الرضي - تحقيق محمد نور الحسن وآخرين - دار الكتب العلمية - بيروت - " د - ط " .
- ١٨- شرح المفصل - ابن يعيش - عالم الكتب - بيروت - " د - ط " .
- ١٩- الصحاح - الجوهري - تحقيق أحمد عبد الغفور - دار العلم للملايين - القاهرة - الطبعة الثالثة - ١٤٠٤ - ١٩٨٤.
- ٢٠- الفروق اللغوية - أبو هلال العسكري - الناشر - حروس بروس - الطبعة الأولى ١٤١٥ - ١٩٩٤.
- ٢١- فقه اللغة وأسرار العربية - الثعالبي - تحقيق - أملين نسيب - دار الجيل - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٨ - ١٩٩٨.
- ٢٢- الكتاب - سيبويه - تحقيق عبد السلام محمد هارون - دار الجيل - بيروت - الطبعة الأولى " د - ت " .
- ٢٣- الكشف - الزمخشري - راجعه - يوسف الحمادي - مكتبة مصر " د - ط " .
- ٢٤- لسان العرب - ابن منظور - مؤسسة التاريخ العربي - بيروت - الطبعة الثالثة - ١٤١٣ - ١٩٩٣.

- ٢٥- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات - ابن جني - تحقيق علي النجد و عبد الفتاح شلبي و عبد الحلیم النجار - إحياء التراث الإسلامي ١٣٨١.
- ٢٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز - ابن عطية - تحقيق عبد السلام عبد الشافي - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٢٢.
- ٢٧- معاني الأبنية في العربية - فاضل صالح السامرائي - جامعة الكويت - الطبعة الأولى ١٤٠١ - ١٩٨١.
- ٢٨- معاني القرآن وإعرابه - الزجاج - تحقيق عبد الجليل شلبي - دار الحديث - القاهرة - الطبعة الأولى ١٤١٤ - ١٩٩٤.
- ٢٩- المغني الجديد في علم الصرف - محمد خير حلواني - دار الشرق العربي - بيروت - الطبعة الخامسة ١٤٢٠ - ١٩٩٦.
- ٣٠- المفردات في غريب القرآن - الراغب الأصفهاني - تحقيق محمد سيد كيلاني - دار الطباعة - بيروت - " د - ط "
- ٣١- المقتضب - المبرد - تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة - الطبعة الثالثة ١٣٩٩ - القاهرة.
- ٣٢- المقرب - ابن عصفور - تحقيق محمد عبد الستار و عبد الله الجبوري - الطبعة الأولى ١٣٩١ - ١٩٧١.
- ٣٣- المنصف - ابن جني - تحقيق إبراهيم مصطفى و عبد الله أمين - مطبعة البابي - مصر ١٩٥٤.
- ٣٤- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع - السيوطي - تحقيق أحمد شمس الدين - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٨ - ١٩٩٨.